



ديوات

نار الملاك

المجلد الثاني

دار العودة - بيروت

● سنة ١٩٤٧ صدر ديوانها الاول
« عاشقة الليل » الذي قدمها شاعرة
كبيرة للعراق والامة العربية .

● سنة ١٩٤٩ صدر ديوانها الثاني
« شظايا ورماد » وفيه تأكدت ريادتها
للشعر الحديث ، وقد قدمت للديوان
بمقدمة مسهبه حددت فيها الاوزان
الاساسية للشعر الحر ، ودعت له بقوة

● سنة ١٩٥٧ صدر ديوانها الثالث
« قرارة الموجة »

● سنة ١٩٦٨ صدر ديوانها الرابع
« شجرة القمر »

يتبع على الوجه الثاني للغلاف

ديوان
نارك الملائكة

ديوان
نازك الملائكة

المجلد الثاني

دار العسوة - بيروت

حقوق الطبع محفوظة لدار العودة

الطبعة الثانية

١٩٧٩

**بيروت - كورنيش المزرعة
بغاية الريفييرا - منقر
هاتف : ٢١٨١٦٥ - ٢١٠٨٤٠**

شخطايا ورمكاد

مقدمة

في الشعر، كما في الحياة، يصح تطبيق عبارة برنارد شو : « اللقاعدة هي القاعدة الذهبية » ، لسبب هام ، هو أن الشعر وليد أحداث الحياة ، وليس للحياة قاعدة معينة تتبعها في ترتيب أحداثها ، ولا نماذج معينة للألوان التي تتلون بها أشياءها وأحاسيسها . ولا تناقض بين هذا الرأي وما يقسم اليه النقاد الشعر من مدارس ومذاهب حين يقولون « كلاسيكي » ، رومانتيني ، واقعي ، رمزي ، سريالي ... ، فهذه كلها ليست قواعد ، وإنما هي أحكام .

وقد يرى كثيرون معي ان الشعر العربي ، لم يقف بعد على قدميه ، بعد الرقعة الطويلة التي جثمت على

صدره طيلة القرون المنصرمة الماضية . فنحن عموماً
ما زلنا أسرى ، تسيّرنا القواعد التي وضعها أسلافنا في
الجاهلية وصدر الإسلام . ما زلنا نلث في قصائدنا
ونجسر عواطفنا المقيدة بسلاسل الأوزان القديمة ،
وقرقة الألفاظ الميتة ، وسدىّ يحاول أفراد منا أن
يخالفوا فإذا ذاك يتصدى لهم ألف غيور على اللغة ،
وألف حريص على التقاليد الشعرية التي ابتكرها واحد
قديم أدرك ما يناسب زمانه ، فجمدنا نحن ما ابتكر
واتخذناه سنة . كأن سلامة اللغة لا تتم إلا أن هي
جمدت على ما كانت عليه منذ ألف عام ، وكأن
الشعر لا يستطيع أن يكون شعراً إن خرجت تفعيلاته
على طريقة الخليل .

ويقولون : ما لطريقة الخليل ؟ وما للغة التي
استعملها آباؤنا منذ عشرات القرون ؟ والجواب أوسع
من أن يمكن بسطه في مقدمة قصيرة لديوان . ما
لطريقة الخليل ؟ .. ألم تصدأ لطول ما لامستها الأقلام
والشفاه منذ سنين وسنين؟ ألم تألفها أسماعنا، وتردها
شفاها ، وتعلكها أقلامنا ، حتى مجتها . منذ قرون

ونحن نصف انفعالاتنا بهذا الاسلوب حتى لم يعد له طعم ولا لون . لقد سارت الحياة ، وتقلبت عليها الصور والألوان والأحاسيس ومع ذلك ما زال شعرنا صورة لقفا نيك وبانت سفاد . الأوزان هي هي ، والقوافي هي هي .. وتكاد المعاني تكون هي هي ؟

ويقولون : ما للغة ؟ وأية ضرورة إلى منحها آفاقاً جديدة ؟ فينسبون أن اللغة ان لم تركض مع الحياة ماتت . والواقع أن اللغة العربية لم تكتسب بعد قوة الإيحاء ، التي تستطيع بها مواجهة أعاصير القلق والتحرق التي تملأ أنفسنا اليوم . انها قد كانت يوماً لغة موحية ، تتحرك وتضحك وتبكي وتعصف ، ثم ابتليت بأجيال من الذين يجيدون التحنيط وصنع التماثيل ، فصنعوا من ألفاظها « نسخاً » جاهزة ، ووزعوها على كتابهم وشعرائهم ، دون أن يدركوا أن شاعراً واحداً قد يصنع للغة ما لا يصنعه ألف نحوي ولغوي مجتمعين . ذلك أن الشاعر بإحساسه المرهف وسمعه اللغوي الدقيق ، يمد للألفاظ معاني جديدة لم تكن لها ، وقد يخرق قاعدة مدفوعاً بحسه

الفني ، فلا يسيء إلى اللغة ، وإنما يشدها إلى الأمام .
الشاعر أو الأديب إذن هو الذي تتطور على يديه اللغة
أما النحوي واللغوي فلا شأن لهما بها النحوي
واللغوي عليها واجب واحد هام . واجب الملاحظة
واستخلاص قواعد عامة من كلام « المرهفين » من
الكتاب والشعراء .

على أن الأديب الذي سلتفق على تسميته « مرهفاً » ،
لا بد أن يملك ثقافة عميقة تمتد جذورها في صميم الأدب
المحلي قديمه وحديثه ، مع اطلاع واسع على أدب أمة
أجنبية واحدة على الأقل ، بحيث يتهيأ له حس لغوي
قوي ، لا يستطيع معه أن هو خلق ، إلا أن يكون
ما خلق جمالاً وسموا . فإذا خرق قاعدة ، أو أضاف
لونا إلى لفظة ، أو صنع تعبيراً جديداً ، أحسنا أنه
أحسن صنعاً ، وأمكن لنا أن نعد ما أبدع وخرق ،
قاعدة ذهبية .

ولن تقف وظيفة الأديب المرهف ، عند خرق
قاعدة هنا ، وإضافة معنى هناك ، وإنما سيكون عليه
واجب أدق من هذا تفرضه عليه طبيعة التطور ،

في اللغات الإنسانية الحية . سيكون عليه أن يدخل
تغيراً جوهرياً على القاموس اللفظي المستعمل في أدب
عصره ، فيترك استعمال طائفة كبيرة من الألفاظ التي
كانت مستعملة في القرن المنصرم ويُدخل مكانها ألفاظاً
جديدة لم تكن مستعملة . ذلك لأن الألفاظ تخلق كما
يخلق كل شيء يمر عليه إصبع الاستعمال في هذه
الحياة المتغيرة ، وهي تكتسب بمرور السنين ،
جموداً يسبغه عليها التكرار ، فتفقد معانيها الفرعية
شيئاً فشيئاً ، ويصبح لها معنى واحد محدود ، يشل
عاطفة الأديب ، ويحول دون حرية التعبير .

ثم ان هنالك سبباً آخر هاماً يستدعي هذا
الاستبعاد للألفاظ التي كثر استعمالها ، هو أن الأذن
البشرية تمل الصور المألوفة والأصوات التي
تتكرر ، وتستطيع أن تجردها من كثير من معانيها
وحياتها ، وخير مثال لهذا أننا ننفر الآن بطبيعتنا
من استعمال ألفاظ كهذه : « عمبر ، كافور ، غصن بان ،
قد ، هلال ، صدغ ، عود ، فرجس ، لؤلؤ ،
وهي ألفاظ كانت في بعض العصور السالفة تبدو رقيقة

شعرية ، وربما كانت يوماً مما لا يستعمله إلا المجددون
من الشعراء .

وقد لاحظت خلال دراستي للآداب المعاصرة ،
هذه الملاحظة الطريفة : لاحظت أننا ، في هذا العصر ،
قد أصبحنا ننسى المدلول الخاص لكلمة « البدر »
فنهملها إهمالاً يكاد يكون كلياً ، ونؤثر عليها لفظ
« القمر » وقل في الشعراء المعاصرين من يرضى استعمال
كلمة « بدر » إلا في الحالات النادرة ، وأنا أعترف ،
انني أكلف نفسي أحياناً متاعب كثيرة ، لكي لا
أستعملها ، والتعليل السايكولوجي لهذا يسير ،
فأنا وسواي نتذكر بلا شك تلك العشرات من الأبيات
الصماء النافرة التي تركها شعراء العصر المنطقي الماضي ،
واستعملوا فيها كلمة « بدر » حتى جردوها من جمال
معناها ، وأطفأوها ، وأبقوا منها ظلالهم هم عليها .

ربما كان هذا كله من عمل ما يسميه علماء النفس
الاقتران Association وربما كان له عندهم تعليل آخر ،
سوى أن هذا كله يتعلق بالسبب لا بواقع الأمر ،
فالهم أن الألفاظ تصدأ وتحول ، وتحتاج إلى استبدال

بين حين وحين . وقد رأينا أن هذا الاستبدال وظيفة
الأديب يقوم بها وهو « نصف واع » لأن الوعي التام
قلما يلتج شيئاً ذا قيمة .

* * *

لنعد إلى حديث الأوزان .

في هذا الديوان لون بسيط من « الخروج » على
القواعد المألوفة ، يلاحظ ، في قصائد مثل
« جامعة الظلال » و « لنكن أصدقاء » و « مرثية
يوم تافه » و « أغنية الهاوية » وسواها . وقد يحسن بي
أن أؤكد للقارئ أنني لا أعد نفسي واحدة من
المرهفين الذين تحدثت عنهم في الصفحات السابقة ،
سوى أنني أحسست أن هذا الأسلوب الجديد في ترتيب
تفاعيل الخليل يطلق جناح الشاعر من ألف قيد .
وسأحاول فيما يلي أن أبسط خاصية هذا الأسلوب ،
ووجه أفضليته على أسلوب الخليل . الأبيات التالية
تنتمي إلى البحر الذي سماه الخليل « المتقارب » وهو
يرتكز إلى تقيلة واحدة هي « فعولن » :

يداك للمس النجوم

ونسج الغيوم
يداك لجمع الظلال
وتشييد يوتوبيا في الرمال

أتراني لو كنت استعملت أسلوب الخليل ،
كنت أستطيع التعبير عن المعنى بهذا الإيجاز وهذه
السهولة ؟ ألف لا . فأنا إذ ذاك مضطرة إلى أن أتم
بيتاً له شطران ، فأتكلف معاني أخرى غير هذه ،
أملأ بها المكان ، وربما جاء البيت الأول بعد ذلك
كما يلي :

يداك للمس النجوم الوضاء
ونسج الغائم ملء السماء

وهي صورة جنى عليها نظام الشطرين جنائية
كبيرة . ألم نلصق لفظ « الوضاء » بالنجوم دونما
حاجة يقتضيه المعنى إتماماً للشطر بتفعيلاته الأربع ؟
ألم تنقلب اللفظة الحساسة « الغيوم » إلى مرادفتها
الثقيلة « الغائم » وهي على كل حال لا تؤدي معناها
بدقة ؟ ثم هنالك هذه العبارة الطائشة « ملء السماء »

التي رقعنا بها المعنى ، وقد أردنا له الوقوف فخلقنا له
عكازات ؟

هذا كله إذا نحن اخترنا الوزن « المتقارب » ،
أما إذا اخترنا « الطويل » مثلاً ، فالبلية أعمق وأمر .
إذ ذاك تطول العكازات وتوسع الرقع ، وينكش المعنى
انكماشاً مهيئاً ، فنقول مثلاً :

يداك للمس النجوم أو نسج غيمة
يسيرها الإعصار في كل مشرق
ليلاحظ القارئ بلادة التعبير ، وتقلص المعنى .
وأي من هذا من تعبيرنا الأول :

يداك للمس النجوم

ونسج الغيوم

وينبغي ألا ننسى أن هذا الأسلوب الجديد ،
ليس « خروجاً » على طريقة الخليل ، وإنما هو تعديل
لها ، يتطلبه تطور المعاني والأساليب خلال العصور
التي تفصلنا عن الخليل . فالخليل قد جعل وزن
البحر « الكامل » كما يلي :

متفاعلن متفاعلن متفاعلن
كفائي ترتعشان أين سكينتي ؟

متفاعلن متفاعلن متفاعلن
شفتاي تصطخبان أين هدوئي ؟

مرتكزاً إلى « متفاعلن » التي اعتاد العرب أن
يضعوا ثلاثاً منها في كل شطر . وكل ما سنصنع نحن
الآن ، أن نتلاعب بعدد التفاعيل وترتيبها فتجيء
القصيدة من هذا البحر أحياناً كقصيدة « جدران
وظلال » وهذا مقطع منها :

وهناك في الأعماق شيء جامد
حجرت بلادته المساء عن النهار
شيء رهيب بارد
خلف الستار
يدعى جدار
أواه لو هدم الجدار

ولو قطعناه لجاءت تفعيلاته كما يلي :

متفاعلن متفاعلن متفاعلن
متفاعلن متفاعلن متفاعلن

متفاعلن متفاعلن

متفاعلان

متفاعلان

متفاعلن متفاعلان

ومزية هذه الطريقة انها تحرر الشاعر من طغيان
الشطرين ، فالبيت ذو التفاعيل الست الثابتة ، يضطر
الشاعر إلى أن يختم الكلام عند التفعيلة السادسة ،
وإن كان المعنى الذي يريد قد انتهى عند التفعيلة
الرابعة ، بينما يمكنه الأسلوب الجديد من الوقوف
حيث يشاء .

* * *

ثم نتحدث عن القافية ، ذلك الحجر الذي تلقمه
الطريقة القديمة كل بيت . قالوا أن العربية لغة واسعة
غنية ، وأن ذلك يبرر كونها اللغة الوحيدة التي اتخذت
القافية الموحدة سنة في قصائدها ، ونسوا أن أية لغة
مها اتسمت وغنيت ، لا تستطيع أن تمد « ملحمة »
بقافية موحدة ، أياً كانت ، ولم ينتبهوا إلى أن ذلك
كان واحداً من الأسباب التي حالت دون وجود

الملحمة في الادب العربي ، مع انها وجدت في آداب
الأمم المجاورة ، كالفرس واليونان .

وليس هذا مكان الحديث عن الخسائر الفادحة التي
أنزلتها القافية الموحدة بالشعر العربي طيلة العصور
الماضية ، وانما المهم أن نلاحظ أن هذه القافية تضيفي
على القصيدة لونا رتibia يمل السامع فضلا عما يثير في
نفسه من شعور بتكلف الشاعر وتصيده للقافية . ومن
المؤكد أن القافية الموحدة قد خنقت أحاسيس كثيرة ،
ووأدت معاني لا حصر لها في صدور شعراء أخلصوا
لها . ذلك لأن الشعر الكامل « الغنائي منه خاصة »
والشعر العربي غنائي كله تقريبا ، لا يستطيع أن
يكون إلا وليد الفورة الأولى من الإحساس في صدر
الشاعر ، وهذه الفورة قابلة للخمود لدى أول عائق
يعترض سبيل اندفاعها ، فهي أشبه بحلم سرعان ما
يفيق منه النائم ، والقافية الموحدة قد كانت دائما هي
« العائق » ، فما يكاد الشاعر ينفعل ، وتعتريه الحالة
الشعرية ويمسك بالقلم فيكتب بضعة أبيات ، حتى يبدأ
محصوله من القوافي يتقلص ، فيروح يوزع ذهنه بين

التعبير عن انفعاله ، والتفكير في القافية ، وسرعان
ما تفيض الحالة الشعرية وتهمد فوريتها . ويمضي الشاعر
يصف الكلمات ويرص القوافي دونما حس . ولذلك ،
قلما نجد في أدبنا القديم قصائد موحدة الفكرة ،
يسيطر عليها جو تعبيري واحد منذ مطلعها إلى
ختامها . فالشاعر يضطر إلى مصانعة القافية ، وأنا
أعرف شعراء يختارون القافية ، ثم يكتبون البيت
وفقاً لها ، وهذا أبرز دليل على مدى طغيان هذه
الإلهة المغرورة .

إلا أن من حسن الحظ ، ان شعراءنا المعاصرين قد
استخفوا بسلطان القافية ، وخرجوا عليه فاستعملوا
نظام الرباعية وأشباهاها ، ويكاد هذا يصبح الآن أمراً
مقبولاً ، لا يبقى على قوافي هذا الديوان اعتراضاً ،
إلا أنني أعترف مع ذلك بأنني أخضعت القافية أحياناً ،
لأكثر مما فعل سواي ، فنظمتها في قصيدة « مسامير »
هكذا : « أ ب أ ، ب ج ب ، ج د ج ، د ه د ،
ه و ه .. الخ . »^(١) وفي « رماد » التي استعملت

(١) تكرار الحرف يعني تكرار القافية .

فيها نظام الرباعية كما يلي : « أببأ » وفي « غرباء »
التي استعملت فيها نظام « المقطوعة Stanza » وكانت
القافية في كل مقطوعة تجري هكذا « أأ بب أب » .
أما قصيدة « الكوليرا » فقد كانت المقطوعة فيها
أطول مما « ينبغي » قليلاً وقد جرت على هذا النسق
« أبب ج ج ب د د ب ه ه ه ه » على انني حررت
القافية تحريراً تاماً في قصائد مثل « مر القطار »
و « نهاية السلم » و « خرافات » و « جدران وظلال »
وسواها ، فتركيتها تتكرر كما يشاء السياق دون تقيد
بنظام معين ، ولعل هذه هي الخطوة الوحيدة التي تسبق
الشعر المرسل Blank Verse . وان كان لا يسد من
إشارة إلى قصيدة « الجرح الغاضب » فلا قرر أن
الأسلوب الطريف في تقفيته مقتبس مباشرة عن
الشاعر الأميركي « ادغار آلان بو » في قصيدته البديعة
« Ulalume » .

* * *

قلت أن اللغة العربية لم تكتسب بعد قوة الإيجاء ،
لأن كتابها وشعراءها لم يعتادوا استغلال القوى الكامنة

وراء الألفاظ استغلالاً تاماً ، إلا حديثاً ، فقد بقيت
الألفاظ طيلة قرون الفترة الراكدة « المظلمة .. » ،
تستعمل بمعانيها الشائعة وحدها . وربما كان ذلك هو
السبب في جنوح الجمهور العربي جنوباً شديداً إلى
استنكار المدارس الشعرية التي تعتمد على القوة الإيحائية
للألفاظ ، كالرمزية ، والسريالية ، على اعتبار أن هذه
المدارس تحمل اللغة أثقالاً من الرموز والأحلام الباطنية
والخلجات الغامضة ، واتجاهات اللاشعور ، ومثل
ذلك مما لا تنهض به إلا لغة بلغت قمة نضجها .

والواقع أن القارئ العربي يتهرب من الشعر
الرمزي ، لأن اللغة تجابه التعبير عن مثل هذه
الأساسيس المبهمة أول مرة ، فليس غريباً أن تتلكأ
قليلاً ، وتنتور . أما تعليل الأمر بأن ذاتية العربي تنفر
بطبيعتها من الرموز ولا تجد جمالاً في الدهاليز التي تتلوى
وراء الحس ، والعوالم الخفية التي يعسر إدراكها ،
فأمر لا أعتقد به أنا على الأقل ..

ذلك لأن النفس البشرية عموماً ، ليست واضحة ،
وإنما هي مغلفة بألف ستر . وقد يحدث كثيراً أن

تعبّر الذات عن نفسها بأساليب ملتوية ، تثيرها آلاف
الذكريات المنطمسة الراكدة في أعماق العقل الباطن
منذ سنوات وسنوات ، ومئات الصور العابرة التي تمر
فيحرق فيها العقل الواعي ببرود وينساها نسياناً كلياً
فيتلقفها العقل الباطن ويكنزها مع ملايين الصور
التافهة ، وينلق عليها الباب ، حتى إذا آنس غفلة من
العقل الواعي ، أطلقها صوراً غامضة لا لون لها
ولا شكل .

وليست مثل هذه الأحاسيس الغريبة وقفا على
إنسان دون إنسان ، سوى أن التعبير عنها يختلف .
فالإنسان العادي يراها في أحلامه . أما الفنان فيعبّر
عنها بفنّه وأحلامه معاً . وما دمنا لا نستغرب حين
نستيقظ أحياناً في أعماق الليل وقد حملنا أننا نركض
حفاة ، في قبو قديم ، كان جزءاً من دار خربة كنا
نسكنها منذ ثماني عشرة سنة كاملة ، لم نعد اليها
خلالها مطلقاً ، ومع ذلك لاحظنا في الحلم أدق الأشياء
المنطمسة التافهة التي شاهدناها في السنين الغابرة : ذلك
المسار القديم المعوج على الجدار ، وقد تدلى منه الحبل

الباهت القديم نفسه . ثم هناك ، على ارتفاع أمتار ،
أنبوب المياه الذي كنا في طفولتنا نتسلقه أحياناً .
أقول : ما دمنا لا نستغرب ذلك في حلم فلماذا لا
نتقبله حين يصفه شاعر في قصيدة ؟ إن الشاعر الذاتي
الذي يراقب نفسه ، كما لو كان يراقب بحراً زخراً لا
شيطان له ولا قرار ، لا يستطيع أن يتهرب من مثل
هذه الصور الباهتة المسحوة ، فهي تلاحقه أبداً ، ولا
بد له من وصفها في شعره . والابهام جزء أساسي من
حياة النفس البشرية ، لا مفر لنا من مواجهته ان نحن
أردنا فناً يصف النفس ، وليس حياتها لمساً دقيقاً .

ومع ذلك فالابهام ليس مقصوداً لذاته ، وإنما هو
صورة من صور الحياة ، ولذلك يندر أن نجد شاعراً ،
كل شعره معقد ملتو . أما الذين يتعمدون تعقيد
شعرهم ، فقد يكون (ألدس هكسلي) التمس لهم
بعض العذر حين قال ان المعاصرين يهربون إلى الابهام
خوفاً من الوضوح الذي هو الصفة الأساسية في الأدب
الشعبي .

وليس قصدي من هذا التعليل للتعبير الرمزي

والسريالي، أن أقول ان طائفة من قصائد هذه المجموعة تنتمي إلى هذه المدرسة أو تلك . وإنما أود أن أمهد لطائفة من القصائد التي عاجلت فيها حالات تتعلق بالذات الباطنية أحياناً ، وبالشعور أحياناً ، وهي حالات لم يقف عندها الشعر العربي إلا نادراً ، فهو قد وقف نفسه على معالجة السلوك الخارجي للإنسان .

ففي « الخيط المشدود في شجرة السرو » حاولت رسم صورة شعرية للانفعالات والخواطر التي اعترت شاباً فوجئاً بنبأ موت حبيبته . وسلاحظ أن القصة العاطفية في هذه القصيدة ثانوية الأهمية بالنسبة للخيط المشدود في الشجرة وما كان له من حيلة وثيقة بشرود الشاب المصدوم ، وفي حالة الهذيان الداخلي التي اعترته . فعقدة القصيدة تعتمد على الحالة التي تعترى إنساناً يتلقى نبأ مثيراً فاجعاً ، لا يتوقعه . فهو إذ ذاك يصاب بشرود كبير عميق ، ويبدو أنه لم يسمع النبأ . ويتلفت حوله فتعلق عيناه بأول شيء تافه تصادفانه ، فيفرق في التفكير فيه . وقد كان الشيء التافه في هذه القصيدة هو الخيط . كان مشدودا

في شجرة سرو تقوم عند الباب فانشغل العقل المصدوم
بالتفكير فيه ، وبقي منشغلاً حتى عاد اليه وعيه
وإدراك فداحة المأساة التي نزلت به .

ولن يعثر القارئ على شيء مثير في قصيدة « مر
القطار » ، إن هو توقع أن يجد فيها وصفاً للقطار أو
لرحلة في القطار . فقد كان غرضي الأساسي من
كتابتها أن أعبر عن الشعور الغامض الذي يحسه
المسافر ليلاً بالدرجة الثالثة من القطار . فهناك حالة
التعب الكلي التي يجد فيها المرء نفسه مشوبة بلون من
الكسل والارتخاء . وهناك صوت عجلات القطار
الرتيب الذي لا يتغير ، ولون الغبار المتراكم على كل
شيء ، على الحقائق ، وعلى الوجوه والثياب . ثم
هناك منظر المسافرين الغرباء وقد جمعتهم عربة القطار
صفوفاً . والقطار يصفر بين حين وحين فيثير إحساساً
غريباً في النفس . كل ذلك والسكوت يغمر العربة ،
التي نام أغلبية الموجهين فيها وهم جالسون على
مقاعد م . وبين فترة وأخرى ، يصدف أن يتشابه
مسافر غريب لا نعرفه ، يهتف بملل وبرود « كم الساعة

الآن ؟ » أو « متى نصل ؟ » أو « أين نحن ؟ » أو
مثل ذلك من العبارات . فإذا أحس قارئ « سر
القطار » ببعض هذا الجو كان ذلك حسبي .

أما قصيدة « الأفعوان » فقد عبرت فيها عن
الإحساس الخفي الذي يعترينا أحيانا بأن قوة مجهولة
جبارة ، تطاردنا مطاردة نفسية ملحة . وكثيراً ما
تكون هذه القوة ، مجموعة من الذكريات المحزنة ، أو
هي الندم ، أو عادة نمقتها في سلوكنا الخارجي ، أو
صورة مخيفة قابلناها فلم نعد نستطيع نسيانها ، أو
هي النفس بما لها من رغبات وما فيها من ضعف
وشرود ، أو أي شيء آخر ... فالأمر متوقف على
ذاتية القارئ ، وليس يعنيه أن أعين « افعواني » أنا ،
فذلك أمر ثانوي ، وإنما المهم ، أن هذا الأفعوان
يطاردنا باستمرار وسدى نتهرب منه ، حتى إذا لدنا
باللابرنث Labyrinth وهو تيه معقد المسالك يدخله
المرء فلا يملك مغادرته لالتواء طرقه وكثرة أبوابه ،
حتى إذا استعملنا طريقة الإيجاء الذاتي كما صنعت أنا
في القصيدة :

إنه لن يحيى
لن يحيى وإن عبر المستحيل
أبدأ لن يحيى

فالنتيجة الحتمية ، انه يحيى أخيراً ، وسرعان ما
نصرخ « انه جاء ! » وفي قصيدة « خرافات » يجد
القارئ لونها من الشعور أحسه ، ويحسه كثيرون ،
كلما ساد السكون مكانا . فإذا ذاك نسمع بأذن الروح
ألف قصة تقصها الأشياء الراكدة حولنا . فالسياج
يتكلم ويعيد ما كانت عنده من ذكريات انطمست
وماتت ، و « قصائص الورق الممزق في الخرائب »
تحكي أقاصيص مثيرة عن حوادث بعيدة منسية .
و « الغبار » يقص قصة النسيان الذي تذرعه العصور
على كل شيء ، و « مقاعد الغرف القديمة » تحدث عن
جيل من الناس مر بها يوماً ثم انتقل إلى أفق بعيد
مجهول ، وهكذا ... حتى يكاد الإنسان الحساس لا
يرى شيئاً إلا ويحسه ينغم ويهمس ويطارده بالكلام.

* * *

والذي أعتقد أنه الشعر العربي ، يقف اليوم على

حافة تطور جارف عاصف لن يبغي من الأساليب
القديمة شيئاً ، فالأوزان والقوافي والأساليب والمذاهب
ستزعزع قواعدها جميعاً ، والألفاظ ستوسع حقيقتها
تشمل آفاقاً جديدة واسعة من قوة التعبير ، والتجارب
الشعرية «الموضوعات» ستتجه اتجاهاً سريعاً إلى داخل
النفس ، بعد أن بقيت تحوم حولها من بعيد . أقول
هذا اعتماداً على دراسة بطيئة لشعرنا المعاصر واتجاهاته
وأقوله لأنه النتيجة المنطقية لإقبالنا على قراءة الآداب
الأوروبية ودراسة أحدث النظريات في الفلسفة والفن
وعلم النفس . والواقع أن الذين يريدون الجمع بين
الثقافة الحديثة وتقاليد الشعر القديمة ، أشبه بمن يعيش
اليوم بملابس القرن الأول للهجرة ، ونحن بين اثنين :
أما أن نتعلم النظريات ونتأثر بها ونطبقها ، أو ألا
نتعلمها إطلاقاً .

وقد يفيدنا أن نتذكر دائماً أن التطور الذي يحدث
في الفنون والآداب في عصر ما ، أكثر ما يكون
ناشئاً عن التقاء أمتين أو أكثر . فقد يحدث أن أمة
معينة ، تحمد قابلياتها وتركذ قروناً كاملة بتأثير عوامل
خاصة . ثم يأتي عليها زمن متوثب يوقظها فتتمل

وتتحرك ، وترنو إلى ما حولها ، وتبدأ باستيعاب ما
فاتها من ثقافات ، فتستفيد من تجارب أمة مجاورة
بقيت نشيطة فأضافت إلى الفكر الإنساني فصولا
لامعة . فما يمضي نصف قرن حتى تنتهي الأمة التي
كانت راكدة من مرحلة الاستيعاب ، وتبدأ حيث
وقفت الأمة المجاورة . تبدأ بالإضافة . وهذا هو
الأسلوب الذي يتبعه خط التطور في تاريخ الأمم ،
بحيث لا نستطيع أن نعثر على مذهب ، أو اختراع ،
أو نظرية ، توصلت إليها أمة بعينها ، دون أن
تستفيد من تجارب الأمم الأخرى .

* * *

آخر ما أود أن أقوله في هذه المقدمة ، انني
أؤمن بمستقبل الشعر العربي إيمانا حاراً عميقاً . أؤمن
انه مندفع بكل ما في صدور شعرائه من قوى
ومواهب وإمكانات ، ليتبوأ مكاناً رفيعاً في أدب
العالم .

وألف تحية لشعراء الغد .

١٩٤٩ / ٢ / ٣
نازك الملائكة

كبرياء

لا تَسْلَنِي عَنْ سِرِّ أَدْمَعِي الْحَرِّ
يُفْبِعُضُ الْأَسْرَارَ يَا بَنِي الْوُضُوحَا
بَعْضُهَا يُؤَثِّرُ الْحَيَاةَ وَرَاءَ الْ
حَسِّ لُغْزَا وَإِنْ يَكُنْ بِمَجْرُوحَا

* * *

بَعْضُهَا إِنْ كَشَفَتْهُ يَسْتَحِيلُ حَبِّ
لُ مَهَانَا يَمُوتُ مَوْتًا حَزِينَا

بعضُها بعضُها تكبرُ أن يك
شفة عما وراءه أو يُبينَا

* * *

ومثاتُ الأسرارِ تكمنُ في دم
حقة حزنٍ تلوح في مُقلتينِ
ومثاتُ الألفاظِ في سكتة تهـ
تترُّ خلفَ انطباقه الشفتينِ

* * *

وعيونُ وراءَ أهدابها أشـ
سباحُ ياسٍ في حيرةٍ وانكسارِ
تؤثرُ الظلُّ والظلامَ آرتياعاً
من ضياءٍ يبـوحُ بالأسرارِ

* * *

وقلوبٌ تَضُمُّ أشلاءها فو
قَ جراحٍ وأدمعٍ وذهولٍ
تؤثرُ الموتَ كبرياءً ولا تنط
سقُ بالسِرِّ بالرجاءِ الخجولِ

* * *

وشفاهُ تموتُ ظمأى ولا تسد
سألُ أينَ الرحيقُ؟ أينَ الكأسُ؟
ونفوسٌ تحسُّ أعمقَ إحسًا
سـ وتبدو كأنها لا تحسُّ

* * *

وأكفٌ تودُّ لو مَزَّقَتْ لو
قَتَلَتْ لو تَمَرَّدَتْ في جنونِـ

لو رأيتها الحياةُ قالتُ : هدوءُ
وإدعُ في براءةٍ وسكونٍ

* * *

لو رأيتها ماذا ترى ؟ كلُّ شيءٍ
مُغرقٍ خلفَ دأكناتِ السُّتورِ
ألفُ سترٍ وألفُ ظلٍّ من الكبـ
ستِ عميقٍ وألفُ قيدٍ ونيـرٍ

* * *

لا تسَلني لا تجرحِ السرَّ في نفـ
سي ولا تَمحُ كبرياءَ سكوتي
لو تكلمتُ كانَ في كلِّ لفظٍ
قبرٌ حُلُمٍ وفجرٌ جرحٍ مُميت

* * *

لو تكلمتُ كيفَ ترتعشُ الأشـ
عارُ حزنًا. وترتمي في عيـاءِ
لو كشفتُ السرَّ العميقَ فماذا
يتبقى مني سوى الأشلـاءِ؟

* * *

لو تكلمتُ رعدةً في حياتي
وكياني تلحُّ أن أتكلّمُ
وسكوتي العميق يكم أنفـا
سي وقلبي يكادُ أن يتحطّمُ

* * *

لو تكلمتُ لو سكتُ نداء
نـ عميقانـ كالحيـاةِ استعارا

نتلاقى عليها كل أمرا
ري فأبقى شعرا وحبنا ونارا

* * *

وتظل الحياة تخلق من وجـ
هي قناعاً صليداً يفيض رياء
جامداً بارداً أصمّاً ويخفي
بعض شيء ستيته كبرياء

(١٩٥٨)

يوتوبيا الضائعة

صدى ضائع كسرّاب بعيد
يحاذب روعي صباح مساء
أنام على رجعيّ الأبدى
ويوقظني برقيق الغناء
صدى لم يشأ به قط صدّي
تغني قيثارة في الخفاء
إذا سمعته حياتي ارتقت
حنينا ونادته ألف نداء

يموتُ على رَجْعِهِ كُلُّ جَرْحٍ
بِقَلْبِي وَيُشْرِقُ كُلُّ رَجَاءٍ

وَيَمُضِي شَعُورِي فِي نَشْوَةٍ
يَخْدَرُهُ حُلْمٌ يَوْتُوبِيَا

* * *

ويوتوبيا حُلْمٌ فِي دَمِي
أَمْوَتُ وَأَحْيَا عَلَى ذِكْرِهِ

تَخِيلْتُهُ بِلَدًا مِنْ عَبِيرٍ
عَلَى أَفْقٍ حَرَّتْ فِي سِرِّهِ

هَذَاكَ عَبْرَ فَضَاءٍ بَعِيدٍ
تَذُوبُ الْكَوَاكِبُ فِي سَحَرِهِ

يَمُوتُ الضِّيَاءُ وَلَا يَتَحَقَّقُ
مَا لَوْنُهُ مَا شَذَى زَهْرِهِ

هنالك حيثُ تذوبُ القيودُ
وينطلقُ الفكرُ من أسره
وحيثُ تنامُ عيونُ الحياة
هنالكُ تمتدُّ يوتوبيا

* * *

ويوتوبيا حيثُ يبقى الضياءُ
ولا تغربُ الشمسُ أو تغلسُ
وحيثُ يظلُّ عبيرُ البنفسجِ
حيّاً ولا يذبلُ النرجسُ
وحيثُ تفيضُ الحياةُ رحيقاً
غميراً ولا تفرغُ الأكؤسُ
وحيثُ تضيعُ حدودُ الزمانِ
وحيثُ الكواكبُ لا تنعسُ

هناك الحياةُ اَمَدادُ الشباب
تَقُورُ بنشوتِهِ الأَنفُسُ
هناك يَظَلُّ الرِّيعُ ربيعاً
يَظَلُّ سَكَنُ يونوبيا

* * *

هناك حيثُ وعتُ شهرزاد
أَقاصيصَ غَنَّتْ بِها أَلْفَ ليلَةٍ
وحيثُ ديانا تسوقُ الضياءَ
ونارسيِسُ يعبُدُ في الشمسِ ظِلَّهُ
هناك يوتوبيا في الضبابِ
على شَفَقٍ لم تَرَ العينُ مثَلَهُ
يحفُّ بِها أبدٌ من عطور
ويمنحُها أَلْفَ حَنٍّ وَقَبْلَهُ

وترقُدُ في سَكْرَةٍ لا تُتَحَدُّ
على رَجْعِ أَغْنِيَةٍ مضمحلَةٍ
على شاطئِ كضياءِ النجوم
أسميه شاطئاً يوتوبيا

* * *

هنالك طوّفتُ ذات مساء
وكان معي هيكلٌ كالسرابِ
أحسُّ خطاهُ على الرَّمْلِ لكن
أرى غيرَ شيءٍ وبعضَ سَحَابِ
وكنتُ أحسُّ بجسمي حياةً
تطيرُ بروحي فوق الترابِ
وكان أمامي مرٌّ غريبٌ
تغالفهُ دَفَقَاتُ الضَّبابِ

ويمتدُّ عن جانبيه خليج
وبعضُ جزائرَ بعضُ هضابُ
وفي حلمي صحتُ : أين أسيرُ ؟
فردُّ صدىً : قربَ يوتوبيا !

* * *

أحسستُ في قعر روعي جنونا
وشوقاً عميقاً كبحرٍ عميقٍ
ريدُ انتهاء الطريقِ الغريبِ
إلى البلدِ المتمنَّى السحيقِ
لى ذلكَ الأفقِ الأزليِّ
وحيث يعيشُ أبولو الرقيقُ
سيرُ أسيرُ ولا شيءٌ يبدو
أماميَ غيرَ أمتداد الطريقِ
على ظمأ لوجسودٍ عجيبِ
يذوبُ عليه الندى والبريقُ

على ظمأ صارخ وأخيراً
صحتُ ولم أرَ يوتوبيا

* * *

وفي حلم آخر كنتُ أمشي
على شاطئ من حصي ورمال
غريب غريب بلون الأثير

يحفُّ به أفق كالخيال
تناهى بأقدام المتعبات
إلى صخرة رسخت كالجمال
تسلقها أمل مضمحل

فقد تترحل حتى الظلال
وقفتُ على قدميها أنوح
على حلم بائس لن يُنال
وساءلت ماذا ترى خلفها ؟

فقال لي الرمل : يوتوبيا !

* * *

وفي 'حلم' ثالث 'خلت' نفسي
 على بابها المرمرى الكبير
 أصدق في نشوة لا تحدد
 أكاد أجن .. أكاد أطيح
 أحقأ أرى الباب ؟ ألواح
 تلوح مبطنة بالحرير
 تقدمت واجفة في خشوع
 وفي مقلتي ومض 'حلم' قرير
 أدق على الباب في نشوة
 ولا رد غير السكون المرير
 فصحت بصوت حبيس : دعوني
 أموت على باب يوتوبيا

* * *

ومرتُ حياتيَ مرّت سدى
ولا شيء يُطفئ نارَ الحنينِ
سدىّ قد عبرتُ صحارى الوجود
سدىّ قد جررتُ قيودَ السنينِ
وما زلتُ أذرعُ صمتَ القفارِ
وأسالُ عن سرّها العابرينِ
يطولُ على قلبي الإنتظار
وأغرقُ في بحر ياسٍ حزينِ
أحاولُ أن أتعزى بشيءٍ
بغابٍ ، بوادٍ ، بظلة تينِ
دقائقَ ... ثم أخيبُ وأهتفُ :
لا شيء يشبه يوتوبيسا

سأبقى تجاذبني الأمنيات
إلى الأفق السرمدي البعيد
وأحلم أحلم لا أستفيـ
ق إلا لأحلم حلمًا جديد
أقبلُ جذرائها في الخيال
وأسالُ عنها الفضاء المديد
وأسالُ عنها انسكابَ العطور
وقطرَ الندى وركامَ الجليد
وأسالُ حتى يموتَ السؤال
على شفتي وينخبو النشيد
وحين أموت .. أموتُ وقلبي
على موعدٍ مع يوتوبيا

تواريخ قديمة وجديدة

لَيْسِيرٌ كَانَ أَمْسٌ وَمَاتُ مِنْذُ بَضْعِ مِائَةِ السَّنِينَ
مَسَحَتْ ذِكْرَهُ السَّنَوَاتُ وَطَوَتْهُ مَعَ الْمَيِّتِينَ

وَبَحَثْنَا زَمَانًا طَوِيلَ عَنْ كَوَاكِبِ الْآفَلَاتِ
وَاسْتَعَرْنَا يَدَ الْمُسْتَحِيلِ لِنُعِيدَ إِلَيْهِ الْحَيَاةَ

وَأَهْبْنَا بِرُكْبِ الْعُصُورِ أَنْ يَعُودَ عَلَى بَدْءِ
عَلَّنَا نَسْتَعِيدُ الشُّعُورَ فَرَجَعْنَا بِلا شَيْءِ

كم شققنا هناك الظلام
ونبشنا ركام العظام
وعبرنا سكون الركود
لم نجد شيئاً المفقود

ورأينا هناك جباه
وعيوناً طوتها الحياه
لا ترى فهي عمياء
صمتت فهي خرساء

ورأينا رفات قلوب
وسدى حاولت أن تؤوب
حنطتها يد الذكريات
معناها .. فهي رفات

ورأينا شفاهاً خوت
وأكفاً ذوت وانطوت
لم تعد تشتكي أو تجوع
لم يعد لأساها دموع

وسألنا عن الأمس
وهناك على الرمش
فعلثنا على تابوت
نحس الزمن المبهوت

ورَجَعْنَا إِلَى التَّقْوِيمِ عَلَّانَا نَخْدَعُ الْأَيَّامَ
فَسَمِعْنَا صِرَاحَ الْهَشِيمِ خَلْفَ سَخَرِيَةِ الْأَرْقَامِ

ورَأَيْنَا الْغَدَّ الْمُنْتَظَرِ سَاحِبًا نَصْفَهُ الْمَشْلُولِ
سَاحِبًا نَصْفَهُ الْمُحْتَقَرِ نَصْفَهُ الْجَامِدَ الْمَمْلُولِ

وَهَنَّاكَ انْطَوَى سِفْرُ وَاخْتَتَمْنَا النَشِيدَ الْقَدِيمِ
وَعَدَا يَنْبُتُ الْعُصْمَرُ فَوْقَ جُرْحِ الزَّمَانِ الْأَلِيمِ

وَيَتِيهِ صَدَى الْأَمْسِ فِي مَدَارِ الزَّمَانِ الْعَمِيقِ
وَنُحِيسُ عَلَى الْكَاسِ فَوْرَةَ الْحُلْمِ الْمُسْتَفِيقِ

صراع

أحبُّ .. أحبُّ .. فقلبيُ جنون
وسورةُ حبٍّ عميقِ المَدَى
أحبُّ فروحيَ حسُّ غريبُ
يضيعُ لديه جمودي سُدى
حياتيَ في العالمِ الشاعريِّ
لهيبُ من الحبِّ لن يخبثُ
وجسمي قلبُ خَفُوقُ خَفُوق
سيلبثُ ملتهباً موقداً

وأكرهُ أكرهُ قلبي لهيبُ
وسورةُ مَمَت كَبيرِ كَبيرِ

وروحِي مستعرُ الإحتقار
يرى الكونَ أفقاً وضيعاً حقير

حياتي تحسّ وجيبَ الحقود
على عالم مغرقٍ في الشرور

ونفسي في ثورة لا تقهرُ
تحقرُ ما حولها من صخور

أحبُّ وأكرهُ .. حبي شقاءُ

أحبُّ وأكره .. كرهِي ألمُ

ففيّ أعيشُ ؟ سئمتُ البقاءُ

وشاقَ حياتي صمتُ العدمِ

* * *

وأبكي .. وأبكي .. فدمعي لهيب
يحطّمُ رُوحِي ويُذوي المني
تعذبني حَيرتي في الوجود
وأصرُخُ من المني : من أنا
مُنحتُ عيوناً تحبُّ الدموع
وقلباً يحبُّ أن يُطعنا
وروحاً تعثر فيها يريد
فجّ الظلام وعاف السنّ

وأضحكُ من كلِّ ما في الوجود
وفي ضحكي مَرَحٌ ساخرٌ
فقلبي سخريةٌ واحتقارٌ
يثيرها العالمُ العاثرُ

أُحَدِّقُ مِنْ قِمَّتِي فِي الشَّرَى
فِيُضْحِكُنِي دَوْدُهُ النَّاخِرُ
وَأُضْحِكُ ضُحْكَةً رَبِّ كَثِيبٍ
تَمَرَّدَ مَخْلُوقُهُ الْكَافِرُ

وَأَبْكِي وَاضْحَكُ .. دَمْعِي دَمَاءُ
وَأَبْكِي وَاضْحَكُ .. ضُحْكِي نَدَمُ
فَفِيمَ أَمْرٍ غُ تَحْتَ الضِّيَاءِ
فَوَادَا سِرْقَدُ تَحْتَ الظُّلَمِ

* * *

أُرِيدُ وَأَجْهَلُ مَاذَا أُرِيدُ
أُرِيدُ وَعَاطِفَتِي لَا تُرِيدُ
أَحِبُّ السَّمَاءَ وَلَوْنَ النُّجُومِ
وَأَمِيقَتُهَا كُلَّ فَجْرِ جَدِيدِ

أريدُ وأشعرُ أني أحسُّ
ويسخرُ مما أحسُّ الوجودُ
وأرغبُ في حلمٍ غامضٍ
فليس له هيكلٌ أو حدودُ

وأنفِرُ من كلِّ ما في الوجود
وأهربُ من كلِّ شيءٍ أراه
ففي عمقِ نفسي صوتٌ غريب
يعلمُ قلبي ازدراءَ الحياة

ويصرخُ بي : إهربي إهربي
ويُتعبُ احساسَ روحي صَداه
فاهتفُ يا عالمي : لا أريدُ !
وتصرخُ بي ذكرياتي : النجاة !

أريدُ وانقرُ تحت السَّاءُ
فارسمُ كلَّ صراعى نغمُ
ومن أجلِ لحنى سارضى البقاء
وعارَ الحياةِ وذُلَّ الألمِ

* * *

أحبُّ وأكره ماذا أحبُّ
وأكره ؟ أيُّ شعورٍ عجيبُ ؟
وأبكي وأضحك ماذا ترى
يشيرُ بكائي وضحكي الغريبُ ؟
أريدُ وأنقرُ ، أيُّ جنونٍ
حياتي ؟ أيُّ صراعٍ رهيبُ ؟
لماذا أغني ؟ لماذا أعيشُ ؟
ومنذا أصارعه ، من يُجيبُ ؟

عندما انبعث الماضي

أمس في الليل وكانت صورُ الأسرار شتّى
تتصبّى حاضري الغافي وكان الأملُ مميّتا
خِلْتُني كفنتُه ذاتَ مساءٍ
وتحصنتُ بدعوى كبريائي
سمعتُ رُوحِي في إغفاءٍ الظُّلّة صوتا
لم يكن حُلماً خرافيّاً السّطورِ
بعثتهُ رغبةٌ خلف شعوري
كان شيئاً ، كان في صمتِ الدُّجى صوتك أنتا

ذلك الصوتُ الذي يعرفهُ سمعي مليًا
صوتُ ماضيٍّ الذي ماتَ وما خلفَ شيئًا
غيرَ أشتاتٍ احتقارٍ باهتٍ
رسبتُ في قعرِ قلبي الصامتِ
غيرَ أشتاتٍ أدِّكاراتٍ لحبٍّ كان حيًّا
منذُ أعوامٍ .. وقد فاتَ ومرًّا
منذُ أعوامٍ .. وصار الآن ذكرًا
لفيها الماضي ووارها الترابُ الأبدى

ذلك الصوتُ الذي مرَّ على سمعي أمسٍ
كان يومًا رغبةً تُجشَّشُ في أعماقٍ نفسي
كان حلمًا ذائبًا في عبراتي
كان حبًّا تائبًا في أمنياتي
ثم حطمتُ على ذكراهُ قيثاري وكاسي
عندما ضيعتهُ تحت الضبابِ
وتعثرتُ بأشلاءِ شبابي

وَتَهَاوَيْتُ عَلَى نُجْثَةٍ أَحْلَامِي وَأُنْسِي

وَمَضَى عَامَانِ مَطْوَطَانِ مَرًّا فِي شُحُوبِ

كَانَ تُعْمَرِي خَرِبَةً يَصْبِغُهَا لَوْنُ الْغُرُوبِ

تَذَرَعُ الْأَشْبَاحُ فِي الصَّمْتِ دَجَاجًا

وَيَعِيشُ الْيَوْمُ فِي ظِلِّ أَسَاسِهَا

كَلَّمَا جَالَتْ بِي الْخَيْسِرَةُ فِي الْقَبَبِ وَالْغَرِيبِ

مَدَّتْ الذِّكْرَى ذِرَاعَيْهَا إِلَيَّ

لَوْ أَنَّهَا يَخْلُقُ مِنْ رُعْيَى دُنْيَا

وَيُثِيرُ الْوَتَرَ الْمَيْتَ فِي قَلْبِي الْكَتِيبِ

وَانْتَقَضَى عَامَانِ مَلْعُونَانِ مِنْ أَعْوَامِ حَيِّ

مَزَّقَتْ رُوحِي أَظْفَارُهَا ، رُوحِي وَقَلْبِي

لَمْ تَدَعْ حَتَّى شِرَاعًا مِنْ رَجَاءِ

أَبَدًا لَمْ تُبْقِ إِلَّا كِبْرِيَايَ

وأبديّة اذكّاراتٍ لها قسوةٌ ذئبيّة
عرفتُ رُوحِي فيها لونَ أمسي
أمسيّ الراسبُ في أعماقِ حُسي
عرفتُ فيها صدى الصوت الذي غمغم قربي
انه الأمسُ إذنٌ عاد ليحيّا من جديدٍ
إنه عاد إذن يطرقُ أبوابَ سُرودي
أسفاً يا شبحي عُدتُ للترابِ
لم تعدُ تملكُ أن تطرُقَ بابي
لم يعدَ يربطنا إلا ركامٌ من حدودِ
هُوةٍ أعمقُ من ذنبك ! ماذا ؟
قد تبقى لك عندي غيرُ هذا ؟
غير ذكريّ عبرتُ يوماً ومرّتُ بوجودي ؟

مر القطار

الليلُ ممتدُّ السكونِ إلى المدى
لا شيءَ يقطعُه سوى صوتِ بليدٍ
لحمامةٍ حيرى و كلبٍ ينبَحُ النجمَ البعيدُ ،
والساعةُ البلهاءُ تلتهمُ الغدا
وهناك في بعضِ الجهاتِ
مرُّ القطارِ
عجلاتهُ غزلتُ رجاءً بتُ أنتظرُ النهارَ
من أجليه .. مرُّ القطارِ

وخبا بعيداً في السكون
خلف التلالِ النائيات
لم يبقَ في نفسي سوى رجحٍ وهُونُ
وأنا أهدقُ في النجومِ الحالماتُ
أتخيلُ العرباتِ والصفَّ الطويلُ
من ساهرينَ ومتعبينَ
أتخيلُ الليلَ الثقيلُ
في أعينِ سئمتُ وجوهَ الراكبينُ
في ضوءِ مصباحِ القطارِ الباهتِ
سئمتُ مراقبةَ الظلامِ الصامتِ
أتصورُ الضجرَ المريرُ
في أنفُسٍ ملّت وأتعبها الصغيرُ
هي والحقائبُ في انتظارُ
هي والحقائبُ تحت أكداسِ الغبارُ

تغفو دقائقٌ ثم يوقظُها القطارُ
ويُطيلُ بعضُ الراكبينُ
متثائباً ، نعيسانَ ، في كسلٍ يحدّق في القِيفارُ
ويعودُ ينظرُ في وجوه الآخرينُ
في أوجه الغرباء يجمعهم قطارُ
ويكادُ يغفو ثم يسمَعُ في سُرودُ
صوتاً يغمغمُ في بُرودُ
« هذي العقاربُ لا تسيرُ !
كم مرّةً من هذا المساء ؟ متى الوصول ؟ »
وتدقُّ ساعتهُ ثلاثاً في دُحولُ
وهنا يقاطعهُ الصغيرُ
ويلوحُ مصباحُ الخفيرِ
ويلوحُ ضوءُ محطةٍ عبرَ المساءِ
إذ ذاكَ يتدّ القطارُ المُجهَدُ

... وفتى هنالك في انطواء
يابسى الرقادة ولم يزل يتنهد
سهران يرتقب النجوم
في مقلتيه برودة خط الوجوم
أطرافها .. في وجهه لون غريب
ألقت عليه حرارة الأحلام آثار احرار
شفتاه في شبه اقترار
عن شبه حلم يفرش الليل الجديب
بحفيف أجنحة خفيات السحون
عيناه في شبه انطباق
وكانتها تخشى فرار أشعة خلف الجفون
أو أن ترى شيئاً مقيتاً لا يطاق
هذا الفتى الضجير الحزين
عبثاً يحاول أن يرى في الآخرين

شيئاً سوى اللُّغزِ القديمِ
والقصّةِ الكبرى التي سئمَ الوجودُ
أبطالها وفصولها ومضى يراقبُ في برودِ
تكرارها البالي السقيمِ
هذا الفتى

وتمرُّ أقدامُ الخفيرِ
ويُطِيلُ وجهُ عابسٍ خلفَ الزُّجاجِ ،
وجهُ الخفيرِ !

ويهرُّ في يديه السِراجُ
فيرى الوجوهَ المتعبه
والنائمينَ وهمُ جلوسٌ في القطارِ
والأعينَ المترقبه
في كلِّ جفنٍ صرخةٌ باسمِ النهارِ ،
وتضيعُ أقدامُ الخفيرِ الساهرِ

خلفَ الظلامِ الراكِدِ

مرَّ القطارُ وضاع في قلبِ القفارِ
وبقيت وحدي أسألُ الليلَ الشرُّودُ
عن شاعري ومتى يعودُ ؟
ومتى يجيءُ به القطارُ ؟
أترأهُ مرَّ به الحفيرُ
ورأه لم يعبا به .. كالأخرينُ
ومضى يسيرُ
هو والسراجُ ويفحصانِ الراكبينُ
وأنا هنا ما زلتُ أرقُبُ في انتظارِ
وأودُّ لو جاءَ القطارُ

١٩٤٨

عروق خامدة

يا حُبُّ لم تَبْقَ لنا ذكرى	لم يَطْوِها الموتُ
كان لنا ماضٍ وقد مرًّا	ولفه الصمتُ
نحن هنا وهماءٍ ، لا لونا	لا صوتَ لا شكلا
سرابٌ لا شيئينِ ، لا معنى	لا لفظَ لا ظلاً
تدفعُنا الآهاتُ والأحزانُ	وما لنا مأوى
يا ليتنا نظفَرُ بالنسيانُ	أو نمنحُ السلوى
نبكي فلا تحنو علينا يدُ	بربِّةٍ من حنانُ
نحن هنا اللأَمْسُ واللا غدُ	نحن هنا اللاكيانُ

أَعَيْنَا أَفَقٌ بِلَا لَوْنٍ
شَفَاهُنَا لَحْمٌ بِلَا لَحْنٍ

وَنَلْتَقِي فَتَسْكُتُ النَجْوَى
وُضْحَكُهُ تَبْدُو بِلَا جَدْوَى

وَتَلْتَقِي الْكَفَّانِ أَيْنَ الرِّغَابِ
أَصَابِعُ مَيِّتَةِ الْأَعْصَابِ

وَأَعَيْنُ فَارِغَةً الْأَحْدَاقِ
الشَّرْقُ فِيهَا أَسْوَدُ الْآفَاقِ

وَأَذْرَعُ صَمَاءُ كَالْأَحْجَارِ
جَامِدَةٌ لَوْ لَامَسَتْهَا النَّارُ

وَنَلْتَقِي يَنْقُصُنَا شَيْءٌ
شَفَاهُنَا يُنْكِرُهَا الضُّوْءُ

لَا يَعْكِسُ الْأَشْيَاءُ
وَرَوْحَنَا أَشْلَاءُ

وَتُكْتَمُ الْأَنْفَاسُ
يَنْقُصُهَا الْإِحْسَاسُ

وَرَعِشَةُ الْأَشْوَاقِ؟
لَيْسَ لَهَا أَعْمَاقُ

لَيْسَ لَهَا قَلْبٌ
وَيَلَهَثُ الْغَرْبُ

فَارَقَهَا الشُّوقُ
لَمْ يَسْتَفِيقْ عِرْقُ

شَيْءٌ وَرَاءَ الرُّوحِ
وَلَيْلُنَا بِمَجْرُوحِ

ونلتقي تفصيلنا آلام
يعزُّ أن تجمعنا الأيام

وأدمع خرُس
وبيننا الأمس

وبيننا هـاوية الذكرى
سُدَى أريد الضَّفة الأخرى

تقذِفُ بالأشباح
قد غرقَ الملاح

١٩٤٨

الجرح الغاضب

أغضبُ أغضبُ لن أحتملَ الجرحَ الساخرُ
جرحُ قد مرَّ مساءَ الأملِ على قلبي
جرحُ يحتم كالليلِ المَعْتَمِ في قلبي
يحتمُ أسودَ كالنِقْمَةِ في فكرٍ ثائرُ
جرحُ لم يعرفَ إنسانُ قبلي مثلهُ
لن يشكوَ قلبُ بشريٍّ بعدي مثلهُ
الظلمةُ في أمسي المطوي أحستهُ
ومضتْ تهمسُ في صمتِ الليلِ : من الجاني

حتى الأبدية والآفاق أحسنه
وتناسى ، لم يعبا ، لم ينتبه الجاني .

* * *

أغضب ، تغضب لي همسات الليل الصامت
وتحيل الجو الواجم صرخة جبار
وتقول الأنجم : هذي تقمة جبار
ويثور بقلب الأبدية جرح ساكت
أغضب ، يرتعش الموج معي تحت القمر
ويضج وتبلغ ثورته سمع القمر
ويجن الغيم الأسود في عرض الأفق
ويلف الشاطئ ثوب حداد كجنازه
يتحول صمتي نارا تصرخ في الأفق
وأغني رقة إحساسي لحن جنازه

* * *

أمسي ، في أمسي قد دُفِنتُ أشلاء غدي
كانتُ ، لم يَدْر بها أحدٌ ، شبهُ جريمه
الجرحُ النديانُ سيشهد ، أيُّ جريمه
كيفَ على الأرض تساقطَ حلمي بين يدي
كيف المقدورُ مضى نَزِقًا يقتل قلبا ؟
وتبقتُ بضعةُ أشلاءٍ كانتُ قلبا
وتبقتُ ذكرىً مُطفأةً كانتُ أما
وتبقتُ أناتٌ حيرى كانتُ لحنا
جُدرانٌ عاريةٌ كانتُ يوما أما
أصداءٌ في غارٍ خاوي كانتُ لحنا

* * *

ومن الأعماق تصاعدَ صوتٌ مخنوقٌ
يهتفُ في حزنٍ ، في جَزَعٍ : كيف أبوحُ ؟
ليت الجرحُ المظلومَ الى الليلِ يبوحُ

قد يثأرُ لي مطرٌ ورعودٌ وبروقٌ
ورأيتُ على الأفقِ المخضوبِ بفيضِ دمي
شبحاً تفتُرُ على فيه قطراتُ دمي
عيناهُ الزرقاوانِ مساءً أهوالِ
ويداهُ السوداوانِ ذراعاً عفريتِ
شبحٌ مجنونٌ أيقظَ عاصفَ أهوالِ
وأحـالَ دياجيري أحجية عفريتِ

* * *

أغضبُ للجرحِ المختلجِ الشاكي أغضبُ
سَيُجَنُّ معي الصبرُ المذبوحُ المرتعشُ
سَتُجَنُّ معي اللعنةُ والحيقْدُ المرتعشُ
ستثورُ معي الذكرى ستثورُ ولا مهربُ
لا مهربَ من جرحٍ قد مرَّ على قلبي
جرحٌ يصرخُ كالجوعِ البائسِ في قلبي

الظلمةُ في صمتِ الآفاقِ أحسَّتْهُ
ومضتْ تسالُ في قلبِ الليلِ : من الجاني ؟
حتى القُمريَّةُ والأشجارُ أحسَّتْهُ
وتضاحكٌ ، لم يشعرْ ، لم ينتبهِ الجاني

١٩٤٨

الباحثة عن الغد

رَوَتْهُ الحياهُ	« غداً نلتقي » نَبَأُ في الزمانُ
تلاشى وتاهُ	تلاشى ولم تروِه شَفَتانُ
وعادَ ضَبَّابا	وجاءَ غدُ ثم ولى وماتُ
أعادتُ ترابا ؟	فأينَ « غداً نلتقي » يا حياةُ
وضاعَ المكانُ	« غداً نلتقي » ثم ماتَ الزمانُ
على لا كيانُ ؟	وهل يلتقي أبداً عاشقاتُ

وكان لنا موعدٌ فانطوى
وبكم كوكبٌ في الدياجي هوى

وكانت لنا قصةٌ كالبشر
فأسفر آخرها عن قدر

وكنّا نمرُ فترنو الحياة
وها نحنُ تختصم الذكرياتُ

ويطرُدُنا الأمسُ من كلِّ ما
سوى حاضرٍ مغرقٍ في الدما

ونسَمَعُ بعضاً وراءَ المساءِ
صدى لفظتينِ يجوسُ الفضاءُ

ويأتي غدٌ في أسيٍّ وشرودٍ
بألفِ صدىٍ ساخرٍ في برودٍ

صداهُ وماتُ
وعادَ رُفَاتُ

نسيجُ السنينِ
وذابَ الرنينُ

وتومي الينا
على شفتينا

ملكناه يوماً
ويقطرُ سماءُ

من المشرقِ
« غداً نلتقي »

بصمتِ طويلٍ
وراءَ النخيلِ

سكون الخريف	« غداً نلتقي ، ويسود السكون
صراخاً عنيف	وأسمع تحت المساء الحنوت
كجؤ القبور	وقهقهة ، فظة ، بارده
وراء العصور	تردها شفة حاقده
وتسخر مني	« غداً نلتقي ، وتمطّ النغم
يفتّش عني	ويبقى غدي تائهاً في الظلم

١٩٤٨

الأعدوان

أين أمشي ؟ مللتُ الدروبُ
وسئمت المروجُ
والعدوُّ الخفي اللجوج
لم يزل يقتفي خطواتي ، فأين الهروب ؟
الممرات والطرق الزاهباتُ
بالأغاني إلى كل أفق غريبُ
ودروب الحياة
والدهاليز في ظلمات الدجى الخالكات
وزوايا النهار الجديب
جبتها كلها ، وعدوِّي الخفي العنيدُ
صامد كجبال الجليد
في الشمال البعيد

صامدٌ كصمودِ النُجُومِ
في عُيونِ جَفَافِها الرُّقَادِ
ورمَشَها أَكْفُ الهُمُومِ
بجراحِ السُّهَادِ
صامدٌ كصمودِ الزَّمنِ
ساعةَ الانتظارِ
كلُّها أَمَعَتُ في الفِرَارِ
خَطُواتي تَخْطِي القَنَنِ
وأَتَانِي بما حَطَّمَتْهُ "جُهودُ النِّهارِ"
من قِيودِ التَّذَكُّرِ... لَنْ أُنْشِدَ الانْفِلَاتِ
من قِيودي ، وَأَيُّ انْفِلَاتِ
وَعْدَوِي الخَيفِ
مَقْلَتَاهُ تَمَجُّ الخَرِيفِ
فَوْقَ رُوحِ تَرْيدِ الرِّيبِ

ووراءَ الضَّبَابِ الشَّفِيفِ
ذلكُ الأفْعوانُ الفُظْيَعُ
ذلكُ الغولُ أي انعتاقُ
من ظلالِ يَدَيْهِ على جَبْهَتِي الباردة
أين أنجو وأهدأ بهُ الحاقده
في طريقي تَصُبُّ غداً مَيِّتاً لا يُطَاقُ ؟

*

أين أمشي ؟ وأيُّ النخساءِ
يُغْلِقُ البابَ دونَ عدوِّي المُريبِ
إنه يتحدَّى الرجاءَ
ويقهقهُ سخريةً من وجومي الرهيبِ
إنه لا يُحسُّ البكاءَ
أين .. أينَ أغيبُ
هَرَبِي المستمرُّ الرتيبُ

لم يَعُدْ يستجيبُ
لنداءِ ارتياحي وفيهِ صُراخُ النداءِ ؟
هل هناك ملاذٌ قريبٌ
أو بعيدٌ .. سامضي وإن كانَ خلفَ السماءِ
أو وراءَ حدودِ الرجاءِ
ثم ذاتَ مساءٍ
أسمعُ الصَّوْتِ :
« سيري فهذا طريقٌ عميقٌ
يتخطى حدودَ المكانِ
لن تعي فيه صوتاً لغممةِ الأفقِ
إنه « لا بَرْنُثْ » سحيقٌ
ربما شِدَّتْهُ يدٌ في قديمِ الزمانِ
لأميرٍ غريبِ الطباعِ
ثم ماتَ الأميرُ .. وأبقى الطريقُ

لَا كُفَّ الضِّيَاعُ ،
أَسْمَعُ الصَّوْتَ مَلَأَ الْبَقَاعُ
فَأَسِيرُ لِعَلِّي أَفِيقُ
مَنْ دِيَاجِيرُ كَابُوسِي الْآبِدِي الصَّفِيقُ
رَبَّمَا سَيَظِلُّ عِدْوِي الطَّرِيقُ
مَا أَحَبُّ الْمَسِيرَ وَلَيْسَ وَرَائِي خُطَى مَاتَتْهُ
تَتَمَطَّى بِأَصْدَائِهَا الْبَاهِتَةَ
فِي مَحَانِي طَرِيقِي الطَّوِيلُ
إِنَّهُ لَنْ يَجِيءَ
لَنْ يَجِيءَ وَإِنْ عَبَرَ الْمُسْتَحِيلُ
أَبَدًا لَنْ يَجِيءَ
لَنْ يَرَاهُ فَوَادِي الْبَرِيءِ
مَنْ جَدِيدٍ يَثِيرُ الرِّيحُ
لَتَسُدَّ عَلَيَّ السَّبِيلُ

في هدوء الصباح
أبدأ لن يجيء
لن يجيء !
وأسمع قهقهة حاقده
إنه جاء . يا لضياع رجائي الكسير
في دُجى اللا برنث الضرير
وأحس اليد الماردة
تضغطُ البرد والرُعبَ فوق هدوئي الغرير
بأصابعها الجامده
إنه جاء .. فيم المسير ؟
ساودع حلمي القصير
وأعودُ بجثته الباردة .

وتمرُّ تمرُّ الحياة
وعدوي الخفي العنيد

خلف كل طريق جديد
في ليالي الأسى الحالكات
خلف كل سحر
وأراه يُطلُّ عليّ مع المنتظر
مع أمسي البعيد
مع ضوء القمر
في الفضاء المديد
أين أين المفر
من عدوي العنيد
وهو مثل القدر
سرمدي ، خفي ، أيد .
سرمدي ، أيد .

١٩٤٨

خرافات

« مديّة إلى صديقي ديزي الأمير تحية
لذكرى مساء فلاننا فيه كل شيء حق
الكرامي والناقص والستائر » .

قالوا الحياة

هي لونٌ عينيّ ميّت
هي وقعُ خطو القاتلِ المتلفّتِ
أيامها المتجعداتُ
كالعطفِ المسمومِ ينضحُ بالدماتِ
أحلامها بسّاتُ سَعْلَةٍ مخدّرةِ العيونِ
ووراءَ بسمتها المنُونُ

قالوا الأملُ

هو حَسْرَةُ الظَّمآنِ حينَ يرى الكؤوسَ
في صورةٍ فوق الجدارِ
هو ذلكَ اللونُ العَبُوسُ
في وجهِ عُصفورٍ تَحَطَّمَتْ عُشُّهُ فبَكَى وطارَ
وأقامَ ينتظرُ الصِّباحَ لعلَّ مُعْجِزَةً تُعيدُ
أَنْقَاضَ ماواهُ المخرَّبِ من جديدٍ .

قالوا النعيمُ

وبحثتُ عنه في العيونِ الغائراتِ
في قصَّةِ البؤسِ التي كُتِبَتْ على بعضِ الوجوهِ
في الدهرِ تاكلُهُ سنوه
في الزهرِ يرصدُ عِطرَهُ شَبِيحُ الذبولِ

في نجمةٍ حسناءٍ يرُصدُها الأفولُ
قالوا النعيمُ ولم أجدهُ فهل طوى غدهُ وماتُ؟

قالوا السكونُ

أسطورةٌ حمقاءُ جاء بها جمادُ
يُصغي بأذنيه ويتركُ روحه تحت الرمادُ
لم يسمع الصرّخاتِ يُرسلُها السياجُ ،
وقصائصُ الورقِ الممزّقِ في الخرائبِ ، والغبارُ ،
ومقاعدُ الغُرَفِ القديمة ، والزُّجاجُ ،
غطّاهُ نسيجُ العنكبوتِ ، ومعطفُ فوق الجدارُ .

قالوا الشباب

وسالتُ عنه فحدثوني عن سنينُ

تأتي فينقشعُ الضَّبَابُ
وتحدثوا عن جنةٍ خلف السَّرَابِ
وتحدثوا عن واحةٍ للمتعبينُ
وبلغتها فوجدتُ أحلامَ الغدِ
مصلوبةً عند الرِّتَاجِ الموصدِ

قالوا الخلودُ

ووجدتهُ ظلاً تغطّي في بُرودِ
فوق المدافنِ حيثُ تنكشُ الحياةُ
ووجدتهُ لفظاً على بعضِ السماءِ
غنّته وهي تنوحُ ماضيها وتنزلهُ اللحدُ
غنّته وهي تموتُ ... يا إلّازدراء !
قالوا الخلودُ ، ولم أجدُ إلا الفناء .

قالوا القلوبُ

ووجدتُ أبواباً تؤدي في اختناقِ

لمقابرٍ دُفِنَ الشعورُ بها وماتَ غدُ الخيالِ
جدرانُها اللزجاتُ تبتلعُ الجمالَ
وتتجُّ قبحا لا يُطاقُ
وهربتُ شاحبةً أتلُكُ إذنَ قلوبٍ ؟
يا خيبةَ الأحلامِ . إني لن أؤوبُ .

قالوا العيونُ

ووجدتُ أجفانا وليس لها بَصَرُ
وعرَفْتُ أهداباً تُشدِّدُنِ إلى حَجَرِ
وخبرتُ أقباءَ ملفعةً باستارِ الظنونِ
عمياءَ عن غيرِ الشرورِ وإن تكن تُدعى عيونُ
وعرفتُ آلافاً وأعينُهم صفائحُ من زجاجِ
زرقاءُ في لونِ السماءِ ، وخلفَ زرقتها دَيَاجُ

قالوا وقالوا

ألفاظهم لاكت ترددها الرياح
في عالم أصواته الجوفاء يرصدها الفناء
المتعبون بلا ارتياح
الضائعون بلا انتهاء
قالوا وقلت وليس يبقى ما يُقال
يا للخرافة ! يا لسخرية الخيال !

١٩٤٨

جمود

في ظلام الوجود	في سُكونِ المساء
واعتراني جمود	حينَ نامَ الضياءُ
في مكانٍ بعيد	خِلْتُ نفسي أسير
تحت رجلي قيود	فوق قلبي أثير
في دمي نوء	في كياني فتور
وهو لا شيء	لقبوه الشعور
روحي المبهم	في إسمار الألم
أهـ لـر أفهم	يا معاني العدم

في ضباب الوجود

وغدا سأعود

جسدي في الألم

بين همس العدم

وسكوني حياة

النجاة النجاة

أنا حلم

أم أنا جسم

بل أنا آفاق

وأنا أعماق

المقايس

الاحاسيس

أنا كالسر

دون أن أدري

خاطري في القيود

وصراخ الوجود

وظلامي يريق

من شعوري العميق

وشعور طهور

مغرق في الشرور

من شعور عنيف

من خضم خفيف

ليس تغنيني

هي قانوني

أنا لا أهوى
فلذا دوى

سرتُ لا ألوي
فغداً يطوي

في دمي إعصارُ
وشظايا نارُ

كلُّ قلبي شكُّ
فكرةٌ تضجُّكُ

إن يكُ الجسمُ
فأنا لثمٌ ...

إن يكُ العقلُ
فأنا حلُّ

ما يُحبُّ الناسُ
في دمي إحساسُ

سرتُ خلف الصوت
فجرتُ عمري الموتُ

عاصفُ بالجمودُ
تتحدى الركودُ

في معاني الخيرُ
أنا أهوى الشرُ

من ترابٍ حقيرُ
أنا لستُ أثيرُ

يمقتُ الانفجارُ
منه ... يا للعارِ !

إِنْ يَكُ الْإِيْمَانُ هُوَ هَذَا الْجُمُودُ
فَإِنَّا نُنْكِرَانِ أَنَا كُلِّي جُحُودُ

١٩٤٧

مرثية يوم تائه

لاحتِ الظلمةُ في الأفق السحيقِ
وانتهى اليومُ الغريبُ
ومضت أصداءه نحو كهوفِ الذكرياتِ
وغداً تمضي كما كانت حياتي
شفةً ظمأى وكوبُ
عكست أعماقه لونَ الرحيقِ
وإذا ما لمستهُ شفتايا
لم تجدُ من لذةِ الذكرى بقايا

لم تجد حتى بقايا

إنتهى اليومُ الغريبُ
إنتهى وانتحبتُ حتى الذنوبُ
وبكتُ حتى حماقاتي التي سميتها
ذكرياتي

إنتهى لم يبقَ في كفيّ منه
غيرُ ذكرى نغمٍ يصرخُ في أعماق ذاتي
رائياً كفيّ التي أفرغتها
من حياتي ، وادّ كاراتي ، ويومٍ من شبابي
ضاعَ في وادي السرابِ
في الضبابِ .

كان يوماً من حياتي
ضائعاً ألقيتهُ دون اضطرابِ

فوق أشلاء شبابي
عند تلّ الذكرياتِ
فوق آلافٍ من الساعاتِ تاهت في الضبابِ
في مَتهاتِ الليالي الغابراتِ .

كان يوماً تافهاً . كان غريباً
أن تدقّ الساعةُ الكسلى وتُحصي لحظاتي
انه لم يكُ يوماً من حياتي
انه قد كان تحقيقاً رهيباً
لبقايا لعنةِ الذكرى التي مزقتها ،
هي والكاسُ التي حطمتها
عند قبرِ الأمل الميّتِ ، خلفَ السنواتِ ،
خلف ذاتي

كان يوماً تافهاً .. حتى المساءِ

مرت الساعاتُ في شبهِ بكاءٍ
كلُّها حتى المساءِ
عندما أيقظَ سمعي صوتهُ
صوتهُ الحلوُ الذي ضيَّعتهُ
عندما أهدقتِ الظلمةُ بالأفقِ الرهيبِ
وامَّحتُ حتى بقايا ألمي ، حتى ذنوبي
وامَّحى صوتُ حبيبي
حملتِ أصداءه كفُ الغروبِ
لمكانٍ غابَ عن أعينِ قلبي
غابَ لم تبقَ سوى الذكرى وحبي
وصدى يومٍ غريبِ
كشحوبي
عبثاً أضرَعُ أن يُرجِعَ لي صوتَ حبيبي .

١٩٤٨

الغاز

دَعْنِي فِي صَمْتِي فِي إِحْسَاسِي الْمَكْبُوتِ
لَا تَسْأَلْ عَنِ الْغَازِ غُمُوضِي وَسُكُوتِي

دَعْنِي فِي لُغْزِي لَا تَبْحَثْ عَنْ أَغْوَارِي
إِقْنَعْ مِنْ فَهْمِ أَحْسَاسِي بِالْأَسْرَارِ

لَا تَسْأَلْ لِي أَحْيَانًا لُغْزٌ مِنْهُمْ
أَبْقَى فِي الْغَيْبِ مَعَ الْأَسْرَارِ وَلَا أَفْهَمُ

رُوحِي لَا تَعْشَقُ أَنْ تَحْيَا مِثْلَ النَّاسِ
أَنَا أَحْيَانًا أَنْسَى بَشَرِيَّةَ إِحْسَاسِي

حتى حبك .. حتى آفاقك تؤذيني
فانا روح أسبح كالطيف المفتون

قلي المجهول يحس شعوراً علوياً
لا حساً يشبهه لا وعياً بشرياً

إذذاك أحسك شيئاً بشرياً قلقاً
قيمة أحلامي ترفضه منها اتلقا

إذذاك يحسك روعي بعض الأموات
ما سمي أنت ، هوى ، لم تبق سوى ذاتي

في وجهك أنظر لكني لا أبصره
في روعي أبحث عن شيء أتذكره

أتذكر ، لا أدري ماذا ، ماذا كانا ؟
شيء لا شكل يحدده .. لا ألوانا

أَلْبَهُمْ فِي رُوحِي يَبْقَى فِي إِبْهَامِهِ
دَعُهُ لَا تَسَالِنِي عَنْهُ ، عَنْ أَنْغَامِهِ

دَعْنِي فِي الْغَازِي الْعُلْيَا ، فِي أَسْرَارِي
فِي صَمْتِي ، فِي رُوحِي ، فِي مَهْمِهِ أَفْكَارِي

فِي نَفْسِي جُزْءٌ أَبَدِيٌّ لَا تَفْهَمُهُ
فِي قَلْبِي حُلْمٌ عُلوِيٌّ لَا تَعْلَمُهُ

دَعُهُ ، مَاذَا يَعْنيكَ لِتَسْأَلَ فِي إِصْرَارٍ ؟
أَلْحَبُّ يَمُوتُ إِذَا لَمْ تَحْجُبْهُ أَسْرَارُ

إِنِّي كَاللَّيْلِ : سَكُونٌ ، عَمَقٌ ، آفَاقُ
إِنِّي كَالنَّجْمِ : غَمُوضٌ ، بُعْدٌ ، إِبْرَاقُ

فَافْهَمْنِي إِنْ فَهِمَ اللَّيْلُ ، إِنْ فَهِمَ رِحْسِي
وَالْمُسْنِي إِنْ لَمِسَ النَّجْمُ ، إِنْ لَمَسَ نَفْسِي

جامعة الظلال

أخيراً لمستُ الحياةُ
وأدركتُ ما هي أيُّ فراغٍ ثَقِيلُ
أخيراً تبيّنتُ سرَّ الفقاقيعِ واخيبتاهُ
وأدركتُ أنني أضعتُ زماناً طويلاً
ألمُ الظلالِ وأخبطُ في عَتَمَةِ المستحيلِ
ألمُ الظلالِ ولا شيءَ غيرِ الظِّلَالِ
ومرّتُ على الليالِ
وها أنا أدركُ أنني لمستُ الحياةُ
وإن كنتُ أصرُخُ واخيبتاهُ !

* * *

ومرّ عليّ زمانٌ بطيءٍ العُبورُ .
دقائقه تتمطّي مَلالاً كانَ العُصورُ
هناك تغفو وتنسى مواكبها أن تدورُ
زمانٌ شديدُ السواد ، ولونُ النجومُ
يذكرُني بعيونِ الذئابِ
وضوءٌ صغيرٌ يلوحُ وراءَ الغيومِ
عرّفتُ به في النهايةِ لونَ السرابِ
وهمَ الحياهِ
فواخيبتاهُ

أهذا إذن هو ما لقبوهُ الحياهُ ؟
خطوطٌ نظلُ نخطّطُها فوقَ وجهِ المياهِ ؟
وأصداؤُ أغنيةٍ فظّةٍ لا تمسُ الشِفاهُ ؟
وهذا إذن هو سرُّ الوجودِ ؟
ليالٍ ممزّقةٌ لا تعودُ ؟

وآثارُ أقدامنا في طريقِ الزمانِ الأصمِ
تمرُّ عليها يدُ العاصفه
فتمسحُها دونما عاطفه
وتسلمُها للعدمِ
ونحنُ ضحايا هنا
تجوعُ وتعطشُ أرواحنا الحائره
ونحسبُ أن المني
ستملأ يوماً مشاعرنا العاصره
ونجهلُ أننا ندورُ
مع الوَهْمِ في حلقاتِ
نجزْيءِ أيامنا الآفلاتِ
إلى ذكرياتِ
وننتظرُ الغدَ خلفَ العُصورِ
ونجهلُ أن القبورِ
تدُّ إلينا بأذرعها الباردة

ونجهلُ أنَّ السَّائِرَ تُخْفِي يداً مارده

* * *

عُرِفْتُ الحَيَاةَ ، وَضِقْتُ بِجَمْعِ الظَّلَالِ
وَأُضْجِرَنِي أَنْ نَجُوبَ التَّلَالِ
نَحْدَقُ فِي حَسْرَةٍ خَلْفَ رَكْبِ اللَّيَالِ
تَسِيرُ بِنَا الْقَافِلَةَ

نَجُوسُ الشَّوَارِعِ فِي وَحْدَةٍ قَاتِلَةٍ
إِلَامَ يُخَادِعُنَا الْمُبْهَمُ ؟
وَكَيْفَ النِّهَايَةُ ؟ لَا أَحَدٌ يَعْلَمُ

* * *

سَنَبْقَى نَسِيرُ
وَأَبْقَى أَنَا فِي ذُهُولِي الْغَرِيرِ
أَلَمْ الظَّلَالِ كَمَا كُنْتُ دُونَ اهْتِمَامِ
عَيُونٌَ وَلَا لَوْنٌ ، لَا شَيْءَ إِلَّا الظَّلَامُ

شفاهُ تُريدُ ولا شيءَ يَقْرَبُ مما تريدُ
وأيدٍ تُريدُ احتضانَ الفضاءِ المديدِ
وقلبٌ يريدُ النجومَ
فيصفعهُ في الدياجيرِ صوتُ القَدُومِ
يَهِيلُ الترابَ على آخرِ الميَّتينِ
وأقصوصةٌ من يرَّاعُ السنينِ
تضجُ بسمعي فأصرخُ : آه !
أخيراً عرفتُ الحياه
فواخيبتاه !

١٩٤٨

اجراس سوداء

لِنَمْتُ فَاِلْحِيَاةٍ جَفَّتْ وَهَذِي الْاَ
كُوْسُ الْفَارِغَاتُ تَسْخَرُ مِنَّا
وَعُيُومُ الذُّهُولِ فِي اَعْيُنِ الْاَيِّ
اَمَ عَادَتِ اَجَلِي وَاَعْمَقَ لُونَا
وَسَكُونُ الْحَيَاةِ فِي جَسَدِ الْاَحَدِ
لَا مَ لَمْ يُبْقِرْ قَطُّ لِلْعِيْشِ مَعْنَى
وَفِرَاغُ الْاَهَاتِ اَثْبَتَ اَنَّا
قَدْ فَرِغْنَا مِنْ دَوْرِنَا وَانْتَهَيْنَا

* * *

وعميماً في الليل نسمعُ أقدا
مَ الليالي في رهبةٍ ووجومـ
ودويُّ الأجراس يُنذرنا أنَّ
لـ انتهينا من دورنا المحمومـ
أن ما في الكؤوس يُوشكُ أن يـ
ضبَّ إلا من حفنةٍ من همومـ
أنَّ ما في العيونِ من عطشِ الأحـ
لامِ أمسى رمادَ حبٍّ قديم

* * *

وبعيداً في الجوّ تُنذرنا الأصـ
واتُ أنَّ الحياةَ عادتُ تُجنونا
أنَّ لونَ الخيالِ قد حالَ وارتدَّ
شحباً وواقعاً محزونا
أنَّ «قبل» الرجاء أصبح لا «بـ»
د» له فهو فكرة لن تكونا

أنا شيئاً في عمق أنفسنا يح
ذُبنا للمات ، شيئاً مكيثا
* * *

ولماذا نبقى هنا ؟ أولم نش
بع ونضجر ونرو دون انتهاء ؟
أولم نذكر النعيم وخمر الذ
صر والحب نابضاً بالرجاء ؟
أولم نعرف الأسى العاصر
نون والنوم بعد طول البكاء ؟
أولم نشبع الوجود ومن فيه
احتقاراً ونمض باستهزاء ؟
* * *

ولماذا نبقى هنا ؟ أسمعُ المو
تَ ينادي بنا فلم لا نُجيبُ ؟
لنمُتْ فالرياحُ تجرح وجهي
نا ولونُ الدُجى عميقٌ رهيبٌ

وهنا نحنُ مُتعبانِ غريبا
نـِ تعاينُ بنا الشبابُ الكئيبُ
وهنا نحنُ ميّتات وإن كا
نَ لِعرق الحياة فينا وجيبُ

* * *

« الغريبانِ » هكذا يهمسُ اللي
لُ وأجراسه تُلفُ الزوجودا
أيها الليلُ لن يعيشَ الغريبا
نـِ ولن يلمسَ مساءً جديدا
تُخذّهما أرخـُ جنحك الأسودَ الها
ديءَ حوليهما وحلقُ بعيدا
تُخذّهما عزٌّ ان يقولوا « غريبا
نـِ » وكانت أقصوصةً لن تعودا

نهاية السلم

مرّت أيامٌ منطفئاتٌ
لم نلتقَ لم يجمعنا حتى طيفُ سرّابٍ
وأنا وحدي ، أقتاتُ بوقعِ خطي الظلماتُ
خلف زجاجِ النافذةِ الفضةِ ، خلفَ البابِ
وأنا وحدي . . .

مرت أيامٌ
باردةٌ تزحفُ ساحبةٌ ضجيري المرتابِ
وأنا أصغي وأعدُّ دقائقها القلقاتُ
هل مرّ بنا زمنٌ ؟ أم خضنا اللازمنا ؟

مرّت أيامُ
أيامُ تُثقلُها أشواقى . أينَ أنا ؟
ما زلتُ أجدُّ فى السُّلَمِ
والسُّلَمِ يبدأ لحنُ أينَ نهايتهُ ؟
يبدأ فى قلبي حيثُ التيهُ وظلمتهُ
يبدأ . أينَ البابُ المبهمُ ؟
بابُ السُّلَمِ ؟

* * *

مرّت أيامُ
لم نلتقِ ، أنتَ هناك وراءَ مَدَى الاحلامِ
فى أفقٍ حَفٍّ به المجهولُ
وأنا أمشي ، وأرى ، وأنامُ
أستنفدُ أيامي وأجرُ غدي المعسولُ
فيفيرُ إلى الماضي المفقودُ
أيامي تأكلُها الآهات متى ستعودُ ؟

مرّت أيامٌ لم تتذكرُ أن هناك
في زاويةٍ من قلبك حُباً مهجوراً
عضّت في قدميه الأشواك
حُباً يتضرّع مذعوراً
هبه النورا

* * *

عدّ . بعض لقاء
يمنحنا أجنحةً نجتازُ الليلَ بها
فهناك فضاء
خلف الغاباتِ الملتفاتِ ، هناك بحورُ
لا حدّ لها تُرغى وتمورُ
أمواجٌ من زبد الأحلامِ تقلّبها
أيدٍ من نورٍ

* * *

عدّ ، أم سيموت ،

صوتي في سمعك خلف المنعرج المقوت
وأظلم أنا شاردة في قلب النسيان
لا شيء سوى الصمت المدود
فوق الأحزان
لا شيء سوى رجح نعسان
يهمس في سمعي ليس يعود
لا ليس يعود

١٩٤٨

أنا

الليلُ يسألُ من أنا

أنا سرُّةُ القلقِ العميقِ الأسودُ

أنا صمتهُ المتمردُ

قنّعتُ كنهِي بالسكونِ

ولففتُ قلبي بالظنونِ

وبقيتُ ساهمةً هنا

أرنو وتسألني القرونُ

أنا من أكون ؟

والريحُ تسأل من أنا

أنا روحُها الحيران أنكرني الزمانُ

أنا مثلها في لا مكان

نبقى نسيرُ ولا انتهاءُ

نبقي نمرُ ولا بقاءُ

فاذا بلغنا المنحني

خلناه خاتمةَ الشقاءِ

فاذا فضاءُ

والدهرُ يسألُ من أنا

أنا مثلهُ جِبَّارةٌ أطوي عُصورُ

وأعودُ أَمْنَحُها النشورُ

أنا أخلقُ الماضيَ البعيدُ

من فتنةِ الأملِ الرغيدُ

وأعودُ أدفنهُ أنا

لأصوغَ لي أمساً جديداً

غدهُ جليداً

والذاتُ تسألُ من أنا

أنا مثلها حيرى أهدقُ في ظلام
لا شيءَ يمنحني السلامُ
أبقى أسائلُ والجوابُ
سيظلّ يحجبُبه سراب
وأظلّ أحسبه دنا
فاذا وصلتُ إليه ذابُ

وخبا ^بوغابُ

١٩٤٨

غرباء

أطفئ الشمعة وأتركنا غريبين هنا
نحن أجزاء من الليل فما معنى السنا ؟
يسقط الضوء على وهمين في جفن المساء
يسقط الضوء على بعض شظايا من رجاء
سميت نحن وأدعوها أنا :
ملا . نحن هنا مثل الضياء

غرباء

اللقاء الباهت البارد كالיום المطير

كان قتلاً لأناشيدي وقبراً لشعوري
دقت الساعة في الظلمة تسعاً ثم عشراً
وأنا من ألي أصغي وأحصي . كنت حيرى
أسأل الساعة ما جدوى حبوري
إن نكن نقضي الأماسي ، أنت أدرى ،

غرباء

مرّت الساعات كالماضي يُغشيها الذبول
كالغدير المجهول لا أدري أفجر أم أصيل
مرّت الساعات والصمت كأجواء الشتاء
خلته يخنق أنفاسي ويطنغي في دمائي
خلته يئيبس في نفسي يقول
أنتا تحت أعاصير المساء

غرباء

أطفئ الشمعة فالروحان في ليل كثيف

يسقطُ النورُ على وجهينِ في لونِ الخريفِ
أولا تُبْصِرُ ؟ عينانا ذبولٌ وبرودٌ
أولا تسمعُ ؟ قلبانا انطفاءٌ وخمودٌ
صمتنا أصداًءُ إنذارٍ مخيفِ
ساخرٌ من أننا سوفَ نعودُ

غرباءُ

نحن من جاء بنا اليومَ ؟ ومن أين بدأنا ؟
لم يكنْ يَعْرِفُنَا الأَمْسُ رفاقين .. فدَعَانَا
نظفِرُ الذكري كان لم تكْ يوماً من صبا
بعضُ حبيبٍ نرقي طافَ بنا ثم سلانا
آه لو نحنُ رَجَعْنَا حيثُ كنا
قبلَ أنْ نَفْنَى وما زلنا كلانا

غرباءُ

١٩٤٨

اغنية الهاوية

مَجَجْتُ الزوايا التي تلتوي
وراء النفوس
وراء بريق العيون
وأبغضت حتى السكون
وتلك المعاني التي تنطوي
عليها الكؤوس
معاني الصدى والجنون
معاني الخطايا التي تُبرق
بريق النجوم

وفي لمسها اللهبُ المحرقُ
ولونُ الهمومُ
كرهتُ الجفونَ التي تأسرُ
وخلفَ سماءِ ابتساماتها
لهيبُ الحقود
كرهتُ الأكفَ التي تعصرُ
وخلفَ حرارة رَعَشاتها
جمودُ كذُلُ الحياه
على جثّةٍ تحت بعض اللحودُ
تعيثُ بها دودةٌ في برودُ
كرهتُ ارتعاشَ الشفاهُ
برَجْعِ الصلاه
ففي كلِّ لفظٍ خطيئه
تجيشُ بها رَغباتُ دنيئه
وعفتُ طموحي وبمَشَى الطويلُ

عن الخير ، والحب ، والمثلِ العاليه
وَحَقَّرْتُ سَعِيَّ إِلَى عَالَمٍ مُسْتَحِيلٍ
فَخَلَفَ انْخِدَاعِي تَنْتَظِرُ الْهَآوِيَه
وَعَفْتُ جَنَوْنِي الْقَدِيمَ وَعَفْتُ الْجَدِيدَ
وَأُودَعْتُهُ فِي مَكَانٍ بَعِيدٍ
دَفَنْتُ بِهِ رَغَبَاتِ الْبَشَرِ
وَسَمَّيْتُهُ جَنَّةَ الْوَاهِمِينَ
سَتَمْضِي السَّنِينَ
لَمَّاذَا أَحَسُّ الْأَسَى وَالضُّجَرَ ،
وَكَفُّ الْمَطَرِ
تَلَفُّ عَلَى عُنْقِي الْمُخْتَنِقِ
حِبَالَ الْفِكْرِ ؟
وَأَيْنَ أَسِيرُ وَقَلْبِي التَّرْقُ
هَنَالِكَ مَا زَالَ ، لَا يَبْرُدُ
وَلَا يَحْتَرِقُ

كقلبِ أبي الهولِ . أين الغدُ ؟
أحسُّ حياتي تذوبُ
قفي لحظةً واحده
ولا تسحي يدكِ الباردة
فاغنيةُ الهاويه
تُهبُّ بأقدامي الشارده
وتلوي الدروبُ
قفي لحظةً يا حبالَ الحياه
ولا تتركني هنا
معلقةً بالفراغِ الرهيبُ
فأمسي القريبُ
تلاشى على آخرِ المنحنى
وظلُّ غدي
تلثمَّ أواهُ لو أهتدي .
قفي لحظةً واحده

ولا تسحي يدك الباردة
فاغنية الهاويه
ترددها الأنفُسُ الجانيه
تكررها في جنون
على سمعي المجهد
تكررها لم يعد لي سكون
أكاد أسير الى الهاويه
مع السائرين
وأدفن آخر أحلامي
وأنسى غدي

في جبال الشمال

عُدُّ بنا يا قطارُ
فالظلام رهيبٌ هنا والسكونُ ثَقِيلُ
عُدُّ بنا فالمدَى شاسعٌ والطريقُ طَوِيلُ
والليالي قِصَارُ
عُدُّ بنا فالرياحُ تنوحُ وراءَ الظلالِ
وعواءُ الذئابِ وراءَ الجبالِ
كصراخِ الأسي في قلوبِ البشرِ
عُدُّ بنا فعلى المنحدرِ
شَبَحُ مكفهرٌ حزينُ

تركتُ قَدَمَاهُ عَلَى كُلِّ فَجْرٍ أَثَرُ
كُلِّ فَجْرٍ تَقْضِي هُنَا بِالْأَسَى وَالْحَنِينِ
شَبَحُ الْغُرْبَةِ الْقَاتِلِ
فِي جِبَالِ الشِّمَالِ الْحَزِينِ
شَبَحُ الْوَحْدَةِ الْقَاتِلِ
فِي الشِّمَالِ الْحَزِينِ
عَدُّ بَنَاهُ قَدْ سَمْنَا الطُّوَّافَ .
فِي سُفُوحِ الْجِبَالِ وَعُدُّنَا نَخَافُ
أَنْ تَطُولَ لَيَالِي الْغِيَابِ
وَيَغْطِي عُوَاءُ الذَّنَابِ
صَوْتُنَا وَيَعِزُّ عَلَيْنَا الْإِيَابُ
عُدُّ بَنَاهُ لِلْجَنُوبِ
فَهُنَاكَ وَرَاءَ الْجِبَالِ قُلُوبُ
عَدُّ بَنَاهُ لِلَّذِينَ تَرَكْنَاهُمْ فِي الضُّبَابِ
كُلُّ كَفٍّ تَلَوُّحُ فِي لَهْفَةٍ وَاكْتَابُ

كل كَفٍّ فؤاد
عدُّ بنا يا قطارُ ، سُمنا الطُّوَافَ وطالَ البعادُ
وهناك هَمْسٌ عميقُ
لاثغُ خلفَ كلِّ طريق
في شعابِ الجبالِ الضِّخامِ
وراءَ الغمامِ
في ارتعاشِ الصُّنوبرِ ، في القريةِ الشاحبةِ ،
في عُواءِ ابنِ آوى ، وفي الأنجمِ الغاربةِ ،
في المراعي هناك صوتُ شرودِ
هادسٌ أن نعودُ
فهناك بيوتُ آخر
ومراعٍ آخرُ
وقلوبٌ آخرُ
وهناك عيونٌ أبَت أن تنامُ
وأكفٌ تضمُّ الدُّجى في اضطرامِ

وشفاهُ ترددُ أسماءنا في الظلامُ
وقلوبُ تُصيخُ لأقدامنا في وُجومُ
وتنادي النجومُ
في أسيّ وسكونُ :
« ومتى يا نجومُ سيذكرنا الهاربون ؟ »
« ومتى يرجعون ؟ »

لحظةً ، سنعودُ
لن يرانا الدُّجى هاهنا ، سنعودُ
سنعودُ ، سنطوي الجبالُ
وركامَ التلالُ
لن ترانا ليالي الشمالُ
ها هنا من جديدُ
لن يحسَّ الفضاءُ المديدُ
نارَ آهاتنا في المساءِ الرهيبُ

في سكونِ المساءِ الرهيبِ
* * *

عُدْ بنا يا قطارَ الشمالِ
فهناك وراءَ الجبالِ
ألجوهُ الرقاقِ التي حجبَتْها الليالِ
عُدْ بنا ، عُدْ إلى الأذرعِ الحانيه
في ظلالِ النخيلِ
حيثُ أيامنا الماضيه
في انتظارِ طويلِ
وقفتُ في انتظارِ

تتحرى رجوعَ القطارِ
لتسير مع السائرينِ
حيثُ أيامنا تسألُ العابرينِ
واحداً ، واحداً ، في حنينِ
« ومتى عودةُ الهاربين ؟ »
* * *

لنعدُ فهناك نشيدٌ قديمٌ
حوّلنا هَامِسٌ بِالرُّجُوعِ
ما أحبُّ الرجوعُ
بعد هذا الطوَّافِ الأليمِ
في جديبِ الشِّعَابِ
حيثَ تَعُوي الذَّنَابِ
لنعدُ ، فالدُّجَى بارد كالجليدِ
وهناك خلفَ الفضاءِ البعيدِ
أذرعٌ دافئة

لنعدُ فالجبالُ تكشُّرُ عن ليلها المظلمِ
وهناك خلفَ الدُّجَى المبهَمِ
صوتُ أحبائنا ، في الظلامِ السحيقِ
نابضاً بالحنينِ العميقِ
صوتُهم مُثَقَلًا بالعتابِ
صوتُهم ردّده الشِّعَابُ

صوتهم في سكون المكان
دائر كإنزمان
لنعد قبل أن يقضي الأفقوان
بفراق طويل ، طويل
عن ظلال النخيل
عن أعزائنا خلف صمت القفار
عد بنا يا قطار
فالليالي قصار
وهناك أحببنا في أسي وانتظار

سرسنك

١٩٤٨

إلى عمته الراحلة

أنا لم أزل في الفجر رانيةً للآفق في صمتٍ وإعياءٍ
تتدافعُ الذكرى على شفتي بعضَ ارتعاشاتٍ وأصداءٍ
أُجرحُ نديانُ تعيشُ به أصداءُ ماضٍ ميتٍ ناءٍ
أيامهُ عادتُ صدَى حلمٍ لم تَبْقَ منه غيرُ أشلاءٍ
غيرُ ابتساماتٍ ممزقةٍ أودتُ بهنَّ مرارةُ الداءِ

تتدافعُ الذكرى وتلاني أشباحها قلقاً وأشجاناً
الأمسُ ما زالتُ ككأبته حرىً تذكّرني بما كانا :
بالليلِ كيفَ سهرته ألماً بالفجرِ كيفَ أطلَّ ظمآننا

بدموعي العطشى وحرقتها
باليأس كيف طغت مرارته
بتدفق الإحساس أحزاننا
وتمرّدت حرقاً ونيراننا

الأمس هل في الأمس من حلمٍ
هل فيه بعضُ صدى يناعمني
لفظٌ يرمي؟ وبسمة؟ ويد
أواه. بعض خطي ألوذ بها
بعض ابتسامتك التي غربت
هل فيه ما ينجي من الحرق؟
ذكرى؟ رجاءٌ غيرُ محترق
مرّت برقتها على قلقي؟
من حزني القاسي ومن أرقى
في الصمت واحترفت على الأفق

ألمع أذرفهٌ وينذر فني
قطراته نارٌ تمزّقني
عيناى تحترقان من ألمٍ
جرحانٍ لاجفنان أين غدي؟
ما للحياة هوّت أشعتها
ليلاً وعكر جوّها القدر؟
قلباً يحنّ أسىً ويحتضر
ما زال منها في دمي أثر
تدّمي وتقطرُ فيها الصور
أين الطبيعة والهوى النضر؟

أين التفتُ تصدُّني صَوْرُ
ذكرى من الماضي تحطمني
أواه . كيف سقطت ميتة
وأنا أعيش روى ممزقة
تتلفت الذكرى اليك وبى
وحشية ، وشتيتُ آلام
وتظل تصهرُ جفني الدامي
وأنا أعيش وتلك أوهامي
وأحوك أهوائي وأجلامي
ظمًا يعتّمُ جوَّ أيامي

وأريدُ أن أنسى فتخنقني
أبقيتُ جرحاً حافراً قلماً
كفُ الحنانِ نسيتُ ملمسها
لم يبقَ منها غيرُ أغنيةٍ
وسهرتُ أنشدتها وأنشدتها
رَعشاتُ حزنٍ ساهدٍ مرّ
في قلبِ أحلامي وفي شعري
وفقدت معبراتها على شعري
جفّست مرارتها على ثغري
في ليلةٍ مأسورةِ الفجرِ

أواه من حزنني ومن ظمائي هل عدت طيفاً مطفأ المقلـ

أَلْقَبْرُ ضَمِّكَ فِي بَرُودَتِهِ بَعْدَ ارْتِعَاشَةِ قَلْبِي الْخَضِيلِ
لَا طَيْرَ يَوْقِظُ فَيْكَ عِرْقَ هَوَىٍّ لَا شَيْءَ يَبْعَثُ خَامِدَ الْأَمَلِ
الْظِّلُّ مَرٌّ وَأَنْتِ سَاهِيَةٌ عَنْ رَقْصِهِ وَشُعَاعِهِ الثَّمِيلِ
وَالنَّجْمُ لَاحٍ وَأَنْتِ هَامِدَةٌ لَا تَعْبَأِينَ بِضَوِّهِ الْخَجِيلِ

وَتَرُّ أَصْدَاءِ الْحَيَاةِ ضَحَىً بَوَسَادِكَ الْحَزُونَ وَ أَسْفَا
صَوْتُ الْمُؤَذِّنِ كَمْ سَهَرَتْ لَهُ مَا بِالْهُ فِي مَسْمَعِيكَ غَفَا ؟
مَا بِالْ رَعِشَتْهُ تَمَرُّ عَلَى قَلْبٍ تَنَاسَى كَيْفَ أَمْسَ هَفَا
مَا بِالْهَا لَازَتْ بِغُرْبَتِهَا وَمَضَتْ تُبَاكِ حَوْلَكَ (النَّجْفَا)
تَبْكِي وَتَرِيسُ فِي انْتِفَاضَتِهَا صَوْتًا يَبِيتُ اللَّيْلَ مُرْتَجِفَا

أَوْحِيدَةٌ فِي الْقَبْرِ هَامِدَةٌ وَأَنَا أَمْسُ سَرِيرِكَ الْخَاوِي؟
خُصَلَاتُ شَعْرِكَ فَوْقَهُ حَرَقٌ فِي عُثْقٍ يَأْسِي الصَّارِخِ الدَّائِي
وَمَكَانُ رَأْسِكَ فِي الْوَسَادَةِ فِي قَلْبِي بِقَايَا كَوَكَبٍ هَاوٍ
وَقَيْصُكَ الْبَاكِ أَمَا بَقِيتُ فِيهِ حَرَارَةُ جَسْمِكَ الدَّائِي؟

كيف انطويتِ وأنتِ خالدةٌ في أدمعي؟ شئتُ يدُ الطاوي

أصغي وهل تُصغين؟ هل بلغتُ مثواكِ أصداءُ ارتعاشاتي
كيف انتفضتُ وأنتِ هامدةٌ في مخَلَبِي ألي وأهْيَاي
تتعرُّ النَغَمَاتُ في شفتي بصُراخٍ أحزاني وأناي
مزَّقتُ أيامي التي سَلَفَتْ ودفنتُ فيكِ بشاشةَ الآتي
وأضعتُ أفراحي ومن عَبَثٍ شِبْهُ ابتساماتي وضُحكاتي

١٩٤٨

الكوليرا

سَكَنَ الليلُ
أَصغَرَ إلى وَقَعِ صَدَى الأَنَاتِ
في عُمقِ الظلمَةِ ، تحتَ الصمتِ ، على الأمواتِ
صَرَخَاتُ تعلو ، تضطربُ
حزبٌ يتدفقُ ، يلتهبُ
يتعشَّرُ فيه صَدَى الآهاتِ
في كلِ فؤادٍ غليانُ
في الكوخِ الساكنِ أحزانُ

في كل مكانٍ روحٌ تصرخُ في الظُّلُماتِ
في كلِّ مكانٍ يبكي صوتُ
هذا ما قد مَزَّقَهُ الموتُ
ألموتُ الموتُ الموتُ
يا حُزْنَ النِيلِ الصارخِ بما فعلَ الموتُ

طَلَعَ الفجرُ
أصغِرْ إلى وَقَعِ خُطَى الماشينِ
في صمتِ الفجرِ، أِصْخِ، أَنْظُرْ رَكِبَ الباكينِ
عشرةُ أمواتٍ ، عشرونا
لا تُحْصِرْ أَصِخْ للباكينا
إِسمِعْ صوتَ الطِفْلِ المسكينِ
مَوْتَى ، مَوْتَى ، ضاعَ العددُ
مَوْتَى ، مَوْتَى ، لم يَبْقَ غَدُ

في كل مكان جسدٌ يندبُه محزونٌ
لا لحظة إخلادٍ لا صمتٌ
هذا ما فعلتُ كفُّ الموتِ
ألموتُ الموتُ الموتُ
تشكو البشريةُ تشكو ما يرتكبُ الموتُ

الكوليرا
في كهفِ الرُعبِ مع الأشلاءِ
في صمتِ الأبدِ القاسي حيثُ الموتُ دواءُ
إستيقظْ داءُ الكوليرا
حقداً يتدفقُ موتورا
هبطَ الوادي المريح الوُضاءُ
يصرخُ مضطرباً مجنوناً
لا يسمعَ صوتَ الباكي

في كل مكان خلف مخابئه أصداء
في كوخ الفلاحة في البيت
لا شيء سوى صرخات الموت
الموت الموت الموت
في شخص الكوليرا القاسي ينتقم الموت

أصمت مرير

لا شيء سوى رجع التكبير
حتى حفر القبر ثوى لم يبق نصير
الجامع مات مؤذنه
ألقت من سيؤبئه
لم يبق سوى نوح وزفير
الطفل بلا أم وأب
يكي من قلب ملتهيب

وغداً لا شك سيلقفه الداء الشرير

يا شبح الهيضة ما أبقيت

لا شيء سوى أحزان الموت

الموت ، الموت ، الموت

يا مصر شعوري مزقة ما فعل الموت

١٩٤٧

لنكن أصدقاء.

لنكن أصدقاء

في مَناهاةِ هذا الوجودِ الكئيبِ
حيثُ يمشي الدمارُ ويَحيا الفناءُ
في زوايا الليالي البِطَاءِ

حيثُ صوتُ الضَّحَايا الرهيبُ
هازئاً بالرجاءِ

لنكن أصدقاء

فعيونُ القَضَاءِ
جامداتُ الحَدَقِ

تَرْمُقُ الْبَشَرَ الْمُتَعَبِينَ
فِي دُرُوبِ الْأَسَى وَالْأَنِينِ
تَحْتَ سَوَاطِرِ الزَّمَانِ النَّزِقِ
لَنَكُنْ أَصْدَقَاءُ ،

الْأَكْفُ الثِّي عَرَفَتْ كَيْفَ تَجْنِي الدَّمَاءُ
وَتَحْزُنُ رِقَابَ الْخَلِيَّتَيْنِ وَالْأَبْرِيَاءِ
سُتَحْسُ اخْتِلَاجُ الشُّعُورِ
كُلُّهَا لَامَسَتْ إِصْبَعًا أَوْ يَدًا
وَالْعَيُونَُ الَّتِي طَالَمَا حَدَّقَتْ فِي غُرُورِ
تَرْمُقُ الْمَوَكِبَ الْأَسْوَدَا
مَوَكِبَ الرَّازِحِينَ الْعَبِيدِ
هَذِهِ الْأَعْيُنُ الْفَارِغَاتُ
سُتَحْسُ الْحَيَاةُ

وَيَعُودُ الْجُمُودُ الْبَلِيدُ
خَلْفَهَا الْفَ عِرْقٍ جَدِيدُ

والقلوبُ التي سمِعتُ في انتعاشٍ
صرّخاتِ الجِيعِ العطاشِ
ستذوبُ بكاءً على الجائعينِ
ستذوبُ لتسقي صِدِّي الظامّينِ
كاسَةً ولتكنْ ملثتٌ بالأنينِ

لنكنْ أصدقاءُ
نحنُ والحائرونِ
نحنُ والعزّلُ المتعبونُ
والذينَ يُقالُ لهمْ « مجرمون »
نحنُ والأشقياءُ
نحنُ والشمّلونُ بخمرِ الرّخاءِ
والذينَ ينامونَ في القفر تحت السماءِ
نحنُ والتائهون بلا مأوى
نحنُ والصارخون بلا جدوى

نحن والأسرى
نحن والأمم الأخرى
في بحار الثلوج
في بلاد الزنوج
في الصحارى وفي كل أرض تضم البشر
كل أرض أصاغت لآلامنا
كل أرض تلقت قوايت أحلامنا
ووعت صرخات الضجر
من ضحايا القدر

لنكن أصدقاء
إن صوتاً وراء الدماء
في عروق الذين تساقوا كؤوس العداء
في عروق الذين يظنون كالشملىن
يطعنون الإخاء

يطعنون أعزّاءهم باسمين
في عُروقِ المحبّين ... والهاربين
من أحبّائهم ، من نداءِ الحنين
في جميعِ العُرُوقِ
إنّ صوتاً وراءَ جميعِ العُرُوقِ
هامساً في قرارةِ كلِّ فؤادٍ خفُوقِ
يجمعُ الأخوةَ النافرينِ
ويشدُّ قلوبَ الشقيّينَ والضحّاكينِ
ذلكَ الصوتُ ، صوتُ الإخاءِ
فلنكنْ أصدقاءَ

في بعيدِ الديارِ
وراءَ البحارِ
في الصحارى ، وفي القطبِ ، في المدنِ الآمنةِ
في القرى الساكنةِ

أصدقاءٌ بِشَرٍّ
أصدقاءٌ ينادونَ أينَ المفرُّ ؟
ويصيحونَ في نَبْرَةٍ ذابله
ويموتونَ في وَحْدَةٍ قاتله
أصدقاءٌ جِيعٌ ، حَفَاةٌ ، عُراءُ
لفظتهم شفاءُ الحياة
لأنهم أشقياءُ
فلنكنْ أصدقاء

من بعيدٍ
صوتُ عَصْفِ الرياحِ الشديدِ
ناقلا ألفَ صوتٍ مديدٍ
من صرّاخ الضحّايا وراءَ الحدودِ
في بقاعِ الوجودِ
الضحايا ، ضحايا العراقِ

وضحايَا القيُودُ
وصدَى « هَيَاوَاثَا » هناك
مُثَقِّلَا بِأَنِينِ الجِيَاعِ
بِأَسَى المِصْطَلِينَ لَظَى الحُمَى
بِالَّذِينَ يَمُوتُونَ دُونَ وَدَاعِ
دُونَ أَنْ يَعْرِفُوا أَمَا
دُونَمَا آبَاءُ
دُونَمَا أَصْدِقَاءُ

١٩٤٨

جنازة المرح

سأغلق نافذتي فالضياء	يعكّر ظلمتيّ الباردة
سأسدل هذا الستار السميك	على صفحة القصة البائده
وأطرّد صوت الرياح البليد	وإشعاعه الأنجم الحاقده
وأسند رأسي إلى الذكريات	وأغقس عينيّ في دمعتيّ
وأرسل حيّ يلفّ القتيل	ويُدْفىء جبهته الهامده
لعليّ أردّ إليه الحياة	وأمسح من زُرْقهِ الشفتين

سأغلق نافذتي فالقتيل	يحبّ الظلام العميق العميق
وأكره أن يتمطى الضياء	على جسمه الشاعر الرقيق

على جبهة زرعته النجوم
وكانت تُشعُّ الحياةَ فعادت
تخطُّ عليها ذراعُ المات
أمرٌ عليها بكفي فأصرُ
ولوَّنها ضوءها بالبريقُ
تمجُّ الأسى والرَّدَى والعذابُ
أساطيرَ عهدٍ سحيقٍ سحيقٍ
خُرُعباً وأسقط فوق الترابُ

سأغلقُ نافذتي فالظهير
تصبُّ سكينتها في برودي
يطاردُني صمتها السرمدى
وأين المفرُّ ؟ تكاد الستائرُ
وأين المفرُّ ؟ وهذا القتيلُ
أمامي القتيل وخلفي الظهير
يروِّعني وجهه الشاحبُ
يُؤلمه
يا للمطاردةِ المؤلمه

سأصبرُ حتى يجيءَ الدُّجى
فأحملُ هذا القتيلَ البريء
أسيرُ بأشلائه موكباً
ويغرب خلف الوجود الضياءُ
إلى هوةٍ من كهوف المساءِ
بطيء الخطى كلياً إلى الشتاءِ

وتتبعني شَهَقَاتُ التذَكُّرِ مَهْمُومَةٌ فِي أَسَى وَشُرُودِ
وَفِي آخِرِ الْمَوْكَبِ الْمَتَرَنَّحِ وَجْهٌ يَشِيعُهُ فِي اِزْدِرَاءِ
وَفِي آخِرِ الْمَوْكَبِ الْمَتَرَنَّحِ وَجْهٌ يَشِيعُهُ فِي بُرُودِ

عَرَفْتُ الْجَبِينَ عَرَفْتُ الشَّفَاهِ وَهَذِي الْعَيُونَ الْغَلَاظِ الْأَدِيمِ
عَرَفْتُ بِهَا وَجْهَ حَزَنِي الدِّفِينِ وَقَدْ عَادَ يَحْمِلُ جُرْحِي الْقَدِيمِ
وَفِي يَدِهِ مَدِيَّةٌ لَمْ يَزَلْ عَلَى حَدِّهَا دَمٌ أَمْسَى الْأَلِيمِ
عَرَفْتُ الْعَدُوَّ اللَّجُوجَ هُنَاكَ يَسِيرُ عَلَى أَثَرِ الْمَوْكَبِ
يُحَدِّقُ مُسْتَهْزِئًا بِالْقَتِيلِ وَيَضْحَكُ ضَحْكَةً فَظًّا أَثِيمِ
نَعَمْ هُوَ .. أَعْرِفُهُ جَيِّدًا فَكَمْ مَرَّةً قَبْلُ قَدْ مَرَّ بِي

وَأَبْصَرْتُ فِي أَثَرِي الْفَاطِمِيَّ حَزِينٍ تَلَفَّعَ بِالْعِبْرَاتِ
عَرَفْتُ بِهَا الْبَسَامَاتِ الَّتِي لَقِيتُ بِهَا لَطَمَاتِ الْحَيَاةِ
عَرَفْتُ بِهَا الضَّحِكَاتِ الَّتِي سَكَبْتُ نَدَاهَا عَلَى الذِّكْرِيَّاتِ

أهذي إذنُ بسماي ؟ حناناً
أهذي إذن ضحكاتي أهذي
وهذا القليلُ أحقاً فقدتُ
أعدن عبوساً ورجع أنين؟
نهايةُ ما صُغتُ من بسماي
به مرحى المضمحل الدفين؟

١٩٤٨

يوتوبيا في الجبال

« مهداة إلى اخي إحسان التي شهدت معي
مولدها عند عين الماء الثلجية المتحدرة بين
صخور سرسنك الملونة »

تفجّري يا عُيُونُ
بالماء ، بالأشعةِ الذائبة
تفجّري بالضوءِ ، بالألوانِ ، فوقَ القريةِ الشاحبة
في ذلكَ الوادي المَغشَى بالدُّجى والسكونِ
تفجّري باللحونِ

فوق انبساط السفح بين التلال
في المنحنى حيث توجُّ الظلال
تحت امتداد الغصون
تفجّري بالجمال

وشيدي يوتوبيا في الجبال
يوتوبيا من شجرات القيم
ومن خير المياه
يوتوبيا من نغم
نابضة بالحياه

تفجّري، سيلي على منحدرات الصخور
حيث يطير الفراش
في نشوة وارتعاش
تفجّري حيث تنام الطيور
في جنة من عطور
حيث يغطي السفح غاب كثيف

صنوبري الحفيف
تفجري تقيّة فوق حصي المنحدر
في عطفة الوادي العميق الخيف
في ظلّ الجوز الرقيق الوريث
تحت انبساط الشجر
تفجري في الصباح
تفجري جارقة كالرياح
تفجري في الغروب
وشيدي يوتويا من قلوب
من كل قلب لم تطاه الحقود
ولم تدنسه أكف الركود
من كل قلب شاعري عميق
لم يتمرغ بخطايا الوجود
من كل قلب رقيق
مستغرق في حلمه لا يفيق
إلا على حلم بعيد المدى

ليسَ له من حدودٍ
حلمٌ تحدى الغدا
من كلِّ قلبٍ لا يطيقُ الجمودُ
ولا صريرَ القيودِ

تفجّري بيضاءَ فوق الصّخرِ
لونا وضوءاً يتحدى كل رجس البشرِ
تفجّري لن يسام المنحدر
سيلي على النائمين
وأغرقني تهويةَ الظالمين
فيضي على الميّتين
على قلوبٍ لا تحسُّ الحنين
على عيونٍ لم تُطهرها أكفُّ البكاء
على نفوسٍ لا تحسُّ الساء
على أكفٍ تجهل الكبرياء

سيلي بعيداً في القرى الجائعة
حيثُ الحفاةُ العُراءُ
وحيث لا يبلغُ سمعُ الحياه
إلا صراخُ الأنفس الضارعه
إلا عواءُ الذئابُ
في عطفة الوادي الشقيّ الحزينُ
في شاهقات الهضابُ
وحيث لا تُبصرُ عينُ السنينُ
إلا أسي المتعبينُ
قوافلُ يحدو بها أشقياءُ
في جنّةٍ من رخاءُ
قوافلُ الجائعينُ
في ذلك الوادي الخصبِ التُّرابُ
قوافلُ الظامئينُ
يلتمسونَ السَّرابُ

والماءُ يحتاجُ انزلاقَ السنينُ
قوافلُ للملالُ
يحرُمُها الكدُّ لقاءَ الجبالُ
قوافلُ مجتُ رنينَ القووسُ
وغيرُها للنكؤوسُ
للنومِ والأحلامِ تحتَ الظلالُ
أنصافُ موتى لا تُحِسُّ الجمالُ

تفجّري يا مياهُ
تفجّري فوقَ قبورِ البشرِ
تفجّري في الصخرِ
وسجّلي مأساةَ هذي الحياهِ
فوقَ جبينِ القدرِ
ما زالتِ القريةُ منذُ القِدمِ
أقصوةً ممزوجةً بالآلمِ

قصّت أساهها الرياحُ
على شُحوبِ الصباحِ
تفجري ، سيلٍ وغطسي القمم
ألقي على القِصّة سِتْرَ العَدَمِ
لا تذكرني هذا النشيدَ الحزين
ما كانَ إلا رجَعَ صَوْتٍ وهونٍ
أصغتُ إليه السنينُ
في لحظةٍ ، ثم مَضَتْ في سُكونٍ
مرسنة

١٩٤٨

وجوه ومرايا

يا كؤوسَ الأحلامِ يا من تخيلُ
تُكِرَ أفقاً تضمُّهُ الأضواءُ
أهـ لو تُدركين كيف أحسُّ الـ
مكونَ صحراءَ خلفها صحراءُ
والرحيقُ الذي حُلِمْتُ به كيـ
فَ طوتهُ المرارةُ الخرساءُ
كيفَ حينَ أَسَلَمْتُ كاسيَ أرساءُ
تُ دموعي ولم يُفِديني أرتواءُ

* * *

إرتوائي ؟ أوّاهُ من حُرَقِ الرُّو
 حٍ لماذا تظَلُّ رُوحِي ظمأى ؟
 إرتوائي ؟ هذا السَّرَابُ الذي ير
 كضُ قلبي وراءَهُ وهوَ يَنأى
 إرتوائي حَسِبْتُهُ شَفَقاً حُلْ
 سوا فلما دنوتُ لم أرَ شيئاً
 ليس إلاّ اللاشيءُ يصدِّمُ شوقي
 ويُذيبُ الأحلامَ جزءاً فجزءاً

* * *

الْفَراغُ الْفَراغُ يَقْتُلُنِي أوّ
 اهْ لو كان للوجود وجودُ
 آه لو لم تَحُلْ مواقعُ أقدا
 مي أمتداداً حدودُهُ اللاحدودُ
 السكوتُ السكوتُ يَفْغَرُ فاهُ
 وغداً يغرُبُ الهَوَى والنشيدُ

والظلامُ الظلامُ يُطفئُ عينيُّ
فماذا أحسُّ ؟ ماذا أريدُ ؟

* * *

أيّها الليلُ ليلَ رُوحِي أما مِن
ملجأٍ من بُرُودةِ الظلماءِ ؟
ظماً صارخٌ بأعماقِ نفسي
لشُعاعٍ مُسَلَّسٍ من ضياءِ
آهِ لو لم يَحُلْ رجائي الإلهيُّ
سراباً ضحلاً وبعضَ عزاءِ
آهِ لو كانتِ السعادةُ شيئاً
غيرَ هذي الفُقاعةِ السوداءِ

* * *

لقبّوها الحياةُ وهي اضطرابُ
أبديٍّ ولهفةٌ لا تَقَرُّ

وامتدادٌ للأنهية لا يب
بدأ لا ينتهي فإين المفر؟
لقبوني «أنا» ولم يفهموني
ما أنا ما وجودي المكفر
أنا ماذا؟ تحرق ليس يرتا
ح وظل سرعان ما سيمر...

* * *

في صفاء المرأة حدقت في طيب
في طويلا والشك في مقلتي
كائنٌ شاحبٌ يحدق في وج
هي مثلي محيراً مطويًا
هذه هذه أنا ليس من شك
فلم لا أمسها يديًا؟

لم لا أستطيعُ أن أُلْسَ الذاتَ
تَ ؟ وأُحَوِّ تحرقني الأبدية ؟

* * *

ثم ماذا ! أُمْدُ كَفِّي في شو
قٍ عميقٍ فلا أعانقُ ذاتي
صدمةٌ صدمةٌ تمزقُ روحي
ليس إلا بُرودةُ المِراةِ
الزجاجُ الجبارُ شَفَّ ولكن
عن مثالٍ مشوهٍ للحياةِ
عن كيانٍ رسمتهُ أنا وحدي
فإذا غبتُ غابَ في الظلماتِ

* * *

الكيانُ المسوخُ ها أنا أُمحو
هُ كَفاهُ هُزْءاً بنارِ أسايا

ضربةٌ من يدي تحطمتِ المر
آةٌ فوق الثرى وعادت شظايا
ليتني كنتُ صنتُها عادَ وجهي
ألفَ وجهٍ تُطيلُ منها الضحايا
ليتني كنتُ صنتُها ليتني أعـ
لمُ كيف المرأةُ عادتُ مَرَايا

١٩٤٧

قبر يتفجر

ناديتُ أكداسَ الرمالِ : تفجّري
لن تدفني جسدي النقي الثائرا
وهتفتُ يا روحَ المساماتِ : تمزّقي
لن تحبّسي قلبي الجريءَ الساخرا
وصرختُ بالأرضِ الدنيئة : إرفعي
من قلبِ هذا الطينِ روعي الشعرا
هذا فؤادي نابضاً ، هذا دمي
متفجّراً تحتَ الترابِ مشاعرا

بالأمس في هذا الظلام دفنتني
تحت الثرى ولفقتني بصخوره
لم تسمعي دقات قلبي في الدجى
وأشحت عن إحساسه وشعوره
لم تفهمي روعي وخلت سكونه
موتاً ولم يبلغك رجع هديره
ووهمت أيتها الحياة فلم تري
في أدمعي غير الردى وفتوره

ما نفع أكداس التراب جميعها ؟
الآن ينفجر التراب الغاصب
ألجثة الظمأى التي أودعتها
بالأمس والوجه الكئيب الشاحب
الآن ينفجران ناراً حية
ويسابق الإعصار روعي الصاخب

والآن ينبثقان من قلبِ الثرى
ويعودُ لي الأملُ الجميلُ الزاهبُ

ما خلّته صخراً إليك وجيبه
ما خلّته صمّاً إليك نشيدهُ

القبرُ ضجٌّ وضاقَ تحتَ عواطفي
والطينُ حولي لن أطيّقَ رُكودهُ

هذا الرّمادُ حذارٍ من أعماقه
فوراءه جمرٌ نسيتِ رعوّدهُ

يا من حسيبتِ النارَ طيناً خامداً
ونسيتِ إعصارَ الصّبا وُخلودهُ

هذي العيونُ حذارٍ منها . إنها
خلفَ الجفونِ عميقةٌ أغوارُها

هذي العروقُ حَذَارُ من فَوَرَانِهَا
فغداً سيصرُخُ في المدى إعصارُها
هذي الشفاهُ حَذَارِ من سَكَنَاتِهَا
فغداً ستجتاحُ المدى أشعارُها
هذا الفؤادُ حَذَارِ من غَفَوَاتِهِ
فوراءَ رقدِته الحياةُ ونارُها

ناديتُ أكداسَ الرمالِ : تفجّري
وهتفتُ يا روحَ الماتِ ، تمزّقي
وصرختُ بالأرضِ الدنيئةِ إرفعي
أسرَ الترابِ عن الشبابِ المرهقِ
فإذا الحياةُ مُشيحةٌ عن صرختي
لم يأتِها نغمُ اللهبِ المحرقِ
وأنا على صَدْرِ التُّرابِ تمردُ
حُرٌّ ونارٌ وتوثبُ وتحرقُ

لم يبقَ إلا أن يحطّم ساعدي
هذي القيودَ وها أنا ، هذي يدي !
سأفجّرُ القبرَ الصغيرَ حجارةً
وأطيرُ من أمسي القريبِ إلى غدي
وسأصرعُ الموتَ الضعيفَ وأنثني
بمخاوفي وسعادتي وتنهدي
وسأنثرُ الألحانَ في صمتِ الدجى
يا أنجمَ الليلِ المضيئةَ فاشهدي

ناديتُ أكداسَ الرمالِ تفجّري
فتفجّرتُ تحتَ المساءِ المظلمِ
وجمعتُ أحلامي ومزّقتُ الثرى
بصفائها ووقفتُ تحتَ الأنجمِ

وفتحتُ صدري للضياءِ وسحره
وصرختُ بالكون الجميل اللهم
أنا حيّةٌ يا أرضُ ، هذي نعمتي
هذا نشيدُ فؤادي المتضخمِ

ذكريات

كانَ ليْلٌ ، كانتِ الأَنْجُمُ نُغْزَا لا يُحَلُّ
كانَ في رُوحِي شَيْءٌ صَاغَهُ الصَّمْتُ الْمَلُّ
كانَ في حَسِّي تَخْدِيرٌ وَوَعْيٌ مُضْمَحَلُّ
كانَ في اللَّيْلِ جُودٌ لا يُطَاقُ
كانتِ الظُّلْمَةُ أَسْرَاراً تُرَاقُ
كنتُ وَحْدِي لَمْ يَكُنْ يَتَّبَعُ خَطْوِي غَيْرُ ظِلِّي
أنا وَحْدِي ، أنا وَاللَّيْلِ الشَّتَائِي... وَظِلِّي

لَمْ أَكُنْ أَحْلُمُ لَكِنْ كَانَ فِي عَيْنِي شَيْءٌ
لَمْ أَكُنْ أَبْسَمُ لَكِنْ كَانَ فِي رُوحِي ضَوْءٌ

لم اكن أبكي ولكن كان في نفسي نوءٌ
مرٌّ بي تذكّارٌ شيءٍ لا يُحَدُّ
بعضُ شيءٍ ما له قبلٌ وبعْدُ
ربّها كانَ خيالاً صاغه فكري ويلي
وتلفتٌ ولكن لم أقابل غيرَ ظلي

* * *

كان صمتٌ راكدٌ حولي كصمتِ الأبدية
ماتت الأطيّارُ أو نامتُ بأعشاشٍ خفيه
لم يكن ينطقُ حتى الرغباتُ الأدمية
غيرَ صوتِ رنٍّ في سمعي وذابا
لحظةً لم أدرِ حتى أين غابا
آه لو أدركتُ من القاهُ في الصمتِ المملّ
أتراني لم أكن أمشي أنا وحدي وظلي ؟

كانتِ الظلّمةُ تمتدُّ إلى الأفقِ الغريبِ

كلُّ شيءٍ مغرَقٌ فيها قلبي ، كشُخُوبي
ظلمةٌ ممتدَّةٌ كالوهمِ كالوتِ الرهيبِ

غيرَ ضوءٍ خاطفٍ مرٌّ يحفني
لحظةٌ لم تدركِ ماذا كانت ، عيني

كانَ ضوءاً لوْنُهُ لونُ خيالٍ مضمحلٍّ
مرٌّ بي لَمْحاً وأبقاني أنا وحدي وظلِّي

* * *

كان في الجوِّ الشتائيِّ ارتعاشٌ وجمودٌ
جمدَ الظلُّ من البردِ وغشاهُ الرُّكودُ
ليلةٌ يرجفُ في أجوائها حتى الجليدُ

غيرَ دفءٍ طاف في قلبي الوجيعِ
فزتُ فيه من شتائي بربيعِ

وإذا في عمق قلبي فرحةُ الفجرِ المطلِّ

غيرَ أني كنتُ في الليلِ أنا وحدي وظلي

كانَ في روحي فَرَاعٌ جائعٌ كاللأنه
كانَ ظلي صامتاً لا لحنَ لا رجوعَ حكاية
باهتاً يتبعُ مسرَى خطواتي دونَ غايه

غيرَ كاسٍ عَبَرَت حينَ صرَخْتُ
قطرةٌ واحدةٌ ثم ارتويتُ

أترأهُ كاتِ أكلوبةَ إحساسي المضلُ
أوما كنتُ أنا وحدي مع الليلِ وظلي؟

* * *

كان قلبي مُتعباً يسكنه حزنٌ فظيعُ
رقصتُ فيه وشدته الى الجرحِ دُموعُ
صورُ في قعره يصبغُ مرآها النجيعُ

كان ، لكنّ يدأ مرّت عليه
جملت بعض تحاياها اليه
باركت آلامه السوداء كانت يد طفل
أي طفل؟ لم يكن في الليل غيري غير ظلي

١٩٤٨

أعبر عما تحسُّ حياتي وارسم إحساسَ رُوحِي الغريب
 فابكي إذا صدمتني السنين بخنجرها الأبديُّ الرهيب
 وأضحكُ مما قضاهُ الزمان على الهيكل الآدميِّ العجيب
 وأغضبُ حين يُداسُ الشعور ويُستخرُّ من قوَرانِ الملهيبُ

أعبرُ عن كلِّ حسٍّ أعياهُ
 وأبكي الحياةَ ولا أنكيرُ

واضحك من كل ما تحتويه
وأغضب لكنني أشعر

يقولون شاعرة في السحاب تخلق خلف سراب النجوم
أنانية لا تحس الوجود وان صرعه جبال الغيوم
خيالية تمقت الكائنات وتخلق عالمها في الغيوم
خريفية تكره الضاحكين لتدفن جبهتها في الغيوم
أنانية وأحب البشر
خيالية وحياتي تسير
خريفية وأناجي الزهر
وعاطفتي لهب من شعور

يقولون : عاشقة للظلام تحب الدياجي وتهوى السكون
وتنشد أشعارها للجبال وترسم أحلامها للعيون
تحب الحياة ولكنها نعكرها بخيال المنون
ترى جوها غيباً حالكا يضيق بأثامه الملهمون

أحبُّ الظلامَ ولكنني
أثورُ على كلِّ أحلامكم
أحبُّ الحياةَ على أنني
أحقرُ موكبَ أيامكم

* * *

يقولون : جامدةُ الحسِّ تحيا
مع الأمل في حلم جامد
يقولون : صوفيَّةُ فالحياةُ تنوحُ على حسِّها الخامد
عواطفها تجمدت كالنجوم كتهوية القمر البارد
وتحليقها كان ثم امحى على صدر إحساسها الراكد

يقولون لكنني نائه
ألوذُ بصمتي الخفي الغريب
أعيشُ حياتي كالآله
وقلبي شعورٌ وروحي لهيبٌ

يقولون دَعهم غداً يعلمون ودعني أنا للشَّذى والجمالُ
أحبُّ الحياةَ بقلبي العميق وأمزجُ واقعها بالخيالُ
أحبُّ الطبيعةَ حبَّ جنون أحبُّ النخيلَ أحبُّ الجبالُ
وأعشقُ ذاتي ففي عُمقها خيالُ وجودٍ عميقٍ الظلالُ

وأهتفُ يا نارَ قلبي الغريبُ
وموجَ أحاسيسيَ الشائره
إذا اتَّهموا فلماذا أُجيبُ
بغيرِ ابتسامتيَ الساخره ؟

رماد

أهكذا داست علينا الحياه
لم تُبقِ إلا الندم الأسودا
لم تُبقِ منا صدَى
وصوتَ وا خيبتاهُ

أهكذا لم يبقِ إلا الرَماد
أليسَ من كوكبنا الآفلِ
في الموقدِ الذابلِ ؟
إمضاةٌ تُستعادُ ؟

أليسَ عنا نبأٌ أو نشيدُ
ألم تعدُّ قصتنا البائدهُ
أو همسةٌ واحدهُ ؟
توقظُ عرقاً جديداً ؟

ألم يعدُّ قطُّ لنا من مكانٍ
أليسَ في كاساتنا الخاليه
في القصَّةِ الجاريه ؟
شيءٌ يهيمُ الزمانُ ؟

وذلك الموكبُ والسائرونُ
لم يُدركوا أن هوانا اندثر
فوق ثرى المنحدرُ
في عمق قبر السكونُ

ووقعُ أقدام الهوى الراحله
تنقلها الريحُ فلا تستعيدُ
إلى مكانٍ بعيدٍ
ألحانها القافله

ونحن ما زلنا نجربُ الحنينُ
أقيادنا مثقلةٌ بالحياة
والأمسَ والذكرياتُ
ونحنُ في الميَّتينُ

ونحن ما زلنا نسوقُ الرمادُ
وأذرعُ الأحلام ترجو سدى
لنطعمَ الموقدا
خلقَ غدٍ من جمادُ

وبعثَ ماضٍ لونُ أركانهِ
أمسى رهيباً تُنكيرُ الأيامُ
من مِزقِ الأحلامُ
عاريَ جذرانِه

أمسى بعيداً تحجبُ الوديانُ
تعيثُ فيه الهدأةُ الساهمه
أسوارهُ القمامه
ويحكُمُ النسيانُ

والرَّيحُ لَمْ تُبْقِرْ عَلَى بَايِهِ
لَمْ تُبْقِرْ حَتَّى وَقَعَ أَقْدَامِنَا
حُرُوفَ إِسْمَائِيلَا
فِي جَوِّ مَحْرَابِهِ

وَرَبَّمَا طَافَتْ بِهِ فِي ذُحُولٍ
تَطُوفُ حَوْلَ الْغُرْفِ الْخَالِيَةِ
أَشْبَاحُنَا
سَدَى تُرِيدُ الدُّخُولَ

أَشْبَاحُنَا يُضِلُّهَا الْإِعْصَارُ
تَظَلُّ وَلَهَى تَلْطِمُ الْأَبْوَابُ
تَحْتَ غِلَافِ الضُّبَابِ
وَالْحَائِطَةِ الْمُنْهَارِ

أَشْبَاحُنَا حَافِرَةٌ فِي ارْتِعَادٍ
لَا صُورَةَ تَنْبِضُ فِيهَا حَيَاةُ
مَقْبَرَةِ الذِّكْرِيَّاتِ
لَا شَيْءَ غَيْرَ الرَّمَادِ

تُنْصِتُ فِي رُعْبٍ وَفِي إِعْيَاءٍ
فَلَا تَعِي إِلَّا بِقَايَا أَنْيْنٍ
عِنْدَ السِّيَاجِ الْحَزِينِ
تُرْسِلُهُ الْأَقْبَاءُ

أَشْبَاحُنَا تَسْتَفْهِمُ النِّسْيَانُ
فَلَا تَرَى إِلَّا الرَّدَى الْجَائِعَ
عَنْ أَمْسِهَا الضَّائِعِ
يَقْوُضُ الْبُنْيَانُ

وأذرعُ السَّروُ وتمُدُّ الذُّهُولُ
كانها تَقْذِفُ فوقَ القُبَابِ

فوقُ شُحُوبِ الخُرَابِ
معنى الرَدَى والذُّبُولُ

ولفظةُ واحدةٌ واحده
سمعتها تفحُّ كالأفعوانِ

تكرَّرتُ في المكانِ
في الشُّرَفِ الباردةِ

أبصرُتها مكتوبةً باللهيبِ
وفوقَ ساقِ السَّروَةِ العاريهِ

في الغُرَفِ الباليهِ
وفي الفِئاءِ الجديبِ

أحسستها تَهْمِسُ معنى «مَضَى»
أبصرُتها في كلِّ ركنٍ رهيبِ

ملءَ المساءِ الكئيبِ
أبصرتُ لفظَ «انقضى»

وتلتقي أشباحنا في المساءِ
تنظُرُ في تقطيعِ ساهمه

باردةٌ واجمه
في سورةٍ من غباءِ

أشباحنا تَطْلُبُ ماضينا
كيف انقضى؟ ألم يعدْ في الدارِ

لا تُدركُ الأسرارُ
صوتُ ينادينا؟

أهكذا داست علينا الحياه لم تُبقِ منا صدَى ؟
لم تُبقِ إلا الندَمَ الأسودا وصوتَ وا خيبتاه ؟

١٩٤٨

الخيط المشدود في شجرة السرو

- ١ -

في سوادِ الشارعِ المظلمِ والصمتِ الأصمِّ
حيثُ لا لونَ سوى لونِ الدياجي المدهمِّ
حيثُ يُرخي شجرُ الدُفلى أساهُ
فوقَ وجهِ الأرضِ ظلاً ،
قصةٌ حدثني صوتٌ بها ثم اضمحلا
وتلاشتُ في الدياجي شفتاهُ

قصةُ الحبِّ الذي يحسبه قلبك مآثا
وهو ما زالَ انفجاراً وحياةً
وغداً يَعُصْرُكَ الشوقُ إلَيَّا
وتناديني فتعيى ،

تَضْغَطُ الذكري على صدرك عبثاً
من جنونٍ ، ثم لا تلمسُ شيئاً
أيُّ شيءٍ ، حلمٌ لفظٌ رقيقٌ
أيُّ شيءٍ ، ويناديك الطريقُ
فتفيقُ .

ويراك الليلُ في الدربِ وحيداً
تسالُ الأمسَ البعيداً
أن يعودا

ويراك الشارعُ الحالمُ والدُّفلى ، تسيرُ
لونُ عينيكَ انفعالٌ وحبورُ

وعلى وجهك حبٌ وشعورٌ
كلّ ما في عمق أعماقك مرسومٌ هناك
وأنا نفسي أراك

من مكاني الداكن الساجي البعيد
وأرى الحلم السعيد

خلف عينيك يُناديني كسيرا
. . . وترى البيت أخيرا
بيتنا ، حيثُ التقينا

عندما كان هوانا ذلك الطفل الغريرا
لونه في شفتينا

وارتعاشات صباه في يدينا

- ٣ -

وترى البيت فتبقى لحظة دون حراك :
« ها هو البيت كما كان ، هناك
لم يزل تحجبه الدُفلى ويحنو

فوقه النارجُ والسروُ الأغنُ
وهنا مجلسنا ...

ماذا أجسُ ؟

حيرةٌ في عمق أعماقي ، وهمسُ
ونذيرُ يتحدَّى حلمَ قلبي
ربما كانت ... ولكن فيمَ رُعي ؟
هي ما زالت على عهد هوانا
هي ما زالت حنانا
وستلقاني تحاياها كما كنا قديما
وستلقاني

وتشي مطمئنا هادئا

في المرَّ المظلم الساكن ، تشي هازئا
يهتافِ الهاجسِ المنذرِ بالوهم الكذوبِ :
« ها أنا عدت وقد فارقتُ أكداسَ ذنوبي
ها أنا الملحُ عينيكِ تُطيلُ

ربما كنت وراء الباب ، أو يُخفيكِ ظلٌ
ها أنا عُدْتُ ، وهذا السُّلمُ
هو ذا البابُ العميقُ اللونِ ، مالي أحجمُ ؟
لحظةً ثم أراها
لحظةً ثم أعْيِ وَقَعَ خطاها
ليكن .. فلا طرقِ البابَ ...
وتمضي لحظاتُ
ويَصِيرُ البابُ في صوتِ كُئيبِ النَّبَرَاتِ
وترى في ظُلمةِ الدهليزِ وجهاً شاحباً
جامداً يعكسُ ظلاً غارباً :
« هل ... ؟ » ويخبو صوتُكَ المبحوحُ في نَبرٍ حزينٍ
لا تقولي إنها ...
« يا للجنون ! »
أيها الحالمُ ، عَمَّنْ تسألُ ؟
أنها ماتتْ ،

وتمضي لحظتان

أنت ما زلتَ كانَ لم تسمعِ الصوتَ المُثيرَ

جامداً ، تَرْمُقُ أطرافَ المكانِ

شارداً ، طرْفُكَ مشدودٌ الى خيطٍ صغيرِ

شَدٌّ في السُرُوة لا تدري متى ؟

ولماذا ؟ فهو ما كانَ هناكِ

منذُ شهرين.. وكادتُ شفتاكِ

تسألُ الأختَ عن الخيطِ الصغيرِ

ولماذا علَّقُوهُ ؟ ومتى ؟

ويرنُ الصوتُ في سمعكِ : « ماتت .. »

« إنها ماتت .. » وترنو في برودِ

فترى الخيطَ حبالاً من جليدِ

عقدتها أذرعُ غابت ووارتها المنُونُ

منذُ آلافِ القُرُونِ

وترى الوجهَ الحزينِ

ضخَّمَتْهُ سَحْبُ الرُّعْبِ عَلَى عَيْنَيْكَ . « ماتت .. »

- ٤ -

هي « ماتت .. » لفظةٌ من دونِ معنى
وَصَدَى مَطْرَقَةٍ جَوْفَاءَ يعلو ثم يَفْنَى
ليسَ يَعْنِيكَ تَوَالِيهِ الرَّتِيبُ
كل ما تُبْصِرُهُ الآن هو الخيطُ العجيبُ
أتراها هي شِدَّتُهُ ؟ ويعلو
ذلك الصوتُ المملُ
صوتُ « ماتت » داوياً ، لا يضمحلُ
يملا الليلَ صُراخاً ودوياً
« إنها ماتت » صَدَى يَهْمِسُهُ الصوتُ ملياً
وهتافُ رددته الظلماتُ
وَرَوَتْهُ شَجَرَاتُ السُّرُو فِي صَوْتِ عَمِيقٍ
« إنها ماتت » وهذا ما تقولُ العاصفاتُ

« إنها ماتت ، صدىً يصرخُ في النجم السحيقِ
وتكادُ الآن أن تسمعهُ خلفَ العروقِ

- ٥ -

صوتُ ماتتُ رنٌّ في كلِّ مكانِ
هذه المطرقةُ الجوفاءُ في سمع الزمانِ
صوتُ « ماتتُ » خائقٌ كالأفعوانِ
كلُّ حرفٍ عصبٌ يلهثُ في صدركَ رعباً
ورؤى مشنقةٍ حمراءَ لا تملكُ قلباً
وتجنِّي غلبٍ مُختلجٍ ينهشُ نهشاً
وصدى صوتٍ جحيميٍّ أجشاً
هذه المطرقةُ الجوفاءُ : « ماتت »
هي ماتت ، وخلا العالمُ منها
وسدى ما تسالُ الظلمةُ عنها
وسدى تُصغي إلى وقعِ خطاياها

وُسْدَىٰ تَبْحَثُ عَنْهَا فِي الْقَمَرِ
وَسْدَىٰ تَحْلُمُ يَوْمًا أَنْ تَرَاهَا
فِي مَكَانٍ غَيْرِ أَقْبَاءِ الذِّكْرِ
لِإِنِّهَا غَابَتْ وَرَاءَ الْأَنْجُمِ
وَاسْتَحَالَتْ وَمَضَتْ مِنْ حُلُمِ

- ٦ -

ثُمَّ هَا أَنْتَ هُنَا ، دُونَ حَرَكَ
مُتَعَبًا ، تَوَشَّكَ أَنْ تَنْهَارَ فِي أَرْضِ الْمَرِّ
طَرَفَكَ الْخَائِرُ مُشْدُودٌ هُنَاكَ
عِنْدَ خَيْطِ شَدٍّ فِي السَّرُورَةِ ، يَطْوِي أَلْفَ سُرٍّ
ذَلِكَ الْخَيْطُ الْغَرِيبُ
ذَلِكَ اللَّغْزُ الْمُرِيبُ
إِنَّهُ كُلُّ بَقَايَا حَبْلِكَ الذَّاوِي الْكُتَيْبُ .

وَيَرَاكَ اللَّيْلُ تَمْشِي عَائِدًا
فِي يَدَيْكَ الْخَيْطُ ، وَالرَّعْشَةُ ، وَالْعَيْرُ الْقُدَوِيُّ .
« إِنِّهَا مَاتَتْ .. » وَتَمْضِي شَارِدًا
عَابثًا بِالْخَيْطِ تَطْوِيهِ وَتَلْوِي
حَوْلَ إِبْهَامِكَ أَخْرَاهُ ، فَلَا شَيْءَ سِوَاهُ ،
كُلُّ مَا أَبْقَى لَكَ الْحُبُّ الْعَمِيقُ
هُوَ هَذَا الْخَيْطُ وَاللَّفْظُ الصَّفِيقُ
لَفْظُ « مَاتَتْ » وَانْطَوَى كُلُّ هَتَافٍ مَا عَدَاهُ

للقارئ

وردت في سياق القصائد بضع كلمات أوربية، قد
م القارئ ان يقرأ لكل منها شرحاً موجزاً :

يوتوبيا Utopia

كلمة أغريقية معناها « لا مكان » ، استعملتها للدلالة
على مدينة شعرية خيالية لا وجود لها إلا في أحلامي،
ولا علاقة لهذه المدينة بيوتوبيا التي تخيلها الكاتب
الانكليزي توماس مور في كتاب ألفه باللغة اللاتينية
سنة ١٥١٦ ورسم فيه صورة سياسية إدارية للجزيرة
المثلى كما يريد ما هو ، قياساً على جمهورية افلاطون .

ديانا Diana

عند اليونان القدماء ، إلهة القمر، وحامية الصيد.
كانوا يتخيلون انها تسوق عربة القمر البيضاء كل مساء
عبر السماء .

نارسيص Narcisse

زهرة النرجس . في الاساطير اليونانية القديمة ان
نارسيص كان شاباً فاتناً شديد الغرور بجماله ، فعاقبته
الآلهة على كبريائه بأن جعلته يعشق صورته ، بعد ان
رآها منعكسة في ماء بحيرة صافية ذات يوم . ثم رقت
له فحولته الى الزهرة التي ما زالت تحمل اسمه .

ابولو Apollo

إله الوحي والفن ، وقائد عربة الشمس في الفضاء
عند قدماء الاغريق ، وهو شقيق ديانا التي مر ذكرها .

لابرنث Labyrinth

كلمة اغريقية الأصل ، معناها بناء ذو مسالك
معقدة وأبواب لا حصر لها متصلة بعدد كبير من
الممرات والدهاليز والاقباء ، بحيث إذا دخله انسان
لم يملك الخروج منه .

وقد استعملت هذه اللفظة في قصيدة «الافعوان»
اسماً لطريق شيده « أمير غريب الطباع . ثم مات

الأمير .. وابقى الطريق .. ، وربما كان باعث كلمة
أمير في ذهني ، اقتران كلمة — لابرنثوس — بشبه
حكاية أسطورية تتعلق بتاريخ مصر القديم فقد حكي
عن هيرودوتس أنه حين مرّ بمصر رأى بناء غريباً
هائل الضخامة أشبه بلفز كبير محيّر ، من دخله لم
يجد مخرجاً منه ، شيد أحد ملوك الأسرة الثانية عشرة
ومن يدري ؟ لعل الملك الذي شيد هذا البناء
أراد أن يتخذ منه نجباً لا يدركه فيه «أفعوانه» الخاص

هياواثا Hiawatha

بطل أسطورة من أساطير هنود الشمال في أميركا
أختارها الشاعر الأميركي لونكفلاو موضوعاً للملحمة
شعرية كتبها سنة ١٨٥٥ والجزء الذي تهمننا الإشارة
إليه من هذه الملحمة ، ان زوجة هياواثا الشابة قد
ماتت على اثر شتاء قاسٍ انشب ثلوجه وأعاصيره في
القرية ، منزلاً بسكانها الجوع والحمى والموت. ولذلك
استعملت كلمة « هياواثا » في قصيدة «لنكن اصدقاء»
رمزاً لصرخات الاستغاثة والشكوى في أرض يموت
سكانها مدفونين في الثلج جائعين محومين .

قرارة المنوعة

إلى أمي ..

أول شاعرية خصبة تتلمذتُ عليها

« نازك »

تقدمة للطبعة الثالثة

- ١ -

كنت قد كتبت هذا الحوار التحليلي عام ١٩٥٧ لأجعله مقدمة للطبعة الأولى من (قرارة الموجة) . وقد حاولت فيه أن أشخص تطوري النفسي بين الفترة التي نظمت فيها هذا الشعر (١٩٤٧ - ١٩٥٣) والفترة التي كنت أمرّ بها عام ١٩٥٧ حينما كنت أنظم قصائد ديواني الرابع (شجرة القمر) . ومن عاداتي ألاّ أنشر إنتاجي الشعري إلا بعد مرور الزمن عليه ، ليكون حكلي عليه أصوب ، وذلك سرّ الفرق الزمنية التي تقوم بين شخصيتي الفكرية في (قرارة الموجة) وشخصيتي الجديدة عام ١٩٥٧ ولذلك سميت بنظرة قرارة الموجة بـ (الأولى) وبطلة عام ١٩٥٧

بـ (الثانية) فشخصت بذلك الفروق بين ذهنيها .
وقد عدلت يومها عن نشر هذه المقدمة لأترك للقرّاء
فرصة يدرسون فيها القصائد بمنزل عن تحليلاتي ،
أما الآن وأنا أقدم للطبعة الثالثة ، فبلا أرى مانعاً
من نشر الحوار لما يلقيه من أضواء كاشفة على هذا
الشعر قد تساعد الناقد في فهم وجهة نظري الفلسفية
وتطوري الذهني بين الفترتين .

« د. م. »

البصرة

في ٢٣/١٢/١٩٦٧

الثانية : انهم يسألونني عنك ، أيتها الصديقة القديمة ،
ويريدون أن يعرفوا لماذا سميت « قرارة
الموجة » .

الأولى : (في لهفة) أليس في وسعك أن تردى عليهم؟
الثانية : (دون مبالاة) : بلى . لست أنكر أن
عندي معلومات كثيرة عن هذه القصائد ،
وفي وسعي أن أتحدث طويلاً عن كل واحدة
منها . ولكني - والحق يقال - لا أحس
برابطة تربطني بها أو بك . هذه القصائد
قد نظمت منذ سنين ولم تعد تعنيني .
أتريد أن أقف منها موقف الناقد ؟

الأولى : أنتِ ؟ بمقاييسكِ التي لا أقرُّها ؟

الثانية : ماذا في وسعي إذن ؟ لقد سألتكِ أن تتحدثي أنتِ إليهم عن نفسك فأبيتِ .

الأولى : إنَّكِ ترفضين أن أقولَ ما أريد ، وتصرين على أن أقول ما تريدن أنتِ ، مع أنني أنا التي نظمتُ هذا الشعر لا أنتِ .

الثانية : فلنفرض انني أذنت لك بالكلام .

الأولى : (ساخرة) كرمٌ عظيم منك . إني أحبُّ أن أحدثهم عن « الموجة » ، عن النقطة العليا التي أسميتها القمة ، والنقطة السفلى أو « القرارة » ، القمة التي تصلها الموجة وماؤها مندفع إلى أعلى ، والقرارة التي تصل إليها حين تستجمُّ حركة الاندفاع المتوتر .

الثانية : يا أختي ! أما كان الأفضل أن تنشري لهم الشعر الذي نظمته وأنت في قمة الموجة ؟ أنتِ تدرين أنهم يهتمونك بالتشاوم .

الأولى : (في ازدراء) القمة ؟ لا شيء على القمة
إطلاقاً . إني أكتب قصائد باردة حين
أبلغها . وما القمة بعد ؟ إنها بداية الانحدار .
أما القرارة فليست إلا الاستجمام الذي
ينطوي على بذرة التعفّز إلى الانبثاق الحار
والصعود إلى القمة التالية .

الثانية : سيقولون حين يسمعونك : ما قيمة الصعود
إن كانت القمة نفسها باردة ؟

الأولى : مهما يكن فإنّ عنواني « قرارة الموجة »
متفائل .

الثانية : هكذا كنتِ تقولين عن (شظايا ورماد)
إن لم أخطيء .

الأولى : كلا . إن الشظايا قمة عالية حقاً ، ولكنّ
الرماد هو النهاية التي لا حياة بعدها . أما
الموجة فهي لا تركد أبداً ، والنقطة السفلى
فيها ليست إلا القفزة الجديدة نحو القمة .
وهكذا ترين أن (قرارة الموجة) يرى

الحياة على صورة تعاقب قمم وانحدارات
لا نهاية لها ، وإذا كان هذا الشعر قد نظم
في منحدر الموجة فإنها محض صدفة
لا أكثر .

الثانية : آمناً . ولكنني أحب أن أعترض على شيء
إن سمحت .

الأولى : (في ضيق) كما تشائين .

الثانية : اني أحب أن أغير عنوان الديوان من
(قرارة الموجة) إلى (طريق العودة)
فما رأيك ؟

الأولى : فكرة ذات إمكانيات . أتعلمين انّ هذا قد
خطر لي أنا نفسي مراراً ؟ إن قصيدة
(طريق العودة) كبيرة الدلالة وأنا أعدّها
مفتاح الفلسفة التي قامت عليها حياتي .

الثانية : اتفقنا إذن . فلنسمّه (طريق العودة) .

الأولى : كلا . ليس في وسعي أن أوافق . إن
القرّاء سيظنون العنوان غواية لا أكثر .

سيحسبون أنني لم أجد عنواناً يلخص عقدة
الديوان ويدلّ عليها فلجأت إلى تسميته
باسم إحدى القصائد : الواحدة الأخيرة
إلى قلبي .

الثانية : وماذا لو ظننوا هذا ؟ إن ديوان شعري ما
ليس عملاً موحّداً بحيث يجب أن يلخصه
العنوان .

الأولى : هذا ما لا أوافق عليه . إن العنوان ليس إلا
مرآة صغيرة تعكس فترة من حياة زاخرة
عماشها الشاعر ، ولا بدّ لكل فترة في حياة
الشاعر الحق من اتجاه مميز . انه شيء قائم .
وهو يحتم العنوان .

الثانية : رأي متعنّت . أنتِ جديّة أكثر مما
ينبغي . وبعد فإن عنوانك العتيّد (قرارة
الموجة) لا يمثل القصائد كلها . إنّ في هذه
المجموعة قصائد لا تقع تحت هذه الفلسفة .
الأولى هذا حقّ . وأنتِ المسؤولة . لقد حذفِ

نصف قصائد هذا الديوان . أنكري هذا .

الثانية : إني لا أنكر . هذه القصائد لم تعد تروقني وقد حذفتها .

الأولى : ولكنها مقاييسك أنت ، أنت التي لم تنظم هذه القصائد . وليس من حقلك أن تتحكي في شعري أنا ، أمامك ديوانك أنت فاحذف منه ما تشائين .

الثانية : ألا يبدو ان فتاة أخرى هي التي ستتعلم في شعري أنا ؟ واحدة لا أعرفها الآن ، ستنبع من المستقبل وتواجهني ولن يروقها شعري . أغنيتي هذه الأخيرة التي تنتفض فيها الوردة الحمراء وتتفجر الدموع المختبئة فيها ... هذه الأغنية التي أراها أنا أجمل ما يمكن أن أنظم ، يجوز أنها لن تسمح لي بنشرها كما أصنع أنا بقصائديك .

الأولى : (كأنها لا تصفي) حلاً ماذا أبقيت من (قرارة الوجهة) ؟

الثانية : يكفي ما أبقىته منه . إن القارىء سيألف
الفلسفة . ألا يكفي أنكِ ملأتِ بها
(لعنة الزمن) و (الشخص الثاني)
و (سخرية الرماد) و (يحكى أن حفّارين)
و (صلاة الأشباح) ؟ بل ألا تكفيك قصيدة
(طريق العودة) هذه القصيدة التي
تولعين بها ؟

الأولى : إنتها تلخصني .

الثانية : طبعاً تلخصك . ولهذا أراني لا أنسجم
معك . إني أحبّ طريق العودة ولا أستسيغ
كرهك له وثورتك عليه . اسمعي ما تقولين :

لماذا نعود ؟

أليس هناك مكان وراء الوجود ؟

نظلّ إليه لسير

ولا نستطيع الوصول ؟

الأولى : (في لحظة حالة) حقاً ، لماذا نعود ؟ إن

طريق الرواح مملوء بالحياة والجمال دائما .
وما نكاد نقرر الرجوع حقيقى يركد كل
شيء ، وتلوح الأشياء جامدة مملئة . طريق
الرواح يعرض علينا الأشياء أول مرة فنراها
بلهفة تخفي ما فيها من معائب ، بينما يقدرتها
لنا طريق العودة وقد فقدت جدتها .

الثانية : وا أسفاه . أنتِ إذن تؤمنين أن آمالنا
هي دائما أجل من تحققها . أترى الكأس
أعذب حين لا نملكها ؟ أتصبح بلا طعم
إذا نحن بلغناها وتناولناها ؟

الأولى : (ما زالت تحلم) تماما . أنتِ تلخصين
فكرتي التي جاءت في قصيدة (وجوه ومرايا)
في « شظايا ورماد » حيث قلت :
كيف حين استلمت كأسى أرسل
بت دموعي ولم يُفدني ارتواء

الثانية : وهذه عين صرختك في قصيدة (الزائر الذي
لم يحيى) في هذا الديوان :

ولو كنت جثّة ..
أما كنت تصبح كالحاضرين وكان المساء
يمرّ ونحن نقلب أعبتنا حائرين

الأولى : صرختي طبعاً . وأنا أحبّتها . ان مجيء
زائري المنتظر ليس إلا قمة الموجة ،
وتحقّقه ينذر بالمتحدر .

الثانية : إنك يا صديقتي لا تقوين على التعديق في
الأشياء خوفاً من أن يكشف طريق
العودة ما تخفيه النظرة العجلى . أليس هذا
هو السرّ في قصيدتك (لنفترق) فلماذا
أردتِ هذا الفراق وألححتِ عليه ؟ إسمعي
أبياتك :

وما زال وجهك مثل الظلام ، له ألف معنى
وقد يعتريه جمود الصنم
إذا رفع الليل كفيه عنا

هكذا تحاولين أن تهربي من التعديق في

الأشياء ، وتؤثرين أن تستبقي على عينيك
غشاوة تحجب عنك كل شيء. إنك تكرمين
أن تبلغى القمة لثلاث يلوح لك المنحدر .
وتمقتين أن تصلي إلى نهاية الطريق لثلاث
تضطري إلى الرجوع . وتحبين ... ماذا
تحبين أنت ؟ إنك بكلمة واحدة لا تحبين
الوصول إلى أي مكان .

الأولى : وما قيمة الوصول إلى مكان ؟ انظري إلى
الوصول الذي حققته في قصيدتي (وجوه
ومرايا) .

الثانية : (ساخرة) أوه ... قصيدتك تلك ...
حيث تحطمين المرأة ؟ اذكرين لماذا
حطمت المرأة ؟

الأولى : طبعاً . لقد كان ذاك شيئاً لا أنساه .
كان ينبغي أن أنظم قصيدة سعيدة ، وقد
توقعوا جميعاً أن أفعل .

الثانية : وقد خرجت عليهم بهذه (الفقاعة السوداء) .
لماذا ؟ لقد أدركت أنك وصلت . وبدلاً

من أن تسعدي بالقمة ذهبت إلى المرأة
تبحثين فيها عما سميت «ذاتك التي لا تلمس» .
قولي لي حقاً لماذا حطمت المرأة ؟ إنك لم
تقولي هذا لأحد قط ؟

الأولى : لم أقله لأحد ، ولن أقوله الآن .

الثانية : لا داعي لأن تقولي بعد . أولاً أعرف كل
شيء عنك ؟ أنت لا تحبين الوصول
والتحقق ، وقد أخافك وجهك في المرأة
لأن ظل القمة كان منعكساً عليه .

الأولى : وما ظل القمة في اعتباراتك ؟

الثانية : السعادة يا فتاة .

الأولى : أنت لا تفهميني على كل حال .

الثانية : مها يكن - لقد ألقيت بالمرأة على الأرض
وحطمتها لتهربي من القمة التي تخيفك :
الوصول .

الأولى : وهنا كانت السخرية . ~~لقد~~ ~~بالمرأة~~ ~~جني~~

منعكساً على كل شظية من شظايا المرآة .
لقد تعددت وتجزأت نفسي . إن هذا هو
ما أكرهه .

الثانية : لأنك تكرهين الوصول وحسب . إنك لم
تطيق أن تصلي مرة ، وعندما تحطمت
المرآة تعدد وصولك فلم تطيق الموقف .

الأولى : وماذا كان سيقع لي بعد ذلك؟ بعد الوصول؟
الانحدار إلى القرارة .

الثانية : وكيف تستطيعين الاستمتاع بالقمة إن لم
تقرري النزول إلى القرارة ؟ كيف تنعمين
بطريق الرواح إن كنت لا تطيقين طريق
العودة ؟ قفي إذن حيث أنت يا صغيرتي
واغمضي عينيك ، أغمضيها بسرعة لئلا
يشرق الضوء - أو يلوح لك القمر وهو
يسخر منك كما تصفيه في (سخرية الرماد) .

الأولى : أنت تحبين الجدال .

الثانية : ربما . ولكني أجادل ظلاً هذه المرة وبعد فمن

أنتِ ؟ طيف من الماضي . شيء كان ولم يعد
له وجود . .

الأولى : اني أقوى منك مع ذلك أنظري كيف تتنحني
لي وتدعيني أعيش على الورق ، بينما تلوذين
أنت بالصمت التام .

الثانية : أنت تغلبين؟ سرعان ما ستتعبين من المقاومة
وتهربين . انك تنسين الأشياء بسرعة ، ولا
تحبين الثبات على أي شيء . انك تبتدعين
الأساليب لكي تغيري أي طريق تسيرين
فيه . إن الزمن يدحرك في كل مناسبة .

الأولى : (تنتفض في شبه خوف) الزمن ؟

الثانية : أنظري كيف أفزعتك الكلمة ؟

الأولى : اني لا أخاف الزمن . اني أسأله وحسب .
ولعلي أتعب من مصاحبة أفكارى .

الثانية : ان « قرارة الموجة » أفصح منك في الحديث
وأكثر صراحة . أنظري الى قصيدة (لعنة
الزمن) انك ترمزين للزمن بالسمة الميتة التي

كانت طافية على سطح النهر ذات غروب
خلال نصف ساعة متأمة قضاها الصديقان
الذان تتناول القصيدة قصتها .

الأولى : طبعاً يكون للزمن تأثيره. أنظري للظروف
التي كانا فيها .

الثانية : ما لها ؟ لقد أعطيتها في أول القصيدة
خير ظروف ممكنة : طبيعة ملاطفة ، وغروب
وديعة يفرش ألوانه في خدمة المحبين الذين
يحاولان إحياء ماض قد انطوى ويبذل كل
منها جهداً مخلصاً في هذا الاتجاه وقد نجح
الغروب فعلاً وحقق المعجزة وسعد الصديقان
ولكنك وأنت ما أنت تدخلت فوضعت
السكة الميتة في الطريق .

الأولى : (تبسم) أنا وضعتها ، إنها كانت طافية
على الماء ولم أضعها أنا هناك ؟

الثانية : إنها مجرد سكة ميتة ، وكان في وسعها أن
تظل كذلك لو لم تصرني أنت على أن تكبر
وتكبر .

الأولى : « في احتجاج » أنت تتكلمين وحسب .
ان السمكة قد بدأت تكبر فجأة .

الثانية : لانها القيا بالهما إليها يا ساذجة .

الأولى : « في جهل مخلص » لقد قابلاها بالشفقة اولا
ثم أحسا بالضيق بسبب التعارض بين مشهد
الموت وحرارة الحياة التي نجحنا في تحقيقها
اتريدين ان تقولي أنها كنا نستطيعان ان
يقاوما الشعور بالانزعاج من ان تطفو سمكة
ميتة في تلك اللحظة ؟

الثانية : ان الصديق قد رفض ان يلقي باله إلى السمكة
الا تذكرين احتجاجه القوي على الفتاة في
بعض مقاطع القصيدة ؟

الأولى : انه لم يكن خائفاً

الثانية : طبعاً . هكذا بدأ . ولكنه سرعان ما
خاف بتأثير الفتاة التي نسيت كل شيء وعلق
بصرها بالسمكة في رعب . اسمعي صرخاتها

..... أي طريق
يحمينا من هذا المخلوق
لنعد . قال الرب يضيق يضيق
والظلمة محكمة الاغلاق

لقد راحت تثير وساوسه ونخاوفه حتى
نجحت في زعزعة ثقته ، ومهدت السبيل
لانتصار السمكة التي مضت في التضخم حتى
فصلت بينها وسدت في وجهيها الأرجاء .
قولي لي ، الست أنت التي وضعت بينهما
هذه « الجثة » ؟

الاولى : لقد كانت الجثة موجودة ، ولا شأن لي أنا
بها . كيف كان يمكن الا - أخاف ؟

الثانية : ان السمكة في قصيدتك رمز للزمن أي الفراق
بين الصديقين أليس كذلك ؟

الاولى : تماماً . إني أعتقد أن فراق عشرة أشهر بين
الأصدقاء يجعل من المستحيل ان يعودوا أصدقاء

الثانية : أغرب عقيدة . ولماذا ؟ اذا سمحت بالسؤال

الأولى : لأنهم لا بدّ ان يكونوا قد تغيروا خلال ذلك ونمت في أنفسهم ترسبات زمنية كثيرة تجعلهم غرباء الواحد عن الثاني .

الثانية : ما هذا الزمن لتخافيه إلى هذا الحدّ ؟ ان التغير مها كان عميقاً لا يبعد الانسان عن انسانيته التي تبقى تجمعها بالآخرين مها كانت صفتهم . لكأنك تفترضين ان الناس أصلاً منفصلون ولا يجمعهم الا الاتصال . أما أنا فأؤمن بأن قيام الصلات الودية بين أي انسانين في الدنيا محتمل في كل لحظة بحيث يصعب تحاشيه .

الأولى : رأيك هو الغريب . إني أقضي أشهراً طويلة أحياناً قبل أن أحس بشيء من الانسجام مع انسان أراه كل يوم .

الثانية : يسرني يا أختاه أنك محض ظل الآن ، وخير لك أن تعودى الى قوقعة التاريخ التي استدعيتك منها وأنا أهىء (قرارة الموجة) للطبعة .

الأولى : اني لا أطيقك . أنتِ الشخص الثاني الذي
أسخر منه في قصيدتي .

الثانية : ها ، قصيدتك (الشخص الثاني) . كنت
على وشك أن أنساها وهي دليل حي على
رعبك من الزمن الذي يلوح فيها شيطاناً
خبيثاً .

الأولى : أنت الشخص الثاني .

الثانية : رائع . ان هذا يناسبني وأنا راضية . أتخسبن
أن الناس يخلون من ان يكون فيهم شخص
ثالث .

الأولى : ماذا ينفعك هذا ؟

الثانية : ان في وسعي أن أصافح هذا الشخص الثاني
يا صديقتي . انه أقرب إلي منك .

الأولى : ان الشخص الثاني : بارد ، هازيء ، بلا
مشاعر .

الثانية : هكذا تمرينه لأنك الشخص الأول دائماً .
لقد أردتِ ألا تتغيري قط ، وكأنك صفتِ

نفسك وفق قالب نموذجي . وعندما عدت
من الولايات المتحدة عام ١٩٥١ تخيلت أن
انساناً جديداً قد ولد وترعرع ، في داخل
كل انسان عرفته في أرض الوطن . قولي
لي هذا وحسب : لماذا لم تفترض ان انساناً
جديداً قد ولد فيك أنت كذلك خلال
أسفارك في أقطار الدنيا ؟ لماذا لم يخطر لك
أنك أنت الشخص الثاني ؟

الأولى : معاذ الله . انني لست الشخص الثاني وكفى .

الثانية : ألم أقل لك انك تلقين بالك إلى الزمن أكثر
 مما ينبغي ؟ أليس الشخص الثاني هو عين
 السمكة الميتة ؟

الأولى : هو نفسه .

الثانية : هل تصافحيني ؟

الأولى : اني لا أحبك .

الثانية : شأنك إذن .

الأولى : لقد آن لي أن أعود إلى قوقعتي كما تسمينها
ولا أظننا سنلتقي ثانية .

الثانية : أما أنا فإن نفسي الجديدة تنتظرنني في مكان ما
من المستقبل القريب . وسأذهب للقاءها .

الأولى : أرجو ألا يطول بحثك عنها .

الثانية : مهما طال ، فلا بد لي من الوصول ، وسأجدها
في النهاية وأصافحها . وداعاً يا رفيقة .

الأولى : (لا ترد ، تختفي وراء الضباب) .

٥٧/٢/٢١

نازك الملائكة

أول الطريق

لنلتق ، فالريـح تعصف والمنحنى لا يعي
وغممة الهاجس المتهدد في مسمعي
وهذا الطريق الذي سلبته خطاي السكون
غريبٌ مخيف المعابر يُشبه لوت الكُنُونُ
أحسّ السراب

وراء الهضاب

والمس في لونه مصرعي
وأنت بعيدٌ وراء الظنُون

لنلتقِ ، ... إني أخاف المساء الغريقَ الضياءُ
أرى مارداً من أسايَ الممزَّقِ يطوي الفضاء
يُثقل أقدامه السُّودَ بين عيُون السنا
ويُطفئها ، عدت أخشى أذاه على نجمنا

فحين الإله
عفتُ عن أذاهُ

وقد يستعير هيبَ البكاءِ
ويُغمدهُ في ابتساماتنا



لنلتقِ .. ما أطول الإنتظارَ على الخائفينُ
لنلتقِ ، تحجبُنا فكرةٌ عن عيُون السنينُ
هنالكَ ترصدنا نجمةٌ من هوانا الرقيقِ
تمدُّ يديها لترشدنا لمكانٍ سحيقِ

وراء الجراحُ
ولسع الرياحُ

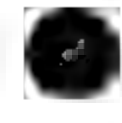
بعيداً وراء كهوفِ الأنين
هنالك يبدأ كلُّ طريقٍ



هنالك تبتدىء الذكريات سجلاً جديداً
وتبدو حدودُ طريقٍ يشقُّ الفضاء المديدُ
إلى موضعٍ في المدى المرتمي حجبته الظلالُ
وما كشفت عن خفاياه حتى عيون الخيالُ
ستعبرُ فيه
إلى ألفِ تيهٍ

سُدَى يتحرى الزمان البليد

خطانا فنحن وراء المحال



سنحيا معاً في عوالم حافلة بالوعود
ونملك ليلاً يبيع النعاس وعطر الورود
سينبجس الماء حيث لمسنا أديم الثرى
ويرقص حول خطانا بأجنحة من شذى

سنمحو الزمان

وننسى المكان

هناك ونقسم ألا نعود
إلى أمسنا المنطوي .

سر بنا !

١٩٤٨ / ٤ / ٨

اغنية

اسْكُنِّي يَا أَغَانِي الْأَمَلُ
فَالْهُوَى قَدْ رَحَلُ
وَانْطَوَى سِرَّهُ فِي مُقَلُ
رُصِفْتُ بِاللَّيْلِ

* * *

أَيْنَ أَيْنَ تَرَى تَذْهَبِينَ
فِي سَكُونِ السَّنِينَ
وَالطَّرِيقُ الَّذِي تَسْلُكِينَ
صَامِتٌ لَا يُبِينُ

* * *

ولن تخلقين العُطورُ
والليالي تدورُ ؟
ولن دفؤك المسحورُ ؟
للدجى ؟ للقبورُ ؟

* * *

ولن أنتِ والمنشدونُ
رحلوا في سكونُ ؟
والأسى ، يا أغاني ، ديونُ
دفعتها غيوتُ

* * *

كم ملأنا بكِ الأقداحُ
وسقيتنا الرياحُ
كم منحناكِ للأشباحُ
في رضا وسماحُ

* * *

فابحشي في شباب الوجود
عن هوأنا الشرود
كفنا ندرت بالوعود
وهو ليس يعود

دعوة إلى الأحلام

تعال لنحلم ، إن المساء الجميل دنا
ولين الدجى وخذود النجوم تُنادي بنا
تعال نصيد الرؤى ونعدّ خيوط السنا
ونشهد منحدرات الرمال على حبنا

* * *

سنمشي معاً فوق صدر جزيرتنا الساهده
ونبقي على الرمل آثار أقدامنا الشارده
ويأتي الصباح فيُلقي باندائه الباردة
وينبت حيث حلمنا ولو وردة واحدة

* * *

سنحلمُ أنا صعدنا نرود جبالَ القمرِ
ونمرحُ في عُرْلةِ الانهـايةِ واللابـشـرِ
بعيداً ، بعيداً ، إلى حيثُ لا تستطيعُ الذكـرُ
إلينا الوصولَ فنحن وراءَ امتدادِ الفكـرِ

* * *

سنحلمُ أنا استَحَلَّنا صبيـثـينِ فوقَ التلالِ
بريشينِ نركضُ فوق الصُخـورِ ونرعى الجـمالِ
شريدَينِ ليس لنا منزلٌ غيرَ كوخِ الخيالِ
وحينَ ننام نمرِّغُ أجسامنا في الرمالِ

* * *

سنحلمُ أنا نسيرُ إلى الأمسِ لا للغدِ
وأنا وَصلنا إلى بابلِ ذاتِ فجرِ نـدِ
حبـيـثـينِ نحـمـلُ عهدَ هوانا إلى المـعـبـدِ
يُباركُنا كاهنُ بابليُّ نقيُّ اليـدِ

١٩٤٨ / ٩ / ٢٨

الشهيد

في دجى الليل العميق
رأسه النشوان القَوَّه هشيا
وأراقوا دمه الصافي الكريما
فوق أحجار الطريق

* * *

وعقاييلُ الجريمة
حملوا أعباءها ظهرَ العمودِ
ثم القَوَّه طعاماً للحدودِ
ومتاعاً وغنيمه

* * *

وصباحاً دَفَنُوهُ
وأهالوا حَقْدَهُمْ فوقَ ثَرَاهُ
عارُهُمْ ظَنُّوه لَنْ يُبْقَى شَذَاهُ
ثم سَارُوا وَنَسُوهُ

* * *

والليالي في سُرَاها
شَهِدَتْ ما كان من جُهدٍ ثَقِيلِ
كلُّها غَطَّوْا على ذِكْرِ القَتِيلِ
يتحدَّاهم شَذَاهَا

* * *

حَسِبُوا الإِعْصَارَ يُلَوِي
إن تَحَامَوْهُ بِسِتْرٍ أو جِدَارِ
ورأوا أَنْ يُطْفِئُوا ضوءَ النِّهَارِ
غيرَ أَنَّ المجدَ أَقْوَى

* * *

ومن القبر المعطر
لم يَزَلْ منبعثاً صوتُ الشهيد
طيفه أثبت من جيشٍ عنبد
جاثمٍ لا يتقهقر

* * *

وسيبقى في ارتعاشـ
في أغانينا وفي صبر النخيلـ
في خطى أغنامنا في كلِّ ميل
من أراضينا العطاشـ

* * *

فليُجنّوا إن أرادوا
دونهم .. وليقتلوه ألف قتله
فغداً تبعثُهُ أمواه دجله
وقراننا والحصاد

* * *

يا لَحْمَقى أَغِياءُ
مَنْحَوْه حِينَ أَرْدَوْه شَهِيداً
أَلْفُ عُمرُ ، وشباباً ، وخلوداً ،
وجمالاً ، ونقاءً

* * *

إنَّه عادَ نبيّاً
وهو قد أصبح ناراً تتحرَّقُ
في أمانينا وثاراً يتشوقُ
وغداً يبعث حياً

١٩٥٣/٥/٢٢

لعنة الزمن

كان المغرب لونَ ذبيح-
والأفق كآبة مجروح-
والأشباحُ الغامضة اللون تجوسُ الظلمةَ في الآفاقِ
والنهرُ ظنوتٌ سوداءُ
والريحُ مراوحُ نكراءُ
والضفةُ أرضٌ جرداءُ
تمضغها الظلمة في استغراقٍ
كانت خطوات الظلمة ترطم جو الشاطئ في استغراق
والصمت يفكر في الأحداق

* * *

كُنَّا تَتَّبِعُ نَعَشِ الضَّوْءَ
وَنَرَاقِبُ خَطْوَ اللَّاشِيءِ
نَيْنَ يَلُوحُ عَلَى اسْتِغْرَاقِهَا الْمُبْهِمِ لَوْنُ الْعُشَّاقِ
كُنَّا نَرْقُبُ كَاسَ الْأَفَقِ
تَرْضَعُ مِنْ أَوْشَالِ الشَّفَقِ
وَتَصْبُ الْحُمْرَةَ فِي قَلْقِ
فِي سَيْقَانِ صَفْرِ الْأَوْرَاقِ
سَيْقَانِ عَرَّتْهَا الرِّيحُ مِنَ الْأَلْوَانِ ، مِنْ الْأَوْرَاقِ
وَمَضَتْ تَبْكِيهَا فِي إِشْفَاقِ

* * *

كُنَّا كَالْأَمْوَاجِ الْخَرْسِ
فِي عَيْنَيْنَا لَوْنِ الشَّمْسِ
وَجَهَيْنَا الْوَقِيرَيْنِ خُشُوعُ الْمَغْرِبِ وَالْأَبَدِ الْخُلَاقِ
كُنَّا نَهْمِسُ كَالْأَنْسَاءِ

كصدى مجداف في الماء
لم تقطع صمت الظلماء
بمدامع ذكرى أو أشواق
كنّا قد كنّا الماضي ودقنا اللهفة والأشواق
في الظلمة في صمت الأعماق

* * *

وأراق المغرب ألوانه
فوق الأشياء الوستانه
لم يبق بناء لم تحمر أعاليه ، لم يبق زقاق
حتى في صفرة خدينا
حتى في وجمة قلينا
أحسننا اليقظة واللونا
حتى في دمننا ، في الأعراق
أحسننا شيئاً كالثورة في الدم ، في الأعين ، في الأعراق
شيئاً كاللهفة ، كالأشواق

* * *

حتى طرق الماضي الخربه
تلك الآفاق المكتئبه
لاحت واضحة الصمت يغازلها ضوء القمر المشتاق
لا فيها أشباح حيرى
تتبعنا غاضبة غيرى
ذات عيون تقطر غدرا
في الليل ، ولا فيها أنفاق
لا فيها هاوية تسكن فيها الأغوال ، ولا أنفاق
لا شيء سوى القمر البراق

وهجسنا شيئا منفعلا
في قلبينا ، شيئا ثلا
يلهث عاطفة بعد جمود سنين مرت في استغراق
وانبجست أشواق وسنى
من أعيننا لونا .. لونا ..

وتحرك في دمننا معنى
ناريّ الشوق صدر تواق
وسدىّ حاولنا أن نسكتّه فهو صدر مرح ، تواق
وسدىّ نظيره في الأعماق

* * *

ووقفنا في الظلمة نحلم
بالموج وبالليل المبهم
ونحوك من الأنجم والرؤيا والأمواج لنا أطواق
ونجوب العالم في عربات
صنعتها أذرُعُ جنيات
من عطر الأزهار الخجلات
من أسلاك الضوء الآلق
في قعر النهر على أرض لم يلمسها القمر الآلق
وتناست مولدها الآفاق

* * *

لكنّا إذ كنّا نحلّم
أحسننا شبه صدى مُبهم
في الأمواج الداكنة الصمت ، سمعنا شبه صدى خفاق
« الجنّياتُ المنتقباتُ
يصعدن إلينا في عربّات »
وأجاب رفيقي: لا ، هيهات
ذلك صوت الموج الرقراق
الريح الحاملة البيضاء تمرُّ على الموج الرقراق
وتخادع أسمع العشاق »

* * *

لأيا وتبيناً الحركه
ثمّة وإذا جثّة سمكه
طافية فوق الموجة ميّته والشاطئ في إشفاق
وصرختُ: رفيقي! اين نسير؟
لنعد ، فالجثة همس نذير

أرسلها عملاقٌ شرير
إنذارَ أسىٍ ودليل فراق
فأجاب رفيقي : « نحن هنا يحرسنا الحبُّ فأي فراق ؟ »
وغرقنا في صمت براق

* * *

ومشينا لكنَّ الحركة
ظلت تتبعنا ، والسمة
تكبرُ تكبرُ حتى عادت في حضن الموجه كالعملاق
وصرخت « رفيقي أي طريق
يحمينا من هذا المخلوق ؟
لنعد ، فالدرب يضيق يضيق
والظلمة محكمة الإغلاق »
فأجاب رفيقي مرتعشاً ، والظلمة محكمة الإغلاق :
« نهربُ ، لن تسلمنا الآفاق »

* * *

وبقيتنا نهرب والسمة
تتبع أرجلنا المرتبة

تلك الأحداق وأين المهرب من لعنة تلك الأحداق ؟

وزعانفها السود الشوها
سدت في وجهينا الأرجاء
وأراقت في الجوَّ الوضاء
سحباً سوداء ولون محاق

حتى وجه القمر السحري غشاها أسي وظلام محاق

وتلاشى مبسمه البراق

* * *

ورجعنا نسحب قلوبنا
ونجر كآبة ظلينا

تتبعنا الأحداق النهايات بنظرة هزء ليس تطاق

حتى الأغصان المشتبه
عادت تشبه عين السمكه
وتروع خطانا المرتبكه
والأنجم عادت كالأحداق

والغدُ والماضي والدنيا وهوانا في تلك الأحداق
رسبت وتوارت في الأعماق

١٩٥٠/٨/١٢

إلى العام الجديد

يا عام لا تقرب مساكننا فتحن هنا طيوف
من عالم الأشباح ، يُنكرُنا البشر
ويفر منا الليل والماضي ويجهلنا القدر
ونعيش أشباحاً تطوفُ
نحن الذين نسير لا ذكرى لنا
لا حلم ، لا أشواق تُشرق ، لا أُمْنى
آفاق أعيننا رماد
تلك البحيرات الرواكذُ في الوجوه الصامته

ولنا الجباه الساكنه
لا نبضَ فيها لا اتقاد
نحن العراة من الشعور ، ذوو الشفاه الباهته
الهاربون من الزمان الى العدم
الجاهلون أسي الندم
نحن الذين نعيش في ترف القصور
ونظّلُ ينقصنا الشعور .
لأذكريات ،
نحيا ولا تدري الحياة ،
نحيا ولا نشكو ، ونجهلُ ما البكاء .
ما الموت ، ما الميلاد ، ما معنى الساء .

* * *

يا عامُ سرّ ، هو ذا الطريقُ
يلوى خطاك ، سدىّ تؤمل أن تُفيقُ

نحن الذين لهم عروق من قصب
بيضاء أو خضراء نحن بلا شعور .
الحزن نجعله ونجهل ما الغضب
ما قولهم إن الضائر قد تثور
ونود لو متنا فترفضنا القبور
ونوه لو عرف الزمان
يوماً إلينا دربه كالأخرين
لو اتنا كنا نؤرخ بالسنين ،
لو اتنا كنا نقيّد بالمكان
لو أن أبواب القصور الشاهقات
كانت تجيء قلوبنا بسوى الهواء ،
لو اتنا كنا نسير مع الحياه
نمشي ، نحس ، نرى ، ننام
وينالنا ثلج الشتاء

ويلفُ جيهتَنَا الظلام
أواه لو كنا نحسُّ كما يحس الآخرون
وتنالنا الأسقام أحياناً وينهشنا الألم .
لو أنْ ذكرى أو رجاء أو ندم
يوماً تسدُّ على بلادتنا السبيل
لو أننا نخشى الجنون
ويثيرُ وحشتنا السكون
لو أن راحتنا يعكّرها رحيل
أو صدمة أو حزن حب مستحيل .
أواه لو كنا نموت كما يموت الآخرون

١٩٥٠/١/١

طريق العودة

نعودُ أذن في الطريق الطويلُ
تواجهُنا الأوجهُ الجامده
يواجهُنا كل شيء رأينا منذ قليل
كما كان في ركدة بارده
نعود إذن ، لا ضياء ينير
لأعيننا الخامده
نسير ونسحب أشلاء حُلُم صغير
دفنناه بعد شباب قصيرُ

* * *

نعودُ وهذا طريق الإياب
يُمدُّ مرارته ورتابة أسرارهِ
نسير ويبرُزُ بابُ
هنا ، وجدار هناك يسدُّ الطريق
بأحجارهِ
وتم سياجٌ عتيق ،
تهدّم عند النهر .
وعابرةٌ ، دون معنى تُمدُّ البصر
إلى حيث لا نعلم ،
تمرُّ بنا ، لا تُفكر فينا
وننسى ونجهل أننا نسينا
ولا نفهم .

* * *

نعود إذن في طريق الإياب المرير

وكنّا قطعناه منذ زمانٍ قصير
وكنّا نسميه ، دون ارتياب ، طريق الرواح
ونعبره في ارتياح :
يمد لنا كل شيء نراه يدا
يكادُ يعانقنا ويصبّ علينا غدا
دقائقه نسجتها المنى
وكنّا نسميه ، دون ارتياب ، طريق الأمل
فما لشذاه أقل
وفي لحظة عاد يُدعى طريق الملل ؟
وعدنا نسيرُ ويسلمنا المنحنى
إلى آخر ضيق
ويدفعنا كلُّ شيء نراه
إلى ياسنا المطبق
ونشعرُ أننا ضجّرنا ضجّرنا وعفنا الحياه

وعدنا نمتج الحياه .

* * *

لماذا نعود ؟

أليس هناك مكان وراء الوجود

نظل إليه نسير

ولا نستطيع الوصول ؟

مكانٌ بعيدٌ يقودُ إليه طريق طويل

يظلُ يسير يسير

ولا ينتهي ، ليس منه قفول

هنالك لا يتكرر مشهد هذا الجدار

ولا شكل هذا الرواق

ولا يرسل النهر في مللٍ نعمةً لا تطاق

نصيخُ لها في احتقار

لأن الطريق طريق الرجوع

لأننا بلغنا نهايةَ درب الرّواحِ
وأصبح لا بدّ من أن ننوق الجراح
ونحنُ نسير وتقطع درب الرجوع
ونذرعه بالدموع

* * *

ألا بد من أن نؤوب
وتدفعنا خلجاتُ المראה دون حُلُم؟
ألم ينطقى كلّ حلم كَنُوب
وها نحن نعلم أننا بلغنا القسم؟
وسرّنا على أوجها مرة، ثم حان الإياب
وعُدنا نجرّ قيود الألم
وندرك كيف تغيّر حتى التراب
تغيّر حتى الطريق
وأصبح يرفضنا في ملال وضيق

وعاد يصبُّ عليناُ جموداً عميقاً .

* * *

وعُدُّنا نسير

نجرُّ أحاسيسنا الراكده ،

وتصدمنا الأوجه الجامده .

نسير ، نسير ،

نحدِّق في أي شيء نراه ،

بهذا السياج المهدم أو بسواه

نحدِّق ، لا رغبة في النظر

ولكن .. لأن لنا أعينا .

نعلّق ، لا شوق يُغري بنا

ولكن لأننا سئمنا السكون الخفيف

ووقع خطانا الرتيبات فوق الرصيف

سئمنا فأين المفر ؟

ولا بدّ من أن نعود
فليس هناك مكان وراء الوجود
نظلّ إليه نسير
ولا نستطيع الوصول .

١٩٤٩/٣/١٥

الأعداء.

نحن إذن أعداء

من عالم لا يفهم الأشواق
ولا يعي أغنية الأحداق
أعيننا لا تفهم النجوى
الحب فيها سيرة تُروى
كان لها أمس
وضمته رمس

من تربة البغضاء

* * *

نحن إذن أعداء

تفصيلنا عوالم شاسعه
حدودها المجهولة الضائعه
تبث في دروبنا المستحيل
فندرع العُمرَ الجديب الطويل

بحثاً عن الباب
وحبنا الخابي

يغري بنا الصحراء

نحن إذن أعداء

ترقد في أعماقنا الذكرى
مشلوله ، ضائعه ، حيرى
المقت يُلقي فوقها ظلاً
والحقد لم يبق لها شكلاً

ولعنة الأيام
خلفت الأحلام

فوق الثرى أشلاء

* * *

نحن إذن أعداء

وإن تكن تجمعنا أحلام
من أمسنا أودت بها الأيام
وإن تكن قد خلفت أشياء
في المقل الفارغة الجدباء
في الأوجه الداوية
كنجمة خائيه

تغرب في الظلماء

* * *

نحن إذن أعداء

وإن طغت في دمننا الأشواقُ
ودبّت اليقظةُ في الأرقامِ
وبيننا عوالم شتى
ندركُها كما يعي الموتى

تحت التراب المهين
وقَعَ خطى العابرين

وضجة الأحياء

١٩٤٩/١١/٢٦

حصاة المصادفات

حينما يرقد الهوى ميتاً فو
ق تراب الأيام والأعوام
وتعود الذكرى صدىً جامداً الوء
حـ لعهدٍ مغلفٍ بالظلام
وتتوتُ الألوانُ في المقل الجذ
باءٍ في حشرة وفي استسلام
ويذيع الفراغُ أغنيةَ الجد
بـ وتطنغي الفوضى على الأنغام

* * *

حينما يُصبح الهوى قصةً كما
نت ومرت بالكون منذُ عصور.

عشّش الصمتُ في خرائبها النك
راء خلفَ الخيال والتفكير.

وطوى نبضها انصباب البرودال
مرّ في كلّ شهقةٍ وشعور.

وخمود الفراغ لفّ صداها
بجمود الموتى وصمت القبور.

* * *

وتحسّ العيونُ أنّ عُيوناً
ماتَ فيها المعنى وعادت رَمادا

لم تعدْ في أهدائها خلجةٌ تس
تصرخ الشوق والصدى والسهادا

ضَاعَ فِي جَوْهَا النَّدَاءُ وَرَدَّتْ
آهَةٌ فِي السَّكُونِ تَنْعَى الْمُنَادَى
وَارْتَمَتْ فِي أَنْحَاءِهَا رَغَبَاتُ الْ
أَمْسِ وَالذِّكْرِيَّاتُ عَادَتْ جَمَادَا

* * *

عِنْدَمَا يَنْطَوِي النَّدَاءُ وَتُمْحَى
كَلِمَاتُ النُّجُوى وَتَطْوَى الْأَمَانِى
وَتُحَسُّ الْقُلُوبُ أَنَّ قُلُوبًا
بَرَدَتْ فِي أَصَابِعِ النِّسْيَانِ
عَنْكَبُوتِ الْجُمُودِ شَبَّكَ فِيهَا
عُشَّةُ وَالسَّكُونُ لَفَّ الْأَغَانِى
وَعُجْبَارُ السَّنِينِ جَرَّ عَلَى الْأَشْ
وَاقِ شَرَّ اللَّالُونِ وَاللَّاكِىَانِ

* * *

ربّما يلتقي هنالك طيفاً
نـ من الأمسـ في شعابـ طريقـ
يعبرانـ الحياةَ قد ضيّعا مـ
ملكةَ الحبّ في الزمانـ السحيقـ
في برودٍ يمرّ كلُّ على الآ
خرـ خابي العيونـ ميتـ العُروقـ
لا شعورٌ يلوح في أعين صمّـ
اء غرقى في لُجّ صمتٍ عميقـ

* * *

من حصّاد المصادفاتِ يمرّاً
نـ كنجمينـ في امتداد الفضاءـ
ربّما لنحّصا غرامها الما
ضي بشبهـ ابتسامةٍ جدباءـ

ربما ألقيا التحية لا نعد
سقا لها ، في برودة الغرباء
ثم سارا كأنها لم تكن يو
ما حياة عطشى وراء الدماء

١٩٤٩/١٠/١٣

النائمة في الشارع

في الكرّادة ، في ليلة أمطار ورياح
والظلمة سققتُ مُدَّةً وسترٌ ليس يُزّاح

اتّصفَ الليل وملء الظلمة امطارُ
وسكونٌ رطبٌ يصرخُ فيه الإعصارُ

الشارعُ مهجورٌ تُعولُ فيه الريحُ
تتوجّعُ أعمدةٌ وتنوحُ مصاييحُ

والحارسُ يعبرُ جَهِماً مرتعداً الخطّواتُ
يكشِفُهُ البرقُ وتحجّبُ هيكله الظلماتُ

ليل يجرقه السيل وينهشه البرد
تنتفض الظلمة فيه ويرتعش الرعد

* * *

في منعطف الشارع ، في ركن مقرر
حرست ظلمته شرقه بيت مهجور

كان البرق يمر ويكشف جسم صبيه
رقدت يلسعها سوط الريح الشتويه

الإحدى عشرة ناطقة في خديها
في رقة هيكلها وبراءة عينيها

رقدت فوق رخام الأرضة الثلجية
تعول حول كراها ريح تشرينيه

ضمت كفيها في جزع في إعياء
وتوسدت الأرض الرطبة دون غطاء

لا تغفوا ، لا تغفلُ عن إعوَالِ الرُّعدِ
والحمى تُلهِبُ هيكَلَهَا ويدُ السَّهْدِ

ظمأى ، ظمأى للنومِ ولكن لا نوما
ماذا تنسى ؟ أبردُ ؟ الجوعُ ؟ أم الحمى ؟

ألم يبقَ ينهشُ ، لا يرحمُ مِخلْبُهُ
السَّهْدُ يضاعفه والحمى تُلهِبُهُ

نارُ الحمى تُلهِمُهَا صوراً وحشيَّة
أشبَّاحُ تركُضُ ، صيحاتُ شيطانِيَّة

عبثاً تُخفي عينيها وُسْدَى لا تَنْظُرُ
الظلمة لا تدري ، والحمى لا تشعرُ

وتَظَلُّ الطفلةُ راعشةً حتى الفجرِ
حتى يخبو الإعصارُ ولا أحدٌ يدري

* * *

أيامُ طفولتها مرت في الأحزانِ
تَشْرِيدٌ ، جوعٌ ، أعوامٌ من حرمانِ

إحدى عشرة كانت حزناً لا ينطفىءُ
والطفلةُ جوعٌ أزلي ، تعبٌ ، ظمأٌ

ولن تشكو؟ لا أحدٌ يُنصِتُ أو يُعْنِي
البشريّة لفظٌ لا يسكنه معنى

والناس قناعٌ مصطنعٌ اللونِ كذوبٌ
خلفاً وداعتهِ اختبأ الحقد المشبوبُ

والمجتمع البشري صريعٌ رؤى وكؤوسُ
والرحمة تبقى لفظاً يُقرأ في القاموسُ

ونيامٌ في الشارع يقوّن بلا ماوى
لا تُجىّ تشفع عند الناس ولا شكوى

هذا الظلم المتوحش باسمِ المدنيّة ،
باسم الإحساس ، فواخجل الإنسانِيّة

مرثية امرأة لا قيمة لها

« صور من زقاق بغدادى »

ذهبت ولم يشحب لها خدٌ ولم ترجف شفاهُ
لم تسمع الأبواب قصة موتها تُروى وتُروى
لم ترتفع أستار نافذة تسيلُ أسى وشجوا
لتتابع التابوت بالتحديق حتى لا تراه
إلا بقيّة هيكل في الدرب تُرعى عشه الذكرُ
نبا تعثر في الدروب فلم يجد مأوىً صдах
فاوى إلى النسيان في بعض الحفرُ

يرثي كآبته القمر .

* * *

والليلُ أسلم نفسهُ دون اهتمامٍ ، للصباحُ
وأتى الضياءُ بصوتِ بائعةِ الحليبِ والصيامُ ،
بمؤاءٍ قطُّ جائعٍ لم تبقَ منه سوى عظامُ ،
بشاجراتِ البائعينِ ، وبالمرارةِ والكفاحِ ،
بتراشقِ الصبيانِ بالأحجارِ في عَرْضِ الطريقِ ،
بمساربِ الماءِ الملوّثِ في الأزقةِ ، بالرياحِ ،
تلهو بأبوابِ السطوحِ بلا رفيقٍ
في شبهِ نسيانٍ عميقٍ .

١٩٥٢ / ٧ / ٩

الأرض المحببة

صَوَّرُوها جَنَّةً سَحْرِيَّةً
من رحيقٍ وورودٍ شَفِيقِيَّةِ
وأراقوا في ربابها صُوراً
من حنانٍ ، وتساييحٍ تَقِيَّةِ
ثم قالوا إن فيها بِلْسَماً
هَيَّاتَهُ لَجراحِ البشريَّةِ
وأردناها فلم نَظْفِرْ بها
ورَجَعْنَا لِأمانينا الشَّقِيَّةِ

* * *

الملايينُ عيونُ ظمئتُ
عز أن تملكَ سلوىً واحده
والملايينُ شفاهُ عطِشتُ
ليس ترؤيها الوعودُ الباردة
ذلك المشعلُ هاتوهُ فقد
أكلَ الليلُ العيونَ الساهده
وأمرّوه على أشباحنا
لتروا لونَ دمانا الجامده

* * *

عمرنا كان طريقاً مُعتِماً
فانيروهُ إلى القبرِ أخيراً
وصبانا كان جرحاً ساهداً
يشربُ الملحَ ويقتات السعيراً
وأغانينا رَصفناها أسيّ

وسقفناها غيوماً وهجيراً
وهوآنا والمنى بعناهما
واشترينا بهما حزنًا كثيراً

* * *

أين ذاك النبع؟ في أي ضحى
سنُلاقيه؟ وفي أية ليلة؟
لم نزل نخفّر في أعمارنا
ظلماتٍ ليس فيها طيفٌ شعله
وزحفنا وجررنا معنا
ألفَ قيدٍ في الأكف المضمحلّة
ووجدنا دربنا مقبرةً
ما لنا فيها سوى الموتى أدلّه

* * *

حدثونا عن رخاءٍ ناعمٍ

فوجدنا دربنا جوعاً وعُرياً
وسمِعنا عن تقاءِ وشدى
فأينا حولنا قبحاً وخزياً
ورتعنا في شقاءِ قاتلِ
وكفانا بُؤْسنا شبعاً ورياً
وعرينا وكسونا غيرنا
وكسبنا القيدَ والدمعَ السخياً

* * *

أين تلك الأرضُ؟ من حجبها؟
نحن شدناها برناتِ الفؤوسِ
وأَجَعنا في الدجى أطفالنا
لنغذيها وُجدنا بالنفوسِ
وزرعنا وحصدنا عُمرنا

وجنينا ظلمة الدهر العبوس
وسقيتنا أرضها من دمننا
ومنحنها لأرباب الكؤوس

* * *

أين تلك الأرض؟ هل حان لنا
أن نراها أم ستبقى مغلقة؟
لم تزل فينا حيناً صامتاً
وابتهاً في شفاءٍ مطبقة
والملايين حنين جارف
يتلظى ورؤى محترقة
افتحوا الباب فقد صاح بنا
صوت آلاف الضحايا المرهقة

* * *

صَوْتُهُمْ خَشْنَهُ الْبُؤْسُ فَمَا
فِيهِ دِفْءٌ أَوْ بَرِيقٌ أَوْ لُيُونَةٌ
وَحِشَاءُ الدَّمْعِ مِلْحًا قَاسِيًا
وَشَكَايَاتٍ وَجُوعًا وَخُشُونَةً
صَوْتُهُمْ خَالِطَهُ الصَّبْرُ وَكَمْ
قَدْ صَبَرْنَا فِي شُحُوبٍ وَسَكِينَةٍ
لَعْنَةُ الْحَسِّ عَلَيْنَا إِنْ يَكُنْ
غَدُنَا كَالْأَمْسِ أَقْيَادًا مُهِينَةً!

١٩٥٣/٥/١١

لنفترق

لنفترق الآن ما دام في مُقلَّتينا بريقُ
وما دام في قعر كاسي وكأسك بعضُ الرحيقِ
فعمّا قليل يُطلُّ الصبح ويخبو القمرُ
ونلمح في الضوء ما رسمته أكفُ الضجرِ
على جبهتينا

وفي شفتينا

ونُدرِكُ أن الشعورَ الرقيقُ
مضى ساخراً وطواه القدرُ

* * *

لنفترق الآن ، ما زال في شفتينا نغم
تكبر أن يكشف السر فاختار صمت العدم
وما زال في قطرات الندى شفة تتغنى
وما زال وجهك مثل الظلام له ألف معنى
كسته الظلال
جمال المحال

وقد يعتريه جمود الصنم
إذا رفع الليل كفيه عنا

* * *

لنفترق الآن ، أسمع صوتاً وراء النخيل
رهيباً أجش الرنين يذكرني بالرحيل
وأشعر كفيك ترتعشان كأنك تخفي
شعورك مثلي وتحبس صرخة حزن وخوف .

لم الارتجاف ؟

وفيم نخاف ؟

ألسنا سندرك عما قليل
بأن الغرام غمامة صيف

* * *

لنفترق الآن ، كالغرباء ، وتنسى الشعور
وفي الغد يُشرقُ دهرٌ جديدٌ وتمضي عصور
وفيم التذكر ؟ هل كان غيرُ رؤىٍ عابره
أطافتُ هنا برفيقين في ساعةٍ غابره ؟
وغيرُ مساء

طواه الفناء

وأبقى صداه وبعضَ سطور
من الشعر في شفتي شاعره ؟

* * *

لنفترق الآن . أشعر بالبرد والخوف . دعنا
تغادرُ هذا المكانَ ونرجع من حيثُ جئنا
غريبين نسحبُ عبءَ ادِّكاراتنا الباهته
وحيدين نحملُ أصداءَ قصتنا المائته
لبعض القبورُ

وراء العصورُ

هنالك لا يعرفُ الدهرُ عنا
سوى لونِ أعيننا الصامته

١٩٤٨/٣/٢٠

سخرية الرماد

لو رَجَعْنَا غَدًا وأراد الزمانُ
أن يرانا كما كنا
والتقينا فهل ينبضُ الميَّتانُ
خلفَ ألواحِ صَدْرَيْنَا

* * *

لو رَجَعْنَا غَدًا ورآنا القمرُ
بعد غيبتنا الكبرى

ورأى كيف تمنح ما قد غَبَرَ
ومضى فُرْصَةً أُخْرَى

* * *

لو رَجَعْنَا غَدَاً ورَأَتْنَا النُّجُومُ
نَجْمَعُ الذِّكْرَ الذَّابِلَه
نَسْتَعِيدُ الهَوَى وَنَظِلُّ نَحُومُ
حولَ أَحْلَامِنَا الرَّاحِلَه

* * *

لو رَأَى الطَّرِيقُ نَشَقَّ السَّكُونُ
بِتَعَابِيرِنَا الْجَامِدَه
وَيُخَادِعُنَا مَا طَوَتْهُ الْمَنُونُ
من رَغَائِبِنَا الْخَامِدَه

* * *

وَتُزِيلُ رَمَادَ شُهُورٍ طَوَالِ
عَنْ هَوًى لَفَّهُ الْمُسْتَحِيلُ
فَوْقَ أَشْلَائِهِ ذِكْرِيَاتُ ثِقَالِ
مِنْ دُمُوعِي وَحُزْنِي الطَّوِيلِ

* * *

سَتَرَانَا النُّجُومُ نَسِيرُ مَعَا
يُخْدَعُ اللَّيْلَ مَرَّآنا
خَلْفَ أَهْدَابِنَا شَغَفٌ مُدَّعَى
سَايَرُ سِرٍّ مَا كَانَ

* * *

وَسَيَسْخَرُ مِنْ شَبَحَيْنَا الْقَمَرُ
وَهُوَ يَرْقُبُ كَيْفَ نَسِيرُ

كيف نشر ما قد طواه القَدَرُ
واحتواه سكونُ المصيرُ

* * *

وهناك نرى جثث الأشواقِ
في خمودٍ طويلٍ عميقِ
وَنُخَادَعَنَا لَوْنُهَا الْبَرَّاقُ
فَنُؤَمِّلُ أَنْ تَسْتَفِيقُ

* * *

وَنَرَى رَكْبَ أَيَّامِنَا الْمَاضِيهِ
لَمْ يَزَلْ لَاهِتَ الْأَنْفَاسُ
فَنُمِدُّ لَهُ الْأَذْرَعَ الذَّاوِيَةَ
عَلَّه يَوْقُظُ الْإِحْسَاسُ

* * *

وَيَرَانَا الدُّجَى رَاكِعَيْنِ عَلَى
تُرْبَةِ الْمَرْقَدِ الْجَافِيهِ
نَلْمَسُ الْجُثَّةَ الْمُرْسِلَاتِ إِلَى
الْأَفْقِ أَعْيُنَهَا الْخَافِيهِ

* * *

وَيَرَانَا الدُّجَى فَجْأَةً فِي عَيَّاءٍ
فِي أَسَى غَامِقٍ شَارِدٍ
وَاقْفَيْنِ نُحْسٍ اصْطِدَامِ الرَّجَاءِ
بَشَرَى الْوَاقِعِ الْبَارِدِ

* * *

وَيَمُرُّ عَلَى جِبْهَتَيْنَا الْمَسَاءُ
بَارِدًا مِثْلَ لَوْحٍ جَلِيدٍ

وتعود كواكبُه البيضاء
أعيناً طفحتْ بالوعيدِ

* * *

ويشيعُنَا القَمَرُ الهادي
بيروِدٍ مُثيرٍ غريبٍ
ويُلاحقُنَا وجهُه الهازي
حيث سرُّنا بصمتٍ مُريبٍ

* * *

ونُحسُّ أخيراً بأنَّ القضاء
قد طَوَى حَبْنَا الآفلا
وبَقِينَا حَيَارَى هُنَا غُرَبَاءُ
نذرَ العُمُرَ القاحلا

* * *

وهناك سوف يُغني الرّمادُ
وسيسخر حتى القمرُ

من أسانا ومن أمل لا يُعادُ
كان يوماً لنا واندثرُ

١١ / ٩ / ١٩٤٩

صاحبة الماضي

انتظرتني ، غداً سيقذف بي المو
ج إلى شطّك الغريب البعيد
ثم تمشي بي السنين إلى با
بك بعد البحث الطويل المديد
وتراني خلف الزجاج أجراً ال
أمس في لهفة المشوق العنيد
أتحدى الصخور في الشاطئ العا
ري وألوي شموخها بنشيدي

* * *

انتظرنى ، وإن تمزّقَ في صدّ
ركّ ما كان ذاتَ يومٍ رجاءَ
أو سمعتَ الرّيحَ تصرخُ عاد الـ
سحب ذكرىً ورغبةً عمياءَ
أو رأيتَ النجومَ تُنكرُ في أهـ
سدا بك الشوقَ والصّدى والنداءَ
أو أبت مقلتك أن ترُسما حُلـ
ما جديداً وثارتا كبرياءَ

* * *

وإذا وسوستُ بصدرك أشلا
ء الأمانى وزجرت في جنونـ
ومضتُ توقظ الشكوكَ وتُغري
بلياليك عاصفاتِ الظنوبـ

وتخيلت أنني بعث ذكرا
لك وأمعت في الجمود المهين

فانتظرتني ، لا بد أن نلتقي يو
ما وألوي بشكك المجنون

* * *

سأصيد الأحلام من أمسنا الها
رب حُلماً حُلماً ، وراء الزمان

وَألمُ الأفراح من كل ركن
ضائع في مقابر الأحزان

ألقط الذكريات دون كلال
من غبار السكون والنسيان

وَأَنشِدُنَا أَلْمُ صَدَاها
وَأَعِيدَ الْحَيَاةَ لِلْأَوَزَانِ

* * *

ثُمَّ أَمْضِي ، يُنِيرُ لِي وَجْهَكَ التَّائِي
رِيحَ بَحْثًا عَنْ حَبْنَا الْمَغْدُورِ
ذَلِكَ الْأَمْسُ ، لَوْ عَثَرْتُ عَلَيْهِ
فِي زَوَايَا التَّارِيخِ بَيْنَ الْعُصُورِ
لَأَبْتُ اتِّفَاضَةَ الْحَيِّ فِيهِ
وَارْتِعَاشَ الصَّدَى وَنَبْضَ الشُّعُورِ
ثُمَّ نَمْشِي مَعًا إِلَيْكَ ، إِلَى شَطْءِ
طَرَفِكَ فَوْقَ الْأَمْوَاجِ بَيْنَ الصَّخُورِ

* * *

وَتَرَانَا نُجَاءَةً نَصْعِدُ السُّلْدُ
لَمْ فِي لَهْفَةٍ وَشَوْقٍ كَلَانَا
أَنَا وَالْأَمْسُ كُلُّهُ ، نَطْرُقُ الْبَا
بَ غَرِيبِينَ لَأَمْسًا الْأَوْطَانَا
وَنُحْسُ النُّجُومِ أَنَا رَجَعْنَا
نَعِصِرُ الدَّهْرَ لِحِظَةً مِنْ هَوَانَا
وَيَقُولُ الزَّمَانُ : عَادَا إِلَى الْحُبِ
وَعَادَ الْفِرَاقُ وَهَمًّا كَانَا

١٩٤٩ / ١٠ / ٢٤

إلى اختي سها

هيا معي فالليل مختلج الدُجى حبا وشعرا
وعرائس الأحلام تفرش دربنا لونا وعطرا

وهناك في أعماقنا نبراتُ آلهة تغني
ونحسها تلقي إلينا ألف أغنية ولحن

هيا معي تتبسم الدنيا إذا أنتِ ابتسمتِ
ماذا يثير أساك ما دمنا نظل ، أنا وأنتِ ؟

* * *

الليل يعرِّفنا ، خطانا طالما زرعت دجاءُ
والنجم يذكرنا فكم سهرت علينا مقلتاهُ

أختاه هاتي كفلك اليمنى فقد حان المسيرُ
ألمجد يصرخ يستحث خطاك والحلم الكبيرُ

لا، لا تخافي أن تُخادَعكِ الرؤى إن أنتِ جئتِ
فالليل يعرِّفنا ونحن معا نَظَل أنا وأنتِ

* * *

سيري معي فتحرِّقُ المجهولِ يصْخَب في دِمانا
والأمس، تلك الغُرُفة الصماء غابت عن رؤانا

ماذا يشدُّ هنا ليالينا الحزيناتِ الشقيَّة ؟
وهناك في الأفق البعيدِ ضبابٌ شطآنٍ خفيَّة

سُتْرِيقُ أَنْجَمَهَا عَلَى أَقْدَامِنَا إِنْ أَنْتِ جِئْتِ
وَصَحَبْتِنِي لِنَجُوبِ آفَاقِ الْوُجُودِ ، أَنَا وَأَنْتِ

* * *

وَصَحَبْتِنِي وَنَسِيتِ دَرْبَ الذِّكْرِيَّاتِ الْكَاسِفَةِ
حَيْثُ الصَّخُورُ السُّودُ وَالْحَيَّاتُ تَلْهَثُ زَاخِفَةً

حَيْثُ انْجَرَحْنَا ثُمَّ لَمَلْنَا الْجِرَاحَ عَلَى عَجَلٍ
وَنَهَضْتُ تَتْبَعُنِي خَطَاكَ الْحَاثِرَاتُ بِلا أَمَلٍ

أَخْتَاهُ لَا تَبْكِي عَلَى الْمَاضِي سَدَىَّ مَا قَدْ بَكَيْتِ
لَنْ يَرْجِعَ الْمَاضِي وَإِنْ نَحْنَا عَلَيْهِ ، أَنَا وَأَنْتِ

الهاربون

لَا مَ نَجُوبَ سَحِيقَ الْبِلَادِ ؟

يَعِثُّ السَّرَابُ بِنَا
تَنَاوَلْنَا وَهْدَةً لَوْهَادُ
وَيَخْدَعُنَا الْمُنْحَنَى

* * *

وَفِيمَ أَتَيْنَا ؟ يَسَائِلُنَا الْبَحْرُ : مَاذَا نُرِيدُ ؟
وَتَلْحَقُنَا عَرَبَاتُ الرِّيحِ وَتَبْقَى تُعِيدُ
تُعِيدُ السُّؤَالَ

ولا ردّ إلا خطوطُ الملالِ
على صمتٍ أوْجَها في الليالي الطوالِ
نَفَرٌ وتُدركُنَا من جديدِ

* * *

ويسألنا الأفق أين نساfer ؟ أين نسير ؟
ومن أي شيء هربنا ؟ وفيم ؟ لأي مصير ؟
وفي صمتنا

قلوبٌ تدقُّ ، ووقعُ المنى
على ياسنا فرحٌ لا يُطاقُ فيها بنا
لنبحتَ عن جرحٍ حزنٍ صغيرِ

* * *

وفي سيرنا نسمع الليلَ يسخر من سرنا
يلاحقنا بالظلامِ ويُغري الرياحَ بنا

يقول الطريقُ
لماذا نجوب الوجودَ السحيقُ
يُلاحقنا أمسنا ورؤانا ووجهُ صديقِ
وحتام نهربُ من ظِلِّنا ؟

* * *

وفي سيرنا في الدياجير نُبصرُ هزءَ القمرِ
وَيُغْضِبُنَا في سناه البرود ، وبعض الشجرِ
يسدُّ السبيلَ

علينا ، ويسخرُ منا الأصيلُ
وَيُنْبِئُنَا أننا الباحثون عن المستحيلِ
وأننا ، برغمُ منانا ، بشرُ

* * *

ونسَمعُ من جَنَابَاتِ المسالك ذات مساء
صدى هامساً في الدجى أننا ... أننا جبناء

نخاف الأصيل

ونرحل لا رغبة في الرحيل

ولكن لنهرب من ذاتنا ، من صراع طويل

ومن أننا لم نزل غرباء .

* * *

وها نحن ، حيث بدأنا ، نجوب الظلام الفظيع

شتاء يموت ، وأسئلة لم يجيبها ربيع

حيارى العيون

يسألكنا غدنا من نكون ؟

ويتركنا أمسنا المنطوي في ضباب القرون

فيا ليل ، يا بحر ، أين نضيع ؟

١٩٥١/١/٢٩

الولايات المتحدة

ماذا يقول النهر ؟

« إلى الصديقة التي سألتني ذات
مساء : ماذا يقول النهر ؟ » .

ماذا يقول النهر ؟

أقصوصة

يَنسُجُهَا مِنْ رَقْصِ ضَوْءِ الْقَمَرِ

يَنسُجُهَا مِنْ غَزَلِ نَاعِمٍ

يُدَاعِبُ النَخْلُ بِهِ الْمُنْحَدِرُ

مِنْ نَوْرِ مَصْبَاحٍ يُغْدِي الدَّجَى

حَرَارَةً وَيَسْتَتِيرُ الشَّجَرُ

من وقع مجدفٍ خفيفٍ الخطى
يشقُّ في الظلمة صدرَ النهرِ

* * *

ماذا يقول النهرُ ؟

أغنيةٌ

قديمةٌ ، بنت ليالٍ طوالٍ
غنى أساهها مرةً عاشقٌ
والليل سكرانٌ بكأسِ الجمالِ
مُثْقَلَةٌ بالدفع ، ما زال في
الحانها بعض حنينِ الجِمالِ
وخشعةِ الهودجِ تحت الدَجى
ووقعِ أقدامِ الحُداةِ الثقالِ

* * *

ماذا يقول النهر ؟

تسبيحة

من بابل النشوى بعطر البخور

وموكب الكهّان في معبد

دجلة يطوي سرّه والصخور

وذكريات الليل والشمس عن

(مدينة الشمس) وراء العصور

وعن (حمورابي) وعن حبه

وما طوى سفر الزمان الغدور

* * *

ماذا يقول النهر ؟

لا تسالي

دعي غلاف السرّ كُتّا عميق
لو كشف الزّنبقُ الغِصاةُ
لم يَبْقَ معنى لشذاهُ الرقيسِ

١٩٥٠/٧/٢٧

ثلاث مراثٍ لأمي

قد يكون الشعر بالنسبة للإنسان
السعيد ترفاً ذهنياً محضاً ، غير أنه بالنسبة
للمحزون وسيلة حياة . وقد كانت القصائد
الثلاث التالية محاولة للتعزي لجأت إليها على اثر
وفاة أمي في ظروف محزنة عانيت منها معاناة
خاصة . ولم أجد لألي منفذاً آخر غير أن
أحبه وأغني له .

« ن . م . »

١ - أغنية للحزن

أفسحوا الدربَ له ، للقادم الصافي الشعور ،
للغلام المُرْتَهَفِ السابح في بحر أريج ،
ذي الجبين الأبيض السارق أسرارَ الثلوج -
إنَّه جاء إلينا عابراً خصبَ المُرور -

إنَّه أهدأ من ماءِ الغدير -
فاحذروا أن تجرحوه بالضجيج -

* * *

إنَّه ذاك الغلامُ الدائمُ الحزنِ الخجولُ
ساكنُ الأمسيةِ الغرقى بأحزانٍ خفيَّة
والزوايا الغيبيَّاتِ السكونِ الشَّفقيَّة
أبداً يجرُّه النَّوحُ ويضنيه العويلُ
فليكن من صمتنا ظلُّ ظليلُ
يتلقَّاه وأحضانُ خفيَّة

* * *

وهو يحيا في الدموع الخرس في بعض العيونِ
وله كوخٌ خفيٌّ شيدٌ في عُمقٍ سحيقِ
ضائعٌ يعرفه الباكون في صمتٍ عميقِ
وسدًى يبحثُ عنه الألمُ الحشنُ الرنينِ
إنَّه يقات أسرارَ السكونِ
وأسىً مختبئاً خلفَ العروقِ

* * *

نَحْنُ هِيَّانَا لَهُ حَبًّا وَتَقْدِيسًا وَنَجْوَى
وَتَهْيَّانَا لِلْقِيَاهِ عِيُونًا وَشَفَاهَا
وَسَنَلْقَاهُ مُصَلِّينَ كَمَا نَلْقَى إِلَهَهَا
وَسُنْهَدِيهِ انْفِجَارَ الْأَدْمَعِ الْعَذْبَةِ سَلْوَى
وَسُنَحْبُوهُ أَسَىَّ أَقْوَى وَأَقْوَى
وَسُنُعْطِيهِ عُيُونًا وَرِجْبَاهَا

* * *

إِنَّهُ أَجْمَلُ مَنْ أَفْرَاحَنَا ، مِنْ كُلِّ حُبٍّ
إِنَّهُ زَنْبَقَةٌ أَلْقَى بِهَا الْمَوْتَ عَلَيْنَا
لَمْ تَزَلْ دَافِئَةً تَرَعَشُ فِي شَوْقِ يَدَيْنَا
وَسُنُعْطِيهَا مَكَانًا عَاطِرًا فِي كُلِّ قَلْبٍ
وَشَذَى حُزْنٍ عَمِيقٍ الْقَعْرِ خَضْبٍ
إِنَّهُ مَنَا ... وَقَدْ عَادَ إِلَيْنَا ..

١٩٥٣/٨/١٥

٢ - مقدم الحزن

أفسحوا الدربَ ، إنَّه جاء خجلاً
نَ رقيقَ الخطى كئيب الجبينِ
الغلامُ الحساس ذو الأعين الغرِّ
قى بتاريخ ألفِ سرٍّ حزينِ
إنه مُطعم العيونِ العميقا
تِ وينبوعُ كلِّ دمعٍ سخينِ
ولقد جاءنا تِلَلٌ عَيْنِي
هِ الدموعُ الخرساءُ عبر السنينِ

* * *

إنه حزننا الصبيّ لقينا
ه على غير موعدٍ وانتظارٍ
لم يزلْ هادئاً خجولاً كما
نَ وما زال غامقَ الأسرارِ
جاءنا دافئاً أرقّ من الدَّمِ
مع وأحلى من رعشة الأوتارِ
ففرشنا له طريقاً من اللّهُ
فحةً والحبّ والدموعِ الغِزارِ

* * *

وأخذناه في خشوعٍ إلى أعـ
ماقِ أفراحننا وقعرِ رؤانا
ومنحناه كلّ ما جمع الحب
من اللونِ والشّدَى لصبانا

ورصفنا له هوانا وما أبـ
قَى لنا الموتُ والأسى من مُنانا
وغسلنا جبينه بدموع
صامتاتٍ عطشى تذوبُ حنانا

* * *

إنَّه خيطنا الأخيرُ إلى السرِّ
وقر فيه من أمسنا ألفُ شيءٍ
لم يزلْ هامساً لنا : « إنها ما
تت » على مسمع الشذى والضوءِ
إنَّ فيه من وجهها وأمانٍ
سها وأشواقها بقيَّةَ دفءٍ
وهو إحساسُها يعود إلينا
مرَّعشاً من كياننا كلَّ جزءٍ

* * *

إنه كلُّ ما تبقى لنا من
وجه ضحكاتنا ورجع الأغاني
إنَّ فيه نهايةَ الطرَفِ الشا
ني لما هدم الرَدَى من أمانِ
فوهبنا له صلاةً من الأد
مع تخجلى مهموسةً الألمانِ
ومنحناه مسكناً في مآقيـ
نا وحبّاً أقوى من النسيانِ

١٩٥٣/٨/١٧

٣ - الزهرة السوداء.

كنزنا الغالي تركناه هُنا
لحظاتٍ ثم أسرعنا إليه
والتمسناه وراء المنحنى
وعلى التلّ فلم نعثر عليه

* * *

وسألنا عنه في الغابة ربوه
فأجابت أنها قد نسيته

وهمسنا باسمه في سَمْع سرّوه
فتناست في الدجى ما سمعته

* * *

غير أن الفجر حيّ في أبتسام
وأرانا في مكان الكثر زهره
نبئت سوداء في لون الظلام
وسقاها دمعنا لنا ونضره

* * *

كلّما مرّت بها ريح الصباح
بعثت في الجوّ موسيقى خفيّة
وأنينا خافتاً ملء الرياح
كنّت فيه دموع البشريّة

* * *

انها زهرُتنا الوسنى الحزينه
أَمْسُنَا فِي لَوْنِهَا مَا زَالَ لَدُنَا
فَمُنَحْنَاهَا مَاقِينَا السَّخِينَه
وَحَمَلْنَاهَا مَعَ الذِّكْرِى وَوَعْدُنَا

١٩٥٣/٨/٢١

يمكو أن حفارين

الزمان يسير

بدقاته المبطئاتِ الثقال

ساحباً خلفه عَرَباتِ الليال

مُثَقَلَاتٍ بأسرارها الداكنات

الزمان يسير ، يحُرُّ الحياة

وهناك ، فوقَ بساطِ الرُّمال

حيث خلفتِ العَرَبات

أثراً من خُطى العجلات

لم نَزَلْ نحن ، في كلِّ كَفٍّ قَدُومٌ ،
لم نَزَلْ نحفرُ الأرضَ في وحشة ووجوم

نحن نبكي هنا
والزمانُ يسيرُ
نحفرُ الأرضَ ، نبحتُ عما أضعنا هنا
والزمانُ يسيرُ

* * *

وحدنا ، وحدنا ، في سكوتٍ
صامتَيْنِ نراقبُ كيفَ تموتُ
في يدينا وفي مقلتيْنا العروقُ
وهناك ينتظر الحيُّ خلف الترابِ
في أسيٍّ وعذابِ
أن يُطلَّ شروقُ

أن يرانا أخيراً بأعيننا الكاويه
نعبر الهاويه
لنعيدَ إليه الشبابُ
ذلك الحيّ في الظلماتُ
آه لو. لم تَمُتْ في يَدَيْنَا العُروقُ
لنُعِيدَ إليه الحياةُ

* * *

« إحفر الآنَ وحدك .. ما عُدْتُ أقوى أنا
« إحفر الأرضَ وحدك .. إني أحسُّ الفناءُ
« ملءَ كفِّي وملءَ ذراعي ، أحسُّ الرجاءُ
« يتلاشى بعيداً وراءَ مَدَى المنحنى
« حيث مرَّ الزمانُ بنا
« منذ بضعِ مئاتِ السنينِ

« وغدا سيمرّ بنا من جديد
« فيراكَ لوحديك تحفر في حَسرةٍ وحنينٍ
« سيمرّ وتحفرُ أنتَ ركامَ الجليدِ
« في الثرى ، في عُروقي أنا

* * *

ثم يأتي زمانٌ
وتدبّ الحرارة في الجسدِ الجامدِ
جسدِ الرجل الحيّ في قبره الباردِ
وهناك تحتَ الدجى ميّتانُ
جامداتِ كلوح جليدٍ ،
ويمرّ الزمان العنيدُ
بهما من جديدٍ
فيرى فيها صاحبتينُ

طالما حَفَرَ في الترابُ
حَفَرَ في الضَّبَابُ
ربما حَفَرَ في شُحُوبِ الخريفِ
أو عُبُوسِ الشتاءِ الخفيفِ
طالما شوهدا يحفرانُ
يحفرانِ ، يَظْلَانِ في لهفَةٍ يحفرانِ
وهما الآنَ ، فوقَ الثَّرَى ، مِيتَانِ

* * *

والزمان يسيرُ
ويجُرُّ رفاتَهُما في الرمالِ
ويرى الرجل المِيتَ الحيَّ يطوي الليالِ
شارداً مُفرداً
لم يَعُدْ يحتويه مكانُ

أو زمان
إنّه قد أضاع الغدا
وتبقى له الأمس والميتان
... واستمرّ يسير الزمان ...

١٩٤٩ ١ / ١٤

الزائر الذي لم يَجو.

.. ومرت المساء ، ومكادَ يغيبُ جبينُ القمرِ
وكدنا نُشيعُ ساعاتِ أمسيةٍ ثانيه
ونشهد كيفَ تسيرُ السعادةُ للهواويه
ولم تأتِ أنتِ .. ووضعتَ مع الأمنياتِ الأُخرى
وأبقيتَ كرسيَّك الخاليا
يُشاغِلُ مجلسنا الذاويا
ويبقى يَضجُ ويسالُ عن زائره لم يَجىءْ

* * *

وما كنت أعلم أنك إن غبتَ خلفَ السنينُ
تخلفَ ظلكَ في كل لفظٍ وفي كل معنى
وفي كل زاويةٍ من رؤايَ وفي كل محسني
وما كنتُ أعلمُ أنك أقوى من الحاضرينُ
وأنَّ مئاتٍ من الزائرينُ
يضيعون في لحظةٍ من حنينٍ
يَمُدُّ وَيَجْزُرُ شوقاً إلى زائري لم يجيء

* * *

ولو كنتَ جئتَ ... وكنا جلسنا مع الآخرينُ
ودارَ الحديثِ دوائرَ وانشعبَ الأصدقاءُ
أما كنتَ تُصبحُ كالحاضرين وكان المساءُ
يمرُّ ونحن نقلب أعيننا حائرينُ
ونسأل حتى فراغَ الكراسي
عن الغائبين وراء الأماشي

ونصرُخُ أنَّا لنا يئسهم زائراً لم يجيء ؟

* * *

ولو جئت يوماً - وما زلت أوثراً ألا تجيء -
لجفت عيرُ الفراغ الملوّن في ذكرياتي
وقصّ جناحُ التخيلِ واكتأبت أغنياتي
وأمسكتُ في راحتي حطامَ رجائي البريء
وأدركت أنني أحبك حلماً
وما دمت قد جئت لهما وعظما
سأحلم بالزائر المستحيل الذي لم يجيء

١٩٥٢/٨/١٨

الرافضة الذهبية

إرقصي مذبوحة القلب وغني
واضحكي فالجرح رقص وابتسام
إسالي الموثى الضحايا أن يناموا
وارقصي أنتِ وغني واهممتني

* * *

أدموع؟ أسكتي الدمع السخينا
واعصري من صرخة الجرح ابتساما
أنفجار؟ هدا الجرح وناما
فاتركيه واعبدي القيد المهينا

ثورة ؟ لا تُبغضي السوطَ الملحاً
أيّ معنىً لاختلاجاتِ الضحايا ؟
بعض أحزانٍ ستُنسى ، ورزايا
وقتيلاً أو قتيلاً ، وجرحى

* * *

إقبسي من جرحك المحرق لحنا
رنميه بالشفاءِ الظلماتِ
لم تزل فيها بقايا من حياةٍ
للشيد لم يفيض بؤساً وحزناً

* * *

صرخة ؟ أيّ جحودٍ وجنوبٍ !
أتركي قتلاكِ صرعى دون دفنٍ
واحدٍ مات ... فلا صرخة حزن !
أيّ معنىً لانتفاضات السجين ؟

إنتفاضاتٌ ؟ وفي الشعبِ بقايا
من عروقٍ لم تسَلْ نبعَ دماءٍ ؟
إنفجاراتٌ ؟ وبعض الأبرياء
بعضُهم لم يسقطوا بعدُ ضحايا ؟

* * *

لم يكنْ جرحُكِ بدْءاً في الجروحِ
فارقُصي في سكرةِ الحزنِ المميتِ
الأرقاءِ الحيارى للسكوتِ
إحتجاجاتٌ ؟ لماذا ؟ إستريحِي !

* * *

إضحكي للمُدِّيَةِ الحمراءِ حُبّاً
واسقُطي فوقَ الثرى دون اختلاجِ
منّةٌ أنْ تُذبحِي ذبَحَ النعاجِ
منّةٌ أنْ تُطعني روحاً وقلبا

وجنونٌ يا ضحايا أن تشوري
وجنونٌ غضبة الأسرى العبيدِ
أرقصي رَقصة مُمتَنٍّ سعيدِ
وابسمي في غبطة العبد الأجيرِ

* * *

أسكتي الجرحَ حرامٌ أن يثنا
وابسمي للقاتل الجاني افتنانا
إمنحيه قلبك الحرَّ المهانا
ودعيه ينتشي حَزًّا وطعننا

* * *

وارقصي مذبوحة القلب وغني
واضحكي فاجرح رقصً وابتسامُ
إسالي الموتى الضحايا أن يناموا
وارقصي أنتِ وغني واطمئني

الشخص الثاني

لو جئتَ غداً وعبرتَ حُدودَ الأمسِ إلى غديّ الموعودِ
وشداً فرحاً بمجيئِكَ حتى المعبَرُ والبابُ المسدودُ
ولقيتِكَ أبحثُ فيكَ عن المتبقي من أمسي المفقودِ

لو جئتَ ولم أجدِ المائلَ في الحاني
وأطلُّ على روعي منك الشخص الثاني

* * *

الشخص الثاني ، من أعماقِ شُهورِ التيهِ المطموره

حَاكَّتْهُ دَقَائِقُ تِلْكَ الْأَيَّامِ الْجَانِيَةِ الْمَغْرُورِ
وَتَرَسَّبَ فِي عَيْنَيْهِ تَثَاوُلُهَا وَرَوَّاهَا الْمَذْعُورِ

وَسَابَحْتَ فِيكَ عَنِ الْمَاضِي فِي أَطْمَئِنَانٍ
فِي فَاجِئٍ لَهْفَتِي الْجَرِّى الشَّخْصُ الثَّانِي

* * *

وَهَنَّاكَ عَلَى الْوَجْهِ الْحَسَّاسِ الْحَيِّ الصَّمْتِ أَرَى ظِلَّيْنِ
وَمَكَانَ الْوَاحِدِ فِي عَيْنَيْكَ الْمَرْهَفَتَيْنِ أَحْسَ اثْنَيْنِ
وَيَقَابِلُنِي الشَّخْصَانِ مَعًا وَسُدَّيْ أَرْجُو فَصْلَ الضَّدَّيْنِ

وَسَأَلْتُ عَمَّا خَلْفَهُ لِي عَامَاتٍ
مِنْ وَجْهِكَ، وَالرَّدَّ جَبِينُ الشَّخْصِ الثَّانِي

* * *

وسيسكن هذا الشخصُ الثانيَ الآخرُ حتى في البساتينُ
سيمدُّ برودته في رقة صوتك ، في لين التبرراتُ
وسيرمقني في خبث ، مختبئاً حتى خلفَ الكلماتُ

ولن أشكو هذا المخلوقَ الشيطاني
والأولُ فيك محتته يدُ الشخصِ الثاني؟

١٩٥١ / ١٠ / ٩

عندما قتلت حبي

وأبغضتُك لم يبقَ سوى مَقْتِي أناجيهِ
وأسقيه دماءَ غدى وأغرق حاضري فيه
وأطعمه لظى اللَّعَنَاتِ والثَّوَرَةِ والنَّقْمَةِ
وأُسمعه صراخَ الحَقْدِ في اغنيةِ جَهَنَّمِ
ومن إغفاءة الموتى أغذيه
وأثر حوله الأشباح والظلمه .

• • •

وأبغضتُ اسمَكَ الملعونَ والاصدَاءَ والظلا

كرهت اللونَ والنعمةَ والايقاعَ والشكلا
وتلك الذكرياتُ الخشنةُ المقوتةُ الفظه
هوتُ وتأكلتُ وثوتُ مع الآبادِ في لحظة
وعدتُ قصيدةً فجريةً جذلي
وقلتُ الأمسُ ما عاد سوى لفظه

. . .

وتمَّ النصر لي وهويّك تمثالا الى الهوّه
وجئتُ لأدفنَ الاشلاءَ تحت كآبة السروه
وراح الرّفش في كفي يشقّ الارض في نهم-
فلامسَ في الثرى جسدا رهيبا بارد القدم-
ورحت أجرّه للضوءِ مزهُوّه
فمن كان ؟

بقايا جثة الندم-

. . .

وكان الليل مرآة فابصرت بها كُرْهي
وأَمسي الميْتَ لكني لم أَعثر على كُنْهي
وكنت قتلْتُكَ الساعة في ليلي وفي كَاسي
وكنت أشيِّع المقتولَ في بُطءٍ إلى الرَّمسِ
فأدركت ولونُ اليأس في وجهي
بأنِّي قطّ لم أقتلُ سوى نفسي

١٩٥٢/٥/١٢

لحن للنسيان

لَمْ يَا حَيَاهُ
تذوي عذوبتكِ الطريّة في الشفاه ؟
لَمْ ، وارتطام الكأس بالفم لم يَزَلْ
في السمع همسٌ من صداه ؟

* * *

ولمّ الليلُ
يبقى يُعشش في الكؤوس مع الأملِ
ويعيش حتى في مُرور يديّ حُلُمٍ

فوقَ المباسمِ والمُقلِّ ؟

* * *

ولمَّ الألمُ

يبقى رحيقي المذاق ، أعز حتى من نغم ؟
ولمَّ الكواكب حين تغرب في الأفقُ
تفتُرُ جذلي للعدم ؟

* * *

ولمَّ الفرقُ

يحيا على بعض الجباه مع الارقُ
وتنام آلاف العيون إلى الصباحُ
دون انفعالٍ أو قلق ؟

* * *

ولمَّ الرياحُ

لم تدر حتى الآن أن لنا جراح ؟

لَمْ تَدْرِ كَمْ حَمَلْتُهُ مِنْ مِلْحِ الْبَحَارِ
لِجِرَاحِنَا هِيَ وَالنُّوَاحُ ؟

* * *

وَلَمْ النَّهَارُ
يَنْسِي بَانَ مَدَامَعًا حَرَّى غِزَارُ
تَابَى التَّالِقَ فِي الْجَفُونَ الْمُشْخَنَةَ
وَتَوَدَّ لَوْ هَبَطَ السُّتَارُ ؟

• • •

وَالْأَزْمَنُ
كَمْ ذَكْرِيَاتٍ كَمْ فَوَاجِعَ تُخْزِنُهُ
ضَمَّتْ صَحَائِفُهَا وَكَمْ رَقَدَ التُّرَابُ
فَوْقَ الْخُدُودِ اللَّيْنَةِ

• • •

وَلَمْ الْغِيَابُ

يَفْتَنُ في رَشِّ الجِمالِ على هَضابٍ
بَعُدَتْ ، على كلِّ الوجوهِ الغامضاتُ
خلف المرامي والشعابِ ؟

* * *

والأغنياتُ
أَوَّاه لو كانتُ تعيش مع الحياة
وتَظَلُّ نابضةً وإن نُسِيَ الغرامُ
ولحونه المتشهداتُ

١٩٥١/١/١٧
الولايات المتحدة

كلمات

شكوتُ الى الريح وَحْدَةَ قلبي وطولَ انفرادي
فجاءت معطرةً باريجٍ ليالي الحصادِ
وألقتُ عبيرَ البنفسجِ والوردِ فوق سُهادي
ومدّتْ شذاها لخدّي الكليلِ مكانَ الوسادِ
وروتُ حنيني بنجوى غديرٍ يُغني لوادِ
وقالتُ : لأجلكِ كان العبيرُ ولونُ الوهادِ
ومن أجلِ قلبكِ وحدكِ جئت الوجودَ الجميلُ
فقيمِ العويلَ ؟

وصدّقتها ثم جاءَ المساء الطويلُ
وساد السكونُ عُبابَ الظلامِ الثقيلِ
فساءلت ليلي : أحقُّ حديثُ الرياحِ ؟
فرد الدُّجى ساخرَ القسَماتِ
« أصدقتها ؟ إنها كلماتٌ . »

* * *

وأصغيتُ في فجرِ عمري الى أغنياتِ البشرِ
وشاركتهم رقصهم في شُحُوبِ ليالي القمرِ
وغنيتُ مثلهم بالسعادة ، بالانتظارِ
بشيءٍ سيأتي ، بيوتوبيا في سنينِ آخرِ
وآمنتُ أن حياة بلونِ الندى والزهرِ
ستمسحُ أيامنا المُثقلات بعبءِ الضجرِ
وقالوا لنا في أغاريدهم إننا خالدونُ
خلود القُرونِ

وصدقتهم ثم جاء المساءُ الصديقُ
يجرُ سلاسله في جمودٍ وضيقٍ
فساءلته: أهو حقُّ هتافِ البشر؟
فحدّق بي صائحاً : « يا فتاة !
أصدقيتهم ؟ إنها كلمات . »

* * *

وكم مرّةً جدّل العاشقون الأمانى الوضاءُ
وكم عصروا في كؤوسِ التخيلِ شَهْدَ الوفاءِ
وراحوا على حُبِّهم يُشهدون نجومَ السماءِ
ووقعَ الندى فوق خدِّ الصباح، وصمتِ المساءُ
وكم أقسموا باللهوى أنّهم أبداً أوفياءُ
وأنَّ الوجودَ يموتُ وحُبُّهم للبقاءِ
وقالوا : هوّى واحدٌ خالدٌ يتحدى العدمَ
ويَرْضَى الألمَ

وَصَدَّقْتُهُمْ ثُمَّ جَاءَ الْمَسَاءَ اللَّطِيفُ
هَنَالِكَ ذَاتَ دَجَىٍّ مِنْ أُمَاسِي الْخَرِيفِ
وَسَاءَلْتُهُ أَهْيَ حَقٌّ رُؤْيِ الْعَاشِقِينَ ؟
فَغَمَغَمَ مُسْتَهْزِئٌ النَّبِرَاتِ
أَصَدَّقْتِهِمْ ؟ إِنَّهَا كَلِمَاتٌ .

١٩٥٢/٥/٢٨

السلام المنهار

استرحنا ، كَشِيفَ اللُّغْزِ وماتَ المُبْهَمُ
وتلاشتُ حُرْقَةُ الأحلامِ في لونِ العيونِ
استرحنا ، هدا الشوقُ وواراهُ السكونُ
استرحنا نحنُ ، وارتاحَ الزمانُ النَّهيمُ

وغداً ينهزم الماضي بعيدا
وترى أعيننا شيئا جديدا

* * *

الشفاه الزرق في أوجهن الآن ستصفو

من جديد ، فلقد ذابَ الهوى عندَ الشروقِ
والعيون المثقلات الصمتِ بالسُّهْد العميقِ
ستنام الآن لا يوقظها حبٌّ وعُنفٌ
وغداً يعرف قلبانا بأننا
قد دفننا الحب حياً وانتهينا

* * *

والعُروقُ الملهَبات الدم قد حانَ كَرَاها
حسبُها ما جلبل الإعصار في أعماقها ،
وزهور الحُلْم لا تسكب على أوراقها
أيّ لونٍ ، إنها ماتت ولن يحيا شذاها
هدأ القلبان ، لا تخشَ ارتعاشا
مات عِرْقُ الحب فينا وتلاشى

* * *

وأفَقْنَا وانتهى الشيءُ الذي خَلّناهُ حبّا

وتبقت حولنا الذكرى التي تسخر منا ،
من خيالاتٍ صغيرين بدا نجمٌ فظننا
أنَّ في وسعها أن يُمسكاهُ فاشراً
لحظةً ، ثم تهاوى السُّلَّمُ ،
في بُرودٍ ، وتلاشى الحلم

* * *

سرٌّ يمينا أنتَ واتركني أسرٌ وحدي شمالاً
فمن المضحك أن نبقى هنا كالغُرَباءِ ،
تصرخ الوحدةُ في أعيننا دونَ انتهاءٍ
ويَرشُ الصمتُ لُقيانا بروداً ومَللاً
حسبنا أنا أضعنا ما أضعنا
من زمانٍ ، فلنَعُدْ من حيث جئنا

١٩٤٨/٨/٨

غسلا للعار

« أمّاهُ ! » وَحَشْرَجَةٌ وَدَمَوْعٌ وَسَوَادٌ ،
وَانْبِجَسَ الدَّمُ وَاخْتَلَجَ الْجِسْمُ الْمُطْعُونُ
وَالشَّعْرُ الْمَتَمَوِّجُ عَشَّشَ فِيهِ الطِّينُ
« أمّاهُ ! » وَلَمْ يَسْمَعْهَا إِلَّا الْجِلَادُ
وَعَدَا سَيَجِيءُ الْفَجْرُ وَتَصْحُو الْأَوْرَادُ
وَالْعَشْرُونَ تُنَادِي وَالْأَمَلُ الْمُقْتُونُ
فَتُجِيبُ الْمَرْجَّةُ وَالْأَزْهَارُ
رَحَلْتُ عَنَّا ... غَسْلًا لِلْعَارِ

ويعود الجلاّدُ الوحشيُّ ويلقى الناسُ
«العارُ؟» ويمسحُ مديته - «مزقنا العارُ»
«ورَجَعنا فضلاءً، بيض السُّمعة أحرارُ»
«ياربَّ الحانةِ، أينَ الخمرُ؟ وأينَ الكاسُ؟»
«نادِ الغانيةَ الكسلى العاطرةَ الأنفاسُ»
«أفدي عينيها بالقرآنِ وبالأقدارُ»
إملاً كاساتك يا جزّارُ
وعلى المقتولةِ غسلُ العارُ

* * *

ومياتي الفجر وتسال عنها الفتياتُ،
«أين تراها؟» فيردّ الوحش «قتلناها»
«وصمةُ عارٍ في جبهتنا وغسلناها»

وستحكي قصتها السوداء الجاراتُ ،
وسترويا في الحارة حتى النخلاتُ ،
حتى الأبوابُ الخشبيةُ لن تنساها
وستهمسها حتى الأحجارُ
غسلا للعار ..

غسلا للعار ..

* * *

« يا جاراتِ الحارة ، يا فتياتِ القرية ،
« الخبزُ سنعجنه بدموعِ مآقينا ،
« سنقصُ جدائلنا وسنسلخُ أيدينا ،
« لتظلّ ثيابهم بيضَ اللونِ تقيّه ،
« لا بسمّة ، لا فرحة ، لا لفتة فالدُّيه ،

« تَرْقُبُنَا فِي قَبْضَةِ وَالِدِنَا وَأَخِينَا »

« وَغَدَاً مِنْ يَدْرِى أَيُّ قِفَارٍ »

« سَتُؤَارِينَا غَسَلًا لِلْعَارِ ؟ »

١٩٤٩/١١/١٦

الرحيل

سنرحل لاح صباحٌ عميقٌ وراء السّوادُ
ولم يَبْقَ إلّا ضبابٌ خفيفٌ يُلْفُ الوهادُ
ويحلُم مكتئباً في عيونِ طواها السُّهادُ
وصاغتْ مع الليل أغنيةَ الرحلةِ القادمةِ
إلى أفقٍ كوكبيّ السُّتورِ
يَمُدُّ جذور

وراء مسالكنا القائمة

* * *

سَنَرَحَلُ فَالْأَنْجُمُ الْوَاقِقَاتُ تُشِيرُ لَنَا
أَصَابِعُهَا اللَّذْنَةُ الْخَمْلِيَّةُ فِي دَرْبِنَا
تُطَرِّزُ كُلَّ غَدٍ قَادِمٍ بِخِيوطِ الْمَنَى
تَقُودُ خُطَانَا خِلَالَ الشَّعَابِ الطَّوَالِ الْمُمِضَّةِ
سَنَرَحَلُ بَعْدَ زَمَانٍ قَصِيرٍ
وَعَصْرِ صَغِيرٍ

فَلَمْ يَبْقَ مِنْ لَيْلِنَا غَيْرُ وَمَضَى

* * *

وَمِنْ سَنَوَاتِ الْإِسَارِ الْمَزْقِ ، مِنْ أَلْفِ ظُلْمِهِ
تُلْفٌ مَدَى أَسْوَدًا لَا تَمَسُّ دِيَاجِيَهُ نَجْمُهُ
سَتُبَدِّلُنَا حَاقَةَ الْكَاسِ قَطْرَةَ حُبٍّ وَبَسْمِهِ
وَتَحْمِلُنَا عَرَبَاتِ الْكَوَاكِبِ عِبْرَ الْحُزُونِ
وَرَاءَ بَحَارِ الْبُغْدَادِ وَالظُّلَالِ

وحيث الجمالُ

يَمَسُّ وَيَشْرِبُهُ الْمُتَعَبُونَ

* * *

وداعاً صحارى العويل فقد حان فجرُ السنينُ
وآنَ لنا أن نجوبَ البحارَ مع الراحلينُ
عَطِشْنَا طويلاً وكانت كؤوسك مَلَأَى أَنِينُ
ينوح الفراغُ عليها وموكبُنا الباحثُ
تجرّع حتى كؤوسَ الدموعِ
ونارَ الضلوعِ

وُجِنَ بِهِ شَوْقُهُ اللَّاهُثُ

* * *

وفي الغد ، من بَعْدِنَا ، إن أطلَّ جبين القمرِ
ولامسَ ضوءُ النجومِ النشاوى حريرَ النَّهَرِ

ورنّ مع الليلِ صوتٌ بعيدُ الصّدَى واندَثَرُ
كما رنّ ، يسألُ عنّا وأينَ رمتنا البحورُ
فقلّبي له إنّنا لن نعودُ
لأرضِ القيودِ

فقد أشرق الفجر منذ عصورُ

١٩٥٠/٨/٥

الخبيبة

عُدْنَا إِلَى الْأَرْضِ وَكَانَ الطَّرِيقُ
طَرِيقَنَا الْأَوَّلَا

وَأُلْجِهْدَ لَمْ يُبْقِرْ لَنَا مِنْ بَرِيقٍ
خَلَّفَهُ الْأَمْسُ النَّضِيرُ الْوَرِيقُ
عَبْرَ الرُّؤْيِ مُشْعَلَا

* * *

عُدْنَا وَأَلْفِينَا الرَّبِّيَّ وَالْحَقُولُ
كَأَنَّ تَرْكَنَاهَا

الشمس ما زالت تُغذي السهولُ
يتبعها الليلُ البطيءُ الكسولُ
يمحو بقاياها

* * *

والناس ما زالوا هنا يزرعونُ
ويحصدونَ الهمومُ
الشمسُ تدري أنهم يغمسونُ
ذنوبهمُ في ظلمات القرونُ
ويرمقونَ النجومُ

* * *

ونحن ما زلنا كما كنا
أولئك المفقى

الليل يمضي سائخراً منا
والفجرُ يَروِي للدَّجى أنا
نَشْرَبُ ما نُسْقَى

* * *

وأمر في القافلةِ الراحله
سرنا مع السائرين
تقطع آلافَ الرّبي الماحله
وعندما أُرستُ بنا القافله
بعد انصرام السنين

* * *

جُنْتُ بنا خيبتنا وانطوى
ما كان مامولا

وهدّنا عبء الأسى والجوَى
فهذه خلفَ الرُّبى والهُوَى
بُقَعْتُنَا الأولى

١٩٥٢/١/٥

اسطورة عينين

عينانِ طَلَسْمٌ وَلُغْزٌ أَصَمٌ
يَحَارُ فِي تَفْسِيرِهِ التَّائِهَاتِ
غِيَابَانِ مِنْ عَهْدٍ سَحِيقِ الْقِدَمِ
وَضَفَّتَا شَطْرَ طَوْتِهِ الْقُرُونِ

* * *

عينانِ لَوْتٌ نَابِضٌ سَاخِنٌ
شَيْءٌ مِنَ الشَّرْقِ لَذِيذِ الْفُتُورِ
وَفِيهِمَا الْعُرَافُ وَالْكَاهِنُ

ومعبّدٌ مخدّرٌ بالبّخُورِ

* * *

عينانِ أمْ مزارعٌ في الظلالِ
ترقرقُ العبيرُ في الأودية ؟
وهُدْيُها أمْ رعشة البرتقالِ ؟
أمْ نجمةٌ تحفّقُ ؟ أمْ أغنية ؟

* * *

عينانِ أمْ عوالمٌ شاسعه ؟
وبؤبؤٌ أمْ دعوةٌ للرحيلِ ؟
بابٌ إلى يوتوبيا الضائعه
ومعبرٌ يُنْهى إلى المستحيلِ

* * *

وفي مطاويها وساد الحُلمُ

ومن حواشيها ارتواءُ الوترِ
عينانِ ما كاد يعيها النغمُ
حتى دعا أشواقه وانفجرُ

* * *

وذلك العمق الذي لا يُحدُّ
يحمل للرائين سرَّ الظما
أحسَّ فيه لا انتهاء الأبدُ
وموكبَ التاريخ منذ ابتداء

* * *

يروون عنها أن أغوارها
ذوبُ نجومٍ أطفأتها السنينُ
وأنت من أدرك أسرارها
فك الردى عنه الإِسارَ المُهينُ

* * *

وَأَنبَأَ ، كَمَا رَوَى آخَرُونَ ،
بَقِيَّةُ مِنْ أَعْيُنِ آفَلِهِ :
عَيْنَا (مَدُوزَا) أَقْرَغَ السَّاحِرُونَ
مَا فِيهَا مِنْ قُوَّةٍ قَاتِلِهِ

* * *

سَتَلَبِثُ الْعَيْنَانِ سِرًّا عَمِيقُ
وَيَذَرُ الرَّاوُونَ أَرْضَ الْخِيَالِ
أَسْطُورَةٌ تَظَلُّ سَكْرَى الْبَرِيقِ
مَا بَقِيَ الشَّعْرُ وَعَاشَ الْجَمَالُ

الموصول

سأحب نفسي في ارتعاش ظلالها تحيا عصور
ملأى بالوان الخيال
وهناك في أحنائها ألقى الجمال
وعوالماً نجمية الإشراق مسكرة العطور
وهناك كم لون ترسب في كؤوس الذكريات
كم قصة نامت وغطت سرها خلف الشُّعور
كم خطفة من طيف حب عاش حيناً ثم مات
كم نعمة في ذات صيف ، عندما كان المساء

مُتَشَاقِلًا نَعْسَانَ ، فِي بَعْضِ الْقُرَى
وَأَنَا أَغْنِيهَا وَأَرْقُبُ فِي ارْتِحَاءٍ
ظِلَّ النَّخِيلِ عَلَى الثَّرَى .

* * *

سَاحِبٌ نَفْسِي ، فِي صَفَاءِ ظِلَالِهَا أَجْدُ الصَّفَاءِ
طَالَ التَّغَرُّبُ وَالتَّلَالُ تَلَوَّنتُ بِدَمِ الْغُرُوبِ
حَتَّى النَّهَارُ أَوَى إِلَى سُرُرِ الْمَسَاءِ
لَمْ يَبْقَ إِلَّا نَاوَاهَاتُ الْمَدَاخِنِ مِنْ بَعِيدِ
وَكَاةُ اللَّيْلِ الْجَدِيدِ

* * *

وَلَقَدْ وَصَلْنَا . هَاهُنَا بِحَيَا الْجَهَالِ ،

والدفءُ ، والشمسُ الأنيقةُ ، والسكونُ ،
والإمتدادُ وعالمٌ يسعُ القُرُونُ
بحرٌ من الألوان يخلقهُ الخيالُ
وتموج فوق مداه آلاف الظلالُ

* * *

يا صمتَ نفسي عدتُ عدتُ إليك بعد سُرى سنينُ
ضاقت بتطوأي البحارُ
وشكا النهارُ
ما حملته رؤاى من عبء الحنينُ
لم ألقَ غيرَكَ لي نصيرا
في ظلمة الليل المضِلُّ

فافتح لي البابَ الأخيراً
دعني أُمُرُ

... أنا وظلِّي ...

١٩٥١/٣/٦
الولايات المتحدة

اغنية لشمس الشتاء

أشيعي الحرارة والرفق في لَمَسَاتِ الرِّيحِ
ولفِّي جدائلكِ الشُّقْرَ حولَ الفِجَاجِ الفساحِ
وهذا التحرق في شفتيكِ أريقي لظاهُ
على طبقات الثلوج الكثيفة فوق المياه
أذبي بها قطراتِ الجليدِ
عن العُشبِ ، عن زهرةٍ لا تُريدُ

فراق الحياه
فما زال فيها رحيقُ تخبُّئه للصباحِ

* * *

ومن دفء عينيك من ضوء هذا الجبين السعيد
أريقي عصير البنفسج فوق الفضاء المديد
ومن لون هذي الجداول رشي ازرقاق الأثير
وصبي البريق الملوّن فوق مرايا الغدير
ومن عطر هذا الضياء المذاب
أريقي على صفحات الضباب

ربيعاً نضيراً

يحيل البرودة فيه إلى دفء حب جديد

* * *

أصابعك الدافئات المروّض اضغطي شعرها
وأحلامها فوق زهرة قل طوت سرها
وثامت ملفّة بجليد المساء القريب
تذوب اشتياقاً لضوئك ، للحب ، للعندليب

أَطْلَى بِوَجْهِكَ فِي سَجْنِهَا
فَقَدْ جَمَدَ الشَّعْرُ فِي لَوْنِهَا
وَعَادَ شُحُوبُ
تَسَائِلُهُ كَهَمَّاتُ الْعَصَافِيرِ عَنْ سَحَرِهَا

* * *

وَرَوْحِي الَّذِي رَسَبَتْ فِي مُنَاهُ ثُلُوجُ الْمَلَالِ
وَلَاذِ بَزَاوِيَةِ جَهْمَةٍ مِنْ زَوَايَا الْخِيَالِ
دَعِيهِ يُعَانِقُكَ سَكْرَانًا مِنْ وَهْجِ هَذَا الْبَرِيقِ
وَيَشْرَبُ يَشْرَبُ هَذَا الضِّيَاءَ وَلَا يَسْتَفِيقُ
يَفِيضُ عَلَيْهِ سَنَاكَ الْحَنُوتِ
وَيُرْسِلُهُ شُعْلَةً مِنْ جَنُوتِ

وَلَحْنًا رَقِيقًا
نَذَرْتُ مُقَاطَعَهُ لِعَذُوبَةِ هَذَا الْجَمَالِ

* * *

دعيني ! هنا لا أحسّ سوى روحكِ الشارده
تُقبّل شعري ، وتُدفيء أحلامي الباردة
هنا أنتِ ، بنت حقول الجنّوب وألوانها
قَبَسَتِ العذوبة والدفء من سحر غدرانها
وهذا الصفاء صفاء الحياه
هناك ، وهمسكِ شدو الرعاه

لَقُطْعَانِهَا

دعيني ! فانتِ الإله هنا وأنا العابده

* * *

ومن أجل عينيكَ هاتين حيث يعيشُ الأبدُ
أعيشُ أؤرّخُ كالأخرينَ بأمسٍ وغدُ
وكالأخرينَ أعيشُ أجرٌ قُيود المكنان
وأحملُ فوق جبيّني عبء الدجى والدخان

لعينيك أرشفُ كاسَ الغيومِ
وأعبر ليلاً جفته النجومُ
وأطوى الزمانُ
مكبلةً بالأسى الآدميَ وقيدِ الجسدِ

* * *

ولولاكِ يا شمسُ ماتَ النشيدُ نشيدُ المروجِ
وجف رحيقُ الشذى تحتَ بردِ الشتاء اللجوجِ
ولولاكِ ما كان أخشن مسَّ الفضاء الرهيبُ !
وهذي النعومةُ ، هذا الضياءُ الرقيقُ الغريبُ
ألواهُ كان يعيشُ الخيالُ ؟
ومن ذا يوسدُ خدَّ الجمالُ ؟

ومن ذا يُذيبُ
بريقَ الحرارةِ في سرورةِ جمدها الثلوجُ ؟

ولولاك أين إذن يستحم جبينُ السلام ؟
وهذي الشاعرُ أين تصبُّ ، وأين تنام ؟
وبعضُ العيون التي جمعتُ الف حُلْمٍ مُحالُ
وقد نَضِجَتْ خلف أهدابها نَغَمَاتُ الجمالِ
دعيتها تُرِقُّ عَسَلَ الأغنياتِ
فلولاكِ سَدَّتْ عليها الحياةُ

رحابَ الخيالِ

ولولاكِ ما وجدتُ سامعاً غيرَ بَرْدِ الظلامِ

١٩٥٢ / ١ / ٢٨

بقايا

مرّ بي إن شئتَ مسروقَ الرؤى ميتَ النشيد
مرّ ، في نفسك أعماقُ من الصمتِ البليدِ
حاملًا وجهَ أبي هولٍ جديدِ
ساحبًا أعباءَ قلبٍ من جليدِ
كنّ ، إذا شئتَ ، بلا طعمٍ ، خريفياً ، ميلاً
آه لكنّ ... ألقِ ظلاً .

* * *

ولتكن عيناك أفقاً فارغاً دون ضياءٍ

تَمَلَّانِ الْكَوْنَ ضَحْكَاً فَارْغاً ، كَالْأَغْيَاءِ
أَبْدَآ لَمْ تُدْرِكَا مَعْنَى الْبِكَاءِ
وَانْطَبَاقَ الْجَفْنِ فَوْقَ الْكِبْرِيَاءِ
لَتَكُنْ عَيْنَاكَ خُلُوعاً أَفْقَهَا مِنْ كُلِّ مَعْنَى
آه لَكِنْ ... أَلْقِ لُونَا .

* * *

وَلِيَكُنْ مَاضِيكَ قَدْ مَاتَ وَوَارَتْهُ السَّنِينُ
لِيَكُنْ أَصْبَحَ فِي حُضْنِ الثَّرَى أَكْدَاسَ طِينُ
لَيْسَ فِي قَلْبِكَ عِرْقٌ مِنْ حَنِينُ
لَيْسَ إِلَّا بَعْضُ إِحْسَاسٍ مُهِينُ
لِيَكُنْ حَبَّكَ قَدْ فَاتَ مَعَ الْأَمْسِ وَمَرَّآ
آه لَكِنْ ... أَبْقِ ذِكْرِي .

* * *

وليكن ظلّ الغدِ القادم موتاً وظلاماً
لنكن نحن سنمسي فيه جرحاً وخطاماً
وفم الأحداث يمتصُّ العظاماً
ثم يُلقِيها على الأرض ركاماً
ليكن لونُ الغدِ الآتي ضباباً مُدْهِماً
آه لكن .. أبقِ حُلماً

* * *

إن يكن قد كُشِفَ اللغزُ عن الأمس المَهَانِ
وبَدَتْ فِيهِ الأساطيرُ ولاحَتْ للعِيَانِ
انجلي ما سترتْ كَفَّ الزَّمانِ
عن كيانٍ خربٍ دونَ كيانِ
ليكن عاد وضوحاً دونَ ظُلٍّ وتعرِّي
آه لكن .. أبقِ سرا

* * *

لتكن روحاً يطوف العمرَ في صمت أليم
مزقت حلمَ صباهُ تقمةُ الجرح القديم
فمضى يلعنُ آفاقَ النجوم -
ويذيبُ الليلَ أقداحَ سُوم -
لتكن هدّمتَ ، لم تستبقِ في صدركَ حباً
آه لكن ... أبق قلباً

* * *

نحن ضيّعنا طريقَ الغدِ في الليل الرهيب
ونسينا راحةَ القلبينِ في الأمس القريب
أصغر لم يبقَ سوى همسِ الذنوب
في سكونِ الكونِ ، في الليل الرهيب
فخذ الكأسَ إذا شئت ومزّق ما تبقى
آه لكن .. أبق عرقاً
أبق عرقاً .

٩١٤٩/٤/١٥

ساعة الذكر

هذه ساعة التذكّر ، كاد الـ
ليل يبكي معي ويصغي ملياً
إنّها ساعة التذكّر ، والأجـ
راس تطوي كآبة الصمت طياً
وأحسُّ الخطى تمرّ حيارى
خلفاً بابي كما مررن مرارا
وأحسُّ الوجوه هبت من الما
ضي وعادت مملوءة أسراراً

الخطى والوجوهُ أسمعها ، أَلـ
تَمَحُّها في الدَجى تحديقُ فيا
الخطى والوجوه يا ساعة الذكـ
رى وقلبُ طغى أساء وثارا
خلفَ بابي يُرّ بي موكب الأشـ
باج يستصرخ الدموع الغزارا
الخطى والوجوه من عمق ماضـ
خلته عاد غابرا مطويا

وحنين الأصداء يشق خلف الـ
باب في موكب عميق السكونـ
ضحكات مبتورة تذرع الظلـ
مة والصمت في جمود حزين
ودموع في أعين أقفل التـ
ريخ أهدايا على ألف سر

وعروقٌ تضيُّجٌ خلفَ ليالٍ
شردتُ في الزمانِ دونَ مقرٍّ
وشفاهُ أَمَاتَ ألفاظُها الصَّمَّةُ
ت سوى رعشةٍ وبعضِ أنينٍ
وجدارٌ عطشانٌ تعصره الشمسُ
سُ وذكري الظِّلِّينِ أعنفَ عصرٍ
وزمانٌ أفنت مواعيدَه الفؤادُ
ضى وأبقتَه في شرودٍ وذعرٍ
ودروبٌ يكاد يصرخ فيها الظُّلُ
ل شوقاً لعابرٍ مفتونٍ

ومرور الأشباح يشهق خلف الـ
بابِ في همسةٍ ترتُّ طويلاً
موكبٌ شاحبٌ شحوبٌ غدٍ ما
زال لُغزاً وعالمٌ مجهولاً

موكبٌ كلُّ خطوةٍ من خطى أشد
باحسه رعدةً على شفتيها

كلُّ وجهٍ يعود في عمق نفسي
زمنًا كاملاً عميقاً خفياً

في ظلام الذكرى أمدٌ ذراعي
لعسل الأشباح تدنو قليلاً

في ظلام الذكرى ، وافتح بابي
لأرى الموكبَ الحزين ملياً

في ظلام الذكرى ، وأدفع كفي
في جنونٍ عساي ألمسُ شيئاً

فاحسُّ الفراغَ في جسد الأش
باح أنى أصافحُ المستحيلاً ؟

١٩٤٩ / ٤ / ١٢

هل ترجعين ؟ !

« قصيدة نظمها لعنتي

التي توفيت سنة ١٩٤٨ »

ما زالت الذكرى تَضِجُ وراء إحساسي الدفينُ
إن نمت ألمحها تسير معي يُجسِّدُها الحنينُ
تاويةٌ ألقى بها الماضي إلى شطبي الحزينُ
معصوبة بعُروقِ أحلامي الحبيساتِ الرنينُ
إن نمت ألمحها فتصرخ لهفتي : هل ترجعين ؟

هل ترجعينَ إذا حُلِّمتَ بما مضى ؟ هل ترجعينَ ؟

* * *

ما زالت الذكرى تضجّ ، ولم أزلُ في أسرها
ما زالت ، تنطفئ ابتساماتي لمعبرِ ذكراها
يتقاسم الليل الصديق معي حرارةَ جمرها
وتظلّ تحفر في عروقي الواهاتِ بظفرها
عطشى، أراكِ ولا أمسّك ، أينَ أنتِ ؟ أسمعين ؟
وإذا دعوتكِ من خلال مدامعي ، هل ترجعين ؟

* * *

الشوق يعصرني إليك ويطفئ المرحَ الكذوبُ
يغتال أفراحي ويُسلم كلَّ ضوءٍ للغروبِ
إني أموتُ تحرقاً وتعطشاً ، إني أذوبُ

لم يَبْقَ إِلَّا رُجْسٌ أَصْدَاءُ يَكْفُنُهَا الشُّحُوبُ
عَرَفْتُ بِهَا رُوحِي الْمَشُوقَةُ بَعْضُ تَذْكَارِ السَّنِينِ
فَصَرَخْتُ فِي أَلَمٍ خَرِيفِي الصَّدَى : هَلْ تَرْجِعِينَ ؟

* * *

وَالشُّوقُ لِمَوْتِي سُهَادٌ لَيْسَ يَشْفِيهِ الضِّيَاءُ
أَلشُّوقُ لِمَوْتِي جِرَاحٌ لَيْسَ يَقْرِبُهَا شِفَاءُ
أَبْكِي ؟ أَذُوبُ ؟ سَدَى ؟ فَبَعْضُ النَّارِ يَأْبَى الْإِنطِفَاءُ
بَعْضُ التَّعْطِشِ مُسْتَحِيلٌ أَنْ يَطُوفَ بِهِ ارْتَوَاءُ
يَبْقَى يَمِزُّقُنِي وَأَنْتِ بَعِيدَةٌ لَا تُدْرِكِينَ
وَأَنَا انْتِفَاضٌ صَارِخٌ فِي حَسْرَةٍ : هَلْ تَرْجِعِينَ

* * *

وأنا أعدّ الذكريات وأرقبُ الزمنَ الكسُولُ
يمشي على عُكَّازَتَيْنِ من الكآبةِ والذهولِ
يمشي ويحصى ما على وجهي المقنّع بالذبولِ
والصمتِ من صُورَةٍ تموت وأنجم بيدِ الأفولِ
وأنا ؛ وأحلامي ، وقلبي ، قصّةٌ لو تعلمين
ما زلت أحكيها وأصرخ في الدجى : هل ترجعين ؟

١٩٤٨/٣/٩

صلاة الأشباح

تلمت الساعةُ الباردة
على البرج ، في الظلمة الخامدة
ومدّتْ يدا من نُحاسٍ
يداً كالأساطير بوذا يحركُ كُها في احتراسٍ
يدَ الرَّجلِ المنتصبِ
على ساعة البرج ، في صمته السرمدية
يحدّقُ في وُجْهة المكتتبِ
وتقذفُ عيناهُ سيلَ الظلامِ الدّجيّ

على القلعة الراقده

على الميتين الذين عيونهم لا تموت
تظلّ تحدّق ، ينطق فيها السكوت
وقالت يد الرجل المنتصب :
« صلاة ، صلاه ! »

* * *

ودبت حياه

هناك على البرج ، في الحرس المتعبين
فساروا يجرّون فوق الثرى في أنه
ظلامهم الحانيات التي عققها السنين
ظلامهم في الظلام العميق الحزين
وعادت يد الرجل المنتصب

تُشير : « صلاة » ، صلاه ا
فيمتزجُ الصوتُ بالضجّةِ الداويه ،
صدى موكبِ الحرّسِ المقربِ
يدقّ على كلِّ بابٍ ويصرخُ بالنائمين
فيبرزُ من كلِّ بابٍ شبحُ
هزيلٍ شحِبَ ،
يجرُّ رَمَادَ السنينِ ،
يكاد الدُّجى ينتحبُ
على وَجْهِهِ الجُمُجُمِيّ الحزينُ

* * *

وسار هنالك موكبُهُم في سُكونٍ
يدبّونَ في الطُرقاتِ الغريبةِ ، لا يُدرِكونَ
لماذا يسرونَ ؟ ماذا عسى أن يكونَ ؟

تلوَّتْ حَوَالِيَهُمْ ظُلُمَاتُ الدُّرُوبِ
 أَفَاعِي زَاحِفَةً وَنُيُوبُ
 وَسَارُوا يَجْرُونَ أَسْرَارَهُمْ فِي شُحُوبِ
 وَتَهْمُسُ أَصْوَاتُهُمْ بِنَشِيدٍ رَهِيْبٍ ،
 نَشِيدِ الَّذِينَ عَيُونُهُمْ لَا تَمُوتُ ،
 نَشِيدِ لَذَاكَ الْإِلَهِ الْعَجِيبِ
 وَأَغْنِيَةً لِيَدِ الرَّجُلِ الْمُنْتَصِبِ
 عَلَى الْبَرَجِ كَالْعَنْكَبُوتِ
 يَدٌ مِنْ نَحَاسٍ
 يَحْرُكُهَا فِي احْتِرَاسٍ
 فَتُرْسَلُ صِيحَتُهَا فِي الدِّيَاجِي
 « صَلَاةٌ ، صَلَاةٌ »

وَفِي آخِرِ الْمَوْكَبِ الشَّبَحِيُّ الْمُخِيفُ

رأى حارس شَبَحَيْنِ

يسيرانِ لا يُدْرِكُ متى كان ذاك وأين ؟
تَحْزَنُ الرِّيحُ ذراعيهما في الظلام الكثيفُ
وما زال في الشَّبَحَيْنِ بقايا حياه
ولكنَّ عينيها في انطفاءٍ
ولفظُ « صلاة صلاة »
يضيحُ بسمْعَيْهِما في ظلام المساءِ

* * *

« أَلَسْتَ تَرَى »
« خُذْهُمَا ! »

ثم ساد السكون العميق
ولم يَبْقَ من شَبَحٍ في الطريق

* * *

وفي المَعْبَدِ البرّاهميِّ الكبير

وحيثُ الغموضُ المُثيرُ
وحيثُ غرابةُ بوذا تُلَفُّ المكانُ
يُصَلِّي الذينَ عيونُهُم لا تموتُ
وَيَرْقُبُهُم ذلكَ العنكبوتُ
على البرجِ مستغرقاً في سكوتٍ ،
فيرتفعُ الصوتُ ضخماً ، عميق الصدى ، كالزمان
ويرتجفُ الشَّبحانُ

* * *

» من القلعةِ الرطبةِ الباردة
» ومن ظُلُماتِ البيوتِ
» من الشُّرفِ الماردهِ
» من البرجِ ، حيثُ يدُ العنكبوتِ
» تشيرُ لنا في سكوتٍ

» من الطرقات التي تَعْلِكُ الظُّلْمَةَ الصامته
 » أتيناكَ نسحب أسرارنا الباهته
 » أتيناكَ ، نحن عبيدَ الزمان
 » وأسرّاه نحن الذين عيونهم لا تموت
 » أتينّا نَجْرَ الهوان
 » ونسألكَ الصفحَ عن هذه الأعين المذنّبه
 » ترسبَ في عُمقِ أعماقها كلُّ حزنِ السنين
 » وصوتُ ضمايرنا المتعبه
 » أجشُّ رهيبُ الرنين
 » أتيناكَ يا من يذرّ السُّهاد
 » على أعينِ المذنبين
 » على أعينِ الهاربين
 » إلى أمسيهم ليلوذوا هناك بتلّ رماد
 » من الغدِ ذي الأعين الخضر . يا من نراه
 » صباحَ مساء يسوقُ الزمان

- » يحدّق ، عيناه لا تغفوان
 » وكفّاه مطوّيتان
 » على ألفِ سرٍّ . أتينا نمرّغ هذي الجباه
 » على أرض معبديه في خشوع
 » نناديه ، دون دموع ،
 » ونصرخ : آه !
 » تعبنا فدعنا ننام
 » فلا نسمع الصوت يهتف فينا : « صلاه ! »
 » إذا دقّت الساعة الثانيه ،
 » ولا يطرق الحرس الكالحون
 » على كل باب بأيديهم الباليه
 » وقد أكلتها القرون
 » ولم تبق منها سوى كومة من عظام
 » تعبنا ... فدعنا ننام ..
 » ننام ، وننسى يد الرجل العنكبوت

« على ساحة البرج . تنثرُ فوق البيوتُ

« تعاويذَ لعنتها الحاقده

« حنانك بوذا ، على الأعينِ الساهده

« ودعها أخيراً تموتُ .

* * *

وفي المعبد البرهمي الكبير

تحرّكُ بوذا المثير

ومدّ ذراعيه للشبحين

يُباركُ رأسيهما المتعبين

ويصرخُ بالحراسِ الأشقياءُ

وبالرجلِ المنتصبِ

على البرجِ في كبرياءُ ،

« أعيدوها ! »

ثم لفَ السكونُ المكانُ

ولم يبقَ إلا المساءُ ،

وبوذا ، ووجه الزمان

خاتمة

إرجعُ فالليل تُثيرُ مخاوفهُ قَلَقِي
وأنا وحدي والنجمُ بعيدُ في الأفقِ
يخدعني أملٌ في فجرٍ لم ينبثقِ
وُصْبَابَةٌ دمع باردٍ لم تحترقِ

* * *

ومددتُ يدي فرَجَعْتُ بحفنةِ ظلماتٍ
وسألتُ الليلَ فبُوتَ ببضعةِ أصداءِ
أصداءُ مغرقةٌ في سورةِ إغناءِ

جاءتُ تزحفُ من أغوار الماضي النائي

* * *

دربي حاولتُ سدىً أن أرفع أستاره
تصخبُ في عتمته أشباحُ ثثاره
أنكرت الربَّ كان لم أعرف أحجاره
يوماً بالأمس ولم أستكشف أسرارَه

* * *

أرجعُ ، أواه ألا تسمع صوتي الموهون ؟
لن أبقى وحدي في هذا الدربِ المجنون
هذا الأفق المستغلق حيث النجمُ عيون
حيث الأشجارُ هياكلُ أفكارٍ وظنون

* * *

تردد فيه أصواتُ تُنذرُ حبي

أصواتٌ غادرةٌ تنبح ملءَ الرّحْبِ
صدّقني وارجع أخشى أن تجرح قلبي
صدّقني .. إني أسمعها تملأ دربي

في المَعْبَرِ سَعْلَةٌ تَرْمُقُ طيفي بفتورٍ
ووراءَ المُفْتَرَقِ المتشعبِ بعض قبورٍ
خذْ يدي ولنترك هذا الأفقَ المهجورَ
لا تتركني روحاً صارخةً في الديجورِ

١٩٤٨ / ٤ / ١

دعوة الى الحياة

إغضبْ ، أحبكْ غاضباً متمرّداً
في ثورة مشبوبةٍ وتمزّقٍ
أبغضتْ نومَ النارِ فيكَ فكن لظىً
كن عرقَ شوقٍ صارخ متحرّقٍ

* * *

إغضبْ ، تكاد تموت روّحك ، لا تكن
صمتاً أضيّعْ عندهُ إعصاري
حسي رَمادُ الناس ، كن أنت اللظى

كن حُرقة الإبداع في أشعاري

إغضب ، كفاك وداعة . أنا لا أحبّ الوادعين
النّار شرعي لا الجمود ولا مهادنة السنين
إني ضجرت من الوقار ووجه الجهم الرصين
وصرخت لا كان الرّماد وعاش عاش لظي الحنين
إغضب على الصمت المهين
أنا لا أحبّ الساكنين

* * *

إني أحبك نابضاً ، متحركاً ،
كالطفل ، كالريح العنيفة كالقدر
عطشان للمجد العظيم فلا شئ
يُروى رؤاك الظامئات ولا زهر

* * *

الصبرُ ؟ تلك فضيلة الأموات ، في
برد المقابر تحتَ حكم الدود
رقدوا وأعطينا الحياة حرارةً
نشوى وحرقة أعين وخدود

* * *

أنا لا أحبك واعظاً بل شاعراً قلق النشيد
تشدو ولو عطشان دامي الخلق محترق الوريد
إني أحبك صرخة الأعصار في الأفق المديد
وفماً تصبّاه اللهب فبات يحترق الجليد
أين التحرق والحنين ؟
أنا لا أطيق الراكدين

* * *

قُطِبْتُ ، سُمْتُكَ ضاحكاً ، إنَّ الرُّبَى
بَرْدٌ وَدَفءٌ لَا ربيعٌ خَالِدٌ
العِبقريَّةُ ، يا فتَايَ ، كئيبةٌ
والضاحكونَ رواسِبٌ وزوائدُ

* * *

إني أحبُّكَ غُصَّةً لَا تَرْقُوى
يَفْنَى الوجودَ وَأَنْتَ رُوحٌ عاصِفٌ
ضَحِكٌ جَنُونِيٌّ وَدَمْعٌ مُحْرِقٌ
وَهْدوءٌ قَدَّيسٌ وَحَسٌّ جَارِفٌ

* * *

إني أحبُّ تعطشَ البركانِ فيكَ إلى انفجارٍ
وتشوقَ الليلِ العميقِ إلى ملاقاتِ النَّهارِ

وتحرق النبع السخيّ إلى معانقة الجرار
إني أريدك نهرَ نارٍ ما لِلْجَتِّهِ قرارُ

* * *

فاغضب على الموت اللعين
إني مَلَّتِ المَيِّتِينَ

سجدة القس

ملاحظات

حول قصائد هذا الديوان

- ١ -

حول « شجرة القمر »

أصل هذه القصيدة أن بنت عمي الصغيرة ميسون كانت ذات ظهيرة صيفية من سنة ١٩٥٢ في غرفتي ، فألحت علي أن أقصّ عليها قصة . وكان عمرها يومذاك إحدى عشرة سنة وطالما لمست فيها الذائقة الأدبية المرهفة وحبّ الشعر فأردت أن أسرّها فنظمت لها هذه القصيدة وهي جالسة إلى جوارني تنظر إليّ في شغف

فما انصرفت الظهيرة إلا وقد انجزت الصفحات الأولى
من القصيدة .

وأما أصل الحكاية فيرجع إلى مقطوعة انكليزية
كنت قرأتها سنة ١٩٤٩ وأذكر من ظروف قراءتي لها
انني وقعت عليها في مجموعة شعرية للأطفال من كتب
صديقة فلسطينية عزيزة كنت التقيت بها في ضهور الشوير
ذلك الصيف . فما كدت أقرأها حتى أحببت الحكاية
فيها واختزنتها في ذاكرتي إلى أن بعثتها ميسون بعد
ذلك بثلاث سنوات . وعلى ذلك فهذه القصيدة ليست
ترجمة . وأصلها الانكليزي قصير قرأته مرة واحدة
ثم لم أره ثانية حتى اليوم . فكل ما أخذته عنها هو
هيكل الحكاية العاري لا غير . أما الصور والرموز
والتفاصيل فكلها لي . وكم يؤسفني انني لا أعرف حتى
عنوان الكتاب الذي قرأت فيه المقطوعة ، ولا أعرف
اسم الناظم . والصديقة صاحبة الكتاب قد سافرت
إلى انكلترا منذ سنوات كثيرة وانقطعت عني أخبارها .

ويرجع سبب اختياري للحكاية انني وجدت فيها

بذرة شعرية تصلح حكاية لطفلة ويمكن في الوقت نفسه أن أحملها رموزاً شعرية عالية بحيث يقرأها الكبار والصغار فيجد فيها كل ما يفهمه . ولعله لا يخفى أن الغلام في قصيدتي رمز للشاعر « أو الفنان » ، فهو يحب الطبيعة حباً يفوق حب الآخرين لها ، ويريد أن يقترب منها ويذوب فيها ليصوغ منها ألحانه وقصائده ولذلك ترى الغلام يحلم بأن (يصطاد) القمر ويأخذه إلى كوخه . حتى إذا فعل ذلك كما تمنى ، وتخيل أنه حقق سعادته ، اكتشف أن الدنيا كلها تحب القمر وتريده ، فهي لا تسمح لأحد أن يمتلكه ويحتكره . وتكون ثورة الرعاة والصيادين رمزاً للحق العام في القمر ، فإذا كانوا لا يصلون إلى استرجاع الأسير فإن ذلك لا يتم إلا بخدعة يرتكبها الغلام ، فهو يدفن القمر في الأرض ليستنبت منه شجرة سامقة لا مثل لها بين الشجر ، لأن ثمرها المتدلي من أغصانها ليس إلا أقماراً فضية متألقة . وما معنى ذلك ؟ معناه أن الفنان يتناول الطبيعة ويبدع منها فنته فإذا كان في السماء قمر يملكه الوجود كله ، فإن في وسع الفنان الذي يحب

ذلك القمر أن يصنع نماذج منه في قصائد وصور .
وتنتهي القصيدة بأن يعيد الفنان القمر العام إلى الوجود
ويكتفي بالأقمار التي تثمرها شجرة الشاعر . ومن
الطبيعي أن تكون هذه الشجرة غذاء روحياً للقرية
كلها على الرغم من أنها مما أبدعته حماسة الشاعر وحبه
للجمال .

ولكن هل استوعبت ميسون الصغيرة، في عمرها
الفضّ سنة ١٩٥٢ هذه الرموز التي رقرقتها في حكايتي
لها ؟ طبعاً ، لا . وإنما أحببتها لأنها حكاية القمر
والشجرة التي تثمر أقماراً ، ولأنها حكاية غلام شاعريّ
اللزعة ، روحاني الاتجاهات ، يأكل ضوء النجوم بدل
الغذاء ويشرب العطر ويطارد الفراشات . وذلك هو
المستوى الظاهري للقصيدة . وفي وسع أيّ قارئ
أن يكتفي به دون أن ينظر إلى الرموز التي أردتها .

وقد اخترت لقصيدتي مسرحاً شعريّاً التقطته من
ذكرياتي عن جبالنا السحرية في شمال العراق . ومن
الحق أن أقول إنني زرت في حياتي جبالاً كثيرة في

تركيا وإيطاليا ولبنان وفلسطين والأردن فلم أر جبالاً
لها من السحر والروعة ما يضارع جبال الشمال عندنا.
فإن الجمال هناك يأسر روحي حتى أغيب في سكرة
شعورية كلما زرت لواء أربيل وتوغلت في مضائقه
ووديانه . وأنا إنما أصور هذه الجبال في قصيدة
« شجرة القمر » وذلك سرّ الحرارة والانفعال فيها .

- ٢ -

حول « البيت »

هذه القصيدة من البحر الخفيف وهي جارية على
أسلوب الشطرين وقد أدرجتها على أساس من العروض
العربيّ ، فشطرت البيت إلى شطريه وإن كان أغلب
أبياتها مدوّراً . وأيّ قارئ قد اطلع على ديواني
« قرارة الموجة » وعلى الطبعة الثانية من « عاشقة الليل »
و « شظايا ورماد » سيلاحظ أنني قد خالفت خطتي

في كتابة البحر الخفيف فقد كتبه في تلك الدواوين
دونما مراعاة للوقفة العروضية وإنما راعيت في الكتابة
المعنى وحده . ومن ثم فإن قصيدة (حصاد
المصادفات) قد كتبت كما يلي :

حينما يرقد الهوى ميتاً
فوق تراب الأيتام والأعوام
وتعود الذكرى صدىً جامد الوقع
لعهد مغلف بالظلام

وبذلك لاحت القصيدة - خاصة للقارئ الذي لا
يحسّ الوزن - وكأنها شعر حرّ أو شعر منشور مع
أنها قصيدة موزونة من البحر الخفيف جرت هكذا :

حينما يرقد الهوى ميتاً فو
ق تراب الأيتام والأعوام
وتعود الذكرى صدىً جامد الوق
ع لعهد مغلف بالظلام

والسبب البسيط كل البساطة الذي دفعني إلى أن
أكتب البحر الحقيق بهذا الشكل في دواويني السابقة
ان تلك الدواوين طبعت في حجم صغير لا يزيد عن
حجم الكفّ فعندما جلست أنسخ القصائد لها خفت
أن يصبح البيت المدور من البحر الحقيق أطول من
عرض الصفحة فقررت أن أقسمه إلى قسمين ليلائم
الظروف. وعندما وجدت أغلب أبيات وزن الحقيق
عندي مدوّرة ، وأدركت ان عليّ أن أقسم كلمات
كثيرة إلى قسمين كل قسم في شطر ، استثقلت هذا
فقررت أن أقسم الشطر على أساس المعنى دون الوزن.
وقد قدرّت ان القارئ الذي يقرأ شعري لا بدّ ان
يكون قادراً على إدراك موضع الوقفة العروضيّة .
وهكذا دفعتني الملابس الماديّة للطبعة إلى أدراج
قصائد الحقيق دون ملاحظة لوزنها . وقد كان يعزيني
في ذلك ان الوزن لا يتغير مها كان الشكل الذي
نختاره لكتابته حق لو كتبناه كما نكتب النثر ، فهو
موزون على كل حال

وعند ذاك ، في سنة ١٩٥٧ ، لم يكن يدور في

خلدي أن أناساً من الشعراء سيتخذون علي الاضطراري
سنة يحتذونها في منشوراتهم الشعرية ودواوينهم .
ولكم جزعتُ عندما صرتُ أرى في المجلات قصائد
موزونة على الشكل العربيّ وزناً تاماً ولكنها تكتب
كتابة فوضوية وكأنها نثر لا شعر . وقد جمعتني مجالس
غير قليلة بأدباء وقرّاء يقرأون هذه القصائد الجارية
على الوزن العربي كل الجريان ثم يتحدثون عنها وكأنها
شعر حرّ أو شعر منشور .

ومها يكن من أمر فيهمني أن أدرج قصيدة البحر
الخفيف في هذا الديوان على الشكل العربي الدارج
منتبهة الفرصة لأرفع صوت احتجاج على زملائي
الشعراء الذين أصبحوا يكتبون شعراً موزوناً على
الأسلوب العربي ثم يدرجونه وكأنّه شعر حر . فإن
هذا العمل لا يزيد القارئ العربي إلا بلبلة وجهلاً في
وقت نحب فيه أن ننشئ ثقافة شعرية رصينة نضيء
بها طريق الأمة العربية .

حول « الشعر الحر »

يلاحظ ان في هذا الديوان سبع قصائد من الشعر الحر وقد يعجب بعض القراء من قلة هذا العدد بالنسبة لقصائد الديوان لأنهم ألفوا أن يروا طائفة من الشعراء وقد تركوا الأوزان الشطرية العربية تركاً قاطعاً وكأنهم أعداء لها وراحوا يقتصرون على نظم الشعر الحر وحده في تعصب وعناد . وأحب أن أذكر القارىء في هذه المقدمة أنني لم أدع يوماً إلى الاقتصار على الشعر الحر ، وأبرز دليل على هذا ديواني السابقان . أما (شظايا ورماد) الصادر سنة ١٩٤٩ وهو الذي دعوت في مقدمته إلى الشعر الحر دعوة متحمسة فلم تكن فيه إلا عشر قصائد حرّة بينما كانت القصائد الأخرى جميعاً تنتمي إلى الأوزان

الشطرية . وأما (قرارة الموجة) ديواني الصادر سنة ١٩٥٧ فقد اقتصر على تسع قصائد من الشعر الحرّ . ولا أذكر قط انني اقتصرت على الشعر الحرّ في أية فترة من حياتي . وسبب هذا انني أولاً أحب الشعر العربيّ ولا أطيق أن يبتعد عصرنا عن أوزانه العذبة الجميلة . ثم أن الشعر الحرّ كما بينت في كتابي - قضايا الشعر المعاصر - يملك عيوباً واضحة أبرزها الرقابة والتدفق والمدى المحدود وقد ظهرت هذه العيوب في أغلب شعر شعراء هذا اللون . وهذا حاصل أيضاً في الشطرين فإن له مزايا وله عيوب .

واني لعلّ يقين من أن تيار الشعر الحرّ سيتوقف في يوم غير بعيد وسيرجع الشعراء إلى الأوزان الشطرية بعد أن خاضوا في الخروج عليها والاستهانة بها . وليس معنى هذا ان الشعر الحرّ سيموت وانما سيبقى قائماً يستعمله الشاعر لبعض أغراضه ومقاصده دون أن يتعصب له ويترك الأوزان العربية الجميلة .

ومما أحبّ أن أعلن أسفي له انني في شعري الحرّ لم أعنّ عنايةً أكبر بالقافية فكنت أغتر القافية سريعاً

وأتناول غيرها ، وهذا يضاعف من الشعر الحر . لأنه
يقوم على أبيات تتفاوت أطوال أقطارها وبذلك
ينقص رنينها وموسيقاها فلو زاد الشاعر القافية غنى
ولم يغيرها سريعاً لأضفى على الوزن موسيقى تمسكه
وتمنعه من الانفلات . ولهذا بت أدعو إلى أن يرتكز
الشعر الحر إلى نوع من القافية الموحدة ولو توحيداً
جزئياً فبذلك نزيده موسيقىً وجمالاً ونحميه من ضعف
الرنين وانفلات الشكل .

نازك الملائكة

البصرة

في ٢٨/٣/١٩٦٧

شجرة القمر

« قصة أهديت إلى ميسون يوم كانت
في الحادية عشرة من عمرها »

- ١ -

على قمة من جبال الشمال كَسَّاهَا الصنوبرُ
وغلَّفَهَا أَفْقُ نُخْمِلِيٍّ وَجُوٍّ مُعْتَبِرٍ

* * *

وترسو الفراشاتُ عند ذُرَاها لتقضيَ المساءَ
وعند يناييعها تستحمُّ نجومُ السماءِ

* * *

هناك كان يعيشُ غلامٌ بعيدُ الخيالِ
إذا جاعَ يأكلُ ضوءَ النجومِ ولونَ الجبالِ

* * *

ويشربُ عطرَ الصنوبرِ والياسمينِ الخَضيلِ
ويملاً أفكارَهُ من شذى الزنبقِ المنفعلِ

* * *

وكان غلاماً غريبَ الرؤى غامضَ الذكرياتِ
وكان يطاردُ عطرَ الربى وصدى الأغنياتِ

* * *

وكانت خلاصةُ أحلامِهِ أن يصيدَ القمرَ
ويودعهُ قفصاً من ندى وشذى وزَهَرِ

* * *

وكان يقضي المساء يحوك الشباك ويحلم
يوسده عشب بارد عند نبع مغمم

* * *

ويسهر يرمق وادي المساء ووجه القمر
وقد عكسته مياه غدير برود عطر

* * *

وما كان يغفو إذا لم يمرّ الضياء اللذيد
على شفّتيه ويسقيه إغماء كأس تبيذ

* * *

وما كان يشرب من منبع الماء إلا إذا
أراق الهلال عليه غلائل سكرى الشذى

* * *

وفي ذات صيفٍ تسَلَّلَ هذا الغلامُ مساءً
خفيفاً الخَطَى، عاريَ القدمين، مَشُوقَ الدماءِ

* * *

وسارَ وثيداً وثيداً إلى قُصَّةٍ شاهقه
وخبأً هيكلَهُ في حِمَى دَوْحَةٍ باسقه

* * *

وراح يعدُّ الثواني بقلبٍ يدُقُّ يدُقُّ
وينتظرُ القَمَرَ العذيبَ والليلُ نشوانُ طَلُوقُ

* * *

وفي لحظةٍ رَفَعَ الشَّرْقُ أَسْتارَهُ المُعْتَمِه
ولاحَ الجبينُ اللجينيُّ والفتنةُ المُلْهِمِه

* * *

وكان قريبا ولم يرَ صيادنا الباسما
على التلِّ فانسابَ يذرَعُ أفقَ الدُّجى حالما

* * *

... وطوقه العاشقُ الجبليُّ ومسَّ جبينه
وقبلَ أهدابهُ الذائباتِ شذىً وليونهُ

* * *

وعاد به : يبحارِ الضياءِ ، بكأسِ النعومة
بتلك الشفاهِ التي شغلتُ كل رؤيا قديمه

* * *

وأخفاه في كوخه لا يَمَلُّ إليه النَّظَرُ
أذلكُ حُلْمٌ ؟ وكيف وقد صاد.. صاد القمرُ ؟

* * *

وأرقده في مهادٍ عيريةٍ الرّونقِ
وكلّلهُ بالأغاني ، بعينه ، بالزّنبقِ

- ٣ -

وفي القرية الجبليّة ، في حلقات السّمرِ
وفي كلّ حقلٍ تنادى المنادون : « أين القمر ؟ »

* * *

« وأين أشعّتهُ المخمليّةُ في مرّجنا ؟ »
« وأين غلائلهُ السّحبيّةُ في حقلنا ؟ »

* * *

ونادت صبايا الجبال جميعاً « نريدُ القمرَ ! »
فردّدتِ القننُ السامقاتُ : « نريدُ القمرَ »

* * *

« مسامِرُنَا الذهبيّ وساقِي صدى زَهْرُنَا »
« وساكبُ عطر السنايِل والورد في شَعْرُنَا »

* * *

« مُقَبِّلُ كلِّ الجِراح وساقِي شفاء الورودُ »
« وناقلُ شوقِ الفَرّاشِ لينبوعِ ماءِ بَرودُ »

* * *

« يضيءُ الطريقَ إلى كلِّ حُلْمٍ بعيدِ القَرَارِ »
« ويُنمّي جدائلَنَا ويُرِيقُ عليها النُضارُ »

* * *

« ومن أينَ تبرّدُ أهدابُنَا ان فَقدْنَا القَمَرُ ؟ »
« ومنذا يرقّقُ ألحاننا ؟ من يغدّي السَمَرُ ؟ »

* * *

ولحنُ الرعاةِ تردّدَ في وحشةٍ مضنيهُ
فضجّتْ برّجَعِ النشيدِ العرائشُ والأوديه

* * *

وثاروا وساروا إلى حيثُ يسكنُ ذاكَ الغلامُ
ودقّوا على البابِ في ثورةٍ ولظىٍ واضطرامُ

* * *

وُجنّوا جُنُوناً ولم يبقَ فوقَ المراقي حَجَرُ
ولا صخرةٌ لم يُعيدا الصُراخَ : « نريدُ القمرُ »

* * *

وطاف الصّدَى بجناحيهٍ حولَ الجبالِ وطارُ
إلى عرّباتِ النجومِ وحيثُ ينامُ النّهارُ

* * *

وأشربَ من نارِهِ كلَّ كأسٍ لزهرةٍ فُلٌّ
وأيقظَ كلَّ عيبرٍ غريبٍ وقطرةٍ طلٌّ

* * *

وجمَّعَ من سَكَراتِ الطبيعةِ صوتَ احتجاجٍ
ترددَ عندَ عريشِ الغلامِ وراءَ السياجِ

* * *

وهزَّ السكونَ وصاحَ : «لماذا سَرَقْتَ القمرَ؟»
فجئنَ المساءَ ونادى : «وأينَ خَبَأْتَ القمرَ؟»

- ٤ -

وفي الكوخِ كانَ الغلامُ يَضُمُّ الأسيرَ الضحوكُ
ويُمطرُهُ بالدموعِ وَيَصْرُخُ : «لن يأخذوكَ؟»

* * *

وكان هتافُ الرّعاةِ يشقُّ اليه السكونُ
فيسقطُ من روحه في هوى من أسيّ وجنونُ

* * *

وراح يغني للمهيمه في جوى وانفعالُ
ويخلطُ بالدمع والملح ترنيمه للجهالُ

* * *

ولكنّ صوتَ الجماهير زادَ جنونا وثوره
وعاد يقلبُ حلمَ الغلام على حدّ شفره

* * *

ويهبطُ في سمعه كالرصاص ثقيلَ المرورِ
ويهدمُ ما شيدته خيالاته من قصور

* * *

وأين سيهربُ ؟ أين يخبىء هذا الجبين ؟
ويحميه من سورة الشوقِ في أعين الصائدين ؟

* * *

وفي أيّ شيء يلفّ أشعتهُ يا سماء
وأضواءه تتحدّى المخابىء في كبرياء ؟

* * *

ومرّت دقائقُ منفعِلاتٍ وقلبُ الغلامِ
تمزّقةٌ مُدّيةُ الشكِّ في حيرةٍ وظلامِ

* * *

وجاء بفاسٍ وراح يشقّ الثرى في ضجرٍ
ليدفنَ هذا الأسيرَ الجميلَ ، وأين المفر ؟

* * *

وراح يودعه في اختناقٍ ويغسلُ لونه
بأدميه ويصبُّ على حظه ألفَ لعنه

- ٥ -

وحين استطاع الرعاةُ الملحون هدمَ الجدارِ
وتحطيمَ بوابةِ الكوخِ في تعبٍ وانبهارِ

* * *

تدفقَ تيارهم في هياجٍ عنيفٍ وتقمه
فماذا رأوا ؟ أيَّ ياسٍ عميقٍ وأيةَ صدمةٍ !

* * *

فلا شيءَ في الكوخِ غيرَ السكونِ وغيرَ الظلمِ
وأما الغلامُ فقد نام مستغرقاً في حلمٍ

* * *

جدائله الشُّقْرُ مُنْسَلَاتٌ عَلَى كَتِفَيْهِ
وطيفُ ابتسامٍ تَلَكَّا يَحْلُمُ فِي شَفْتَيْهِ

* * *

ووجهٌ كَانَ أَبُولُونَ شَرَّ بِهِ بِالْوَضَاءِ
وَإِغْفَاءُهُ هِيَ سِرُّ الصَّفَاءِ وَمَعْنَى الْبِرَاءِ

* * *

وَحَارِ انْزِعَاةٍ أُيْسِرَقُ هَذَا الْبَرِيءُ الْقَمَرُ؟
أَلَمْ يُخْطِئُوا الْإِتِّهَامَ تَرَى؟ ثُمَّ ... أَيْنَ الْقَمَرُ؟

* * *

وَعَادُوا حَيَارَى لِأَكْوَاخِهِمْ يَسْأَلُونَ الظَّلَامَ
عَنِ الْقَمَرِ الْعَبْقَرِيِّ أَتَاهُ وَرَاءَ الْغَمَامِ؟

* * *

أَمْ اخْتَطَفْتُهُ السَّعَالَى وَاخْفَتُهُ خَلْفَ الْغُيُومِ
وَرَاحَتُهُ تَكْسِرُهُ لِتَغْذِي ضِيَاءَ النُّجُومِ؟

* * *

أَمْ ابْتَلَعَ الْبَحْرُ جِبْهَتَهُ الْبِضَّةَ الزَّنْبَقِيَّةَ؟
وَأَخْفَاهُ فِي قَلْعِهِ مِنْ لَأَلَىٰ بِيضٍ نَقِيَّةَ؟

* * *

أَمْ الرِّيحُ لَمْ يُبْقِ طَوْلُ التَّنْقَلِ مِنْ خُفِّهَا
سِوَى مِرْقٍ خَلِيقَاتٍ فَاخْفَتُهُ فِي كَهْفِهَا

* * *

لَتَصْنَعَ خُفَّيْنِ مِنْ جِلْدِهِ اللَّيْنِ اللَّبَنِيِّ
وَأَشْرَطَهُ مِنْ سَنَاهُ لِهَيْكَلِهَا الزَّنْبَقِيِّ

* * *

وجاء الصباحُ بليلِ الخطى قمرى البرودُ
يتوجُّ جبهتهُ الغسقيةَ عقدُ ورودُ

* * *

يجوبُ الفضاءَ وفي كفِّه دورقُ من جمالُ
يرشُ الندى والبرودةَ والضوءَ فوق الجبالُ

* * *

ومرَّ على طرَفِي قدميه بكوخ الغلامُ
ورشَّ عليه الضياءَ وقطرَ الندى والسلامُ

* * *

وراح يسيرُ لينجزَ أعماله في السفوحُ
يوزعُ ألوانه ويُشيعُ الرضى والوضوحُ

* * *

وهبُ الغلامُ من النومِ منتعشاً في انتشاءٍ
فماذا رأى؟ يا ندى! يا شذى! يا رؤى! يا سماء!

* * *

هنالك في الساحة الطحلبية، حيثُ الصباحُ
تعودُ ألا يرى غيرَ عُشبٍ رَعتهُ الرياحُ

* * *

هنالك كانت تقومُ وتمتدُّ في الجوِّ سِدره
جدائلها كُسيّتْ خضرةً خضبةً اللونِ ثرّه

* * *

رعاها المساءُ وغدَّتْ شذاها شِفاءَ القمرِ
وأرَضَعَهَا ضوؤه المختفي في الترابِ العَطيرِ

* * *

وأشربَ أغصانها الناعماتِ رحيقَ شذَاهُ
وصبَّ على لونها فضةً عُصِرَتْ من سَنَاهُ

* * *

وأثمارها ؟ أيَّ لونٍ غريبٍ وأيَّ ابتكارٍ
لقد حار فيها ضياءُ النجومِ وغارَ النهارُ

* * *

وُجِنَتْ بها الشجراتُ المقلَّدةُ الجامدة
فمنذ عصورٍ وأثمارُها لم تزلْ واحده

* * *

فمن أيِّ أرضٍ خياليَّةٍ رَضَعَتْ ؟ أيُّ تربةٍ
سقتُها الجمالَ المفضُّضَ ؟ أيُّ ينابيعٍ عذَّبه ؟

* * *

وَأَيُّ مَعْجَزَةٍ لَمْ يَصِلْهَا خَيَالُ الشَّجَرِ
جَمِيعاً ؟ فَنَ كُلِّ غُصْنٍ طَرِيٌّ تَدَلَّى قَمَرٌ

- ٧ -

وَمَرَّتْ عَصُورٌ وَمَا عَادَ أَهْلُ الْقُرَى يَذْكُرُونَ
حَيَاةَ الْغُلَامِ الْغَرِيبِ الرَّؤْيِ الْعَبْقَرِيِّ الْجَنُونَ

* * *

وَحَتَّى الْجِبَالُ طَوَتْ سِرَّهُ وَتَنَاسَتْ خَطَاهُ
وَأَقْبَارُهُ وَأَنَاشِيدُهُ وَانْدَفَاعُ مُنَاهُ

* * *

وَكَيْفَ أَعَادَ لِأَهْلِ الْقُرَى الْوَاهِلِينَ الْقَمَرَ
وَأَطْلَقَهُ فِي السَّمَاءِ كَمَا كَانَ دُونَ مَقَرِّ

* * *

محبوبُ الفضاءَ وَيَنْثُرُ فِيهِ النَّدَى والبُرودهُ
وشبهُ ضبابٍ تحدرُ من أمسياتٍ بعيدهُ

* * *

وهمساً كأصداء نبعٍ تحدرُ في عمق كهفٍ
يؤكدُ أنَّ الغلامَ وقصَّتهُ حلمٌ صيفٍ

١٩٥٢

اغنية للحياة

إذا سألوا في غدٍ عن هَوَانَا
ونحنُ تُرَابٌ مع الذكرياتُ
وراحَ يُجيبُهُمُ العابرونُ
بأنَّا مرَرْنَا بهذي الحياةُ
وذُقْنَا الهَوَى والمُنَى والعَذَابُ
كأسلافنا ثُمَّ عُدْنَا رُفَاتُ
وعفَّتْ على أثرَيْنَا الرياحُ
وَعُدْنَا ضَبَابًا تلاشى ومَاتُ

* * *

وقال لهم قائلٌ : إننا
شربنا الأسي في ثنايا الكؤوس
وإنَّ ابتساماتنا كنَّ لونا
يغلّفُ شيئاً طوتهُ النفوسُ
وإننا دفعنا أناشيدنا
وأحلامنا للرّجاءِ العَبوسُ
وكنّا كمن قبلنا غرّبا
على الأرضِ ثم طوّتنا الرّموسُ

* * *

فمن سوف يُخبرهم أننا
شربنا العذوبة حتى سكرنا
وأنا ملكنا ضياءَ النجومِ
ودجلةَ والفجرِ فيما ملّكنا

وكانت لنا من خُدودِ النسيم
وسائدُ تسندنا إن كِلنا
وأنا تركنا حكاياتنا
وأخبارنا للرياح ونمنا

* * *

وأنا عرَفنا الحياةَ ارتعاشاً
ونبضاً وأغنيةَ خالدهُ
عرَفنا الغرامَ الرقيقَ الجبينِ
وذُقنا لياليهُ الساهدهُ
وكم مرةٍ قد ضمَّنا السَّعادَ
ةً في هذه الأذرعِ الهامدهُ
وذُقنا حنينَ الجمالِ اللذيدِ
وملحَ مدامعنا الباردةُ

* * *

وكانت لنا قطرات الندى
ومنزلق الضوء كل صباح
وكان النسيم شفاها تمر
تقبل ما جرحته الرياح
وكنا نحب الشذى والنخيل
وآفاقنا والسهول الفساح
وإن جرحتنا أكف الحياة
سكبنا الرضى في شفاه الجراح

* * *

وكان الوجود سخي اليدين
فاعطى هوانا ضياء القمر
ولف خيالنا بالعبير
ومد علينا ظلال الشجر

وروي صدانا بخمر الكروم
وطهر أفكارنا بالمطر
وتوَّجنا بغصون البنفسج
سج والزنبق المُخمل العطر

* * *

وكنّا له بأناشيدنا
وأشواقنا المرحاتِ الرضاء
ومن أجله قد هوينّا الحياة
ومن أجله قد عَشِقْنَا الفناء
وها نحنُ بين ذراعي ثراه
نشيدَين لا يعرِفان انتهاء
يعشّشُ في تَربَتَيْنَا الجمال
فيا جهلَ مَنْ ظنّنا أشقياء

تحية للجمهورية العراقية

« نظمت هذه القصيدة تحية لثورة

١٤ تموز سنة ١٩٥٨ » .

فَرَحُ الأيتامِ بضمةٍ حبٍّ أبويِّه
فرحةٌ عطشانٍ ذاقَ الماءَ
فرحةٌ تموزَ بلمسِ نسائمٍ ثلجيِّه
فرحُ الظُّلُماتِ بنبعِ ضياءِ
فرحتنا بالجمهوريِّه

* * *

جمهوريتنا ، نلفظها بهوىً وخشوعُ
 نهمسها ، نغمرها قبلًا ولهى حرى
 نلمسُ أحرُقها بشِفاهٍ بقيت دَهرا
 تعطشُ ، تارقُ ، تعرى ، وتجوعُ
 جمهوريتنا ، فرحتنا ، يا حُرقةَ أشواقٍ وحنينُ
 نحنُ عطشنا لك أعواما
 جعنا وسهرنا ، غذيناها أحلاما
 والآن ملكناها دفقةَ ضوءٍ ويقينُ

جمهوريتنا ، طفلتنا الجذلى العينينُ
 مولودتنا السمرام الباسمة الشفتينُ
 سنوسدّها في اذرعنا وماقينا
 سنغذيها بأغانينا

نَحْنُ تَرْقُبْنَاهَا زَمَانًا مِنْ دُونِ كَلَالٍ
وَرَصَدْنَا الْأَفْقَ ، بَحَثْنَا مِلَّةَ رَوَايِينَا
وَحَصَدْنَا الشُّوكَ ، حَصَدْنَا حَقْدَ أَعَادِينَا
وَأَقْمْنَا مَهْدًا مِنْ حَبٍّ وَشَدَى وَظِلَالٍ
كَمْ حَفَّ بِهِ كَيْدُ الْأَعْدَاءِ
وَسَقَطْنَا حَوْلَ قَوَائِمِهِ الْوَلَهَى شُهَدَاءُ

* * *

جَمُورِيَّتُنَا دَفْقَةُ خَيْرٍ مَسْكُوبَةٍ
تَقْطُرُ إِيْمَانًا وَعُروْبَةٍ
جَمُورِيَّتُنَا ضَوْءٌ ، عِطْرٌ ، وَعَذُوبَةٌ
تَقْطُرُ مِنْ أَحْرَفِهَا الطَّيْبَةِ
كَانَتْ حُلْمًا ضَاعَ إِلَى زَرْقَتِهِ الْبَابُ
كَانَتْ أَشْوَاقًا مَشْبُوبَةٍ

يُحِبُّهَا غَيْمٌ وَضَبَابٌ
وَأَخِيرًا نَحْنُ لَسْنَاهَا
بَاكُفٍ رَاعِشَةٍ فَرَحًا وَمَلَكْنَاهَا

* * *

جُمْهُورِيَّتُنَا وَرُدُّتُنَا النَّشْوَى الْعَطِيرَه
أَهْدَاهَا تَمُوزُ الطَّيِّبُ
أَعْطَاهَا لِرِوَانَا ، لِرَبَانَا الْمُنْتَظِرَه ،
لِلوَادِي الْعَطِشَانِ الْمَجْدِبِ
وَرُدَّتُنَا الْبَيْضَاءُ الْغَضَّةُ
تَغْمَرُنَا ثَلْجًا فِي تَمُوزَ وَحَرِّيَّه
تُعْطِينَا عَطْرًا وَسَلَامًا وَرَوْيَ بَضَّة
تَبْعُنَا أَغْنِيَةً حَيَّة
تَحْيَا تَحْيَا الْجُمْهُورِيَّه

* * *

جمهوريتنا وردتنا الروحيةُ يحميها اللهُ
كانت حُلماً ، كانت رؤيا
والآن غدتْ أغلى ما نملكُ في الدنيا
وأحب ، أعز ، أرقّ الوردِ وأحلاه

* * *

في أضلعينا يا وردتنا الجمهوريّة
في أعيننا نامي فصوص الوردِ كثر
أعداءُ العطرِ العابقِ ، تُجَارُ الأزهارُ
أيقظَ عطرُك فيهم أشواقاً ذئبية
السّوقُ صحّاً يا وردُ حذارُ
من تقمّيه الصهيونيّة
ومخالبه الأمريكيّة

* * *

جَمُورِيَّتُنَا ، وَرَدَّتُنَا ، لَنْ نُعْطِيَهَا
إِنَّا قَدْ ذُقْنَا سُكَّرَهَا بَعْدَ الْحَرَمَانِ
هَلْ نُسَلِّمُهَا لِلصَّالِحِينَ الْآنَ ؟
جَمُورِيَّتُنَا مِنْ دَمِنَا سَنُغْذِّيَهَا
نَحْنُ لَهَا إِيمَانٌ يُعْطِي وَيَدٌ تُنْجِدُ
جَمُورِيَّتُنَا عَشْتِ ، سَلِمْتَ مِنَ الطُّغْيَانِ
إِنَّا وَالْبَعْثُ عَلَى مَوْعِدٍ

طريقُ حبي

طريقي اليكَ يُرُّ بأوديةٍ لا تَبِينُ
مغيَّبةٍ في ضبابِ التمنيِّ وعطرِ الحنينِ
ويُسَدِّلُ فوق ذُرَاها القصيَّةِ سِتْرُ ضنينِ
يلمُّ أسرارَ أصقاعها عن عُيون السُّنينِ

* * *

طريقي اليكَ ، وأيُّ طريقٍ مُثيرٍ غريبٍ
قُرَى سربلتها الظنونُ ومدُّ فضاءٍ مُريبٍ

وتأوي الشكوكُ إليها ، ويسكنُ لغزُ عَجِيبُ
وتصرُخُ أسئلتي في ربّاهَا ، وما من مُجِيبُ

* * *

وكم مُدُنٍ لا تُفسَّرُ كم قريةٍ مُضْنِيهِ
ينامُ التناقضُ فيها ويفترشُ الأوديةُ
فمن فرَحٍ يتتهدُّ حزنًا ، ومن أغْنِيهِ
تُذيعُ سُكونًا طويلا ، ومن ذِكرٍ مُنْسِيهِ

* * *

وكم من صحارى يعيشُ التعطُّشُ في رَمْلِها
رَوَيْتُ تعطُّشها بدموعي ، ومن أجْلِها
جمعتُ الندى قطرةً قطرةً وعلى محلِّها

صَبَبْتُ دُمَائِي

وَمَثَلِي يَفْنَى عَلَى مِثْلِهَا

- * * *

طَرِيقُ هَوَايَ يَهْضَابُ غَمُوضٍ وَأَرْضُ ظِلَالٍ
وَبِيدٌ تُطِيلُ التَّمَنِّيَ وَتَطْلُبُ مَا لَا يُنَالُ
هَنَالِكَ أَنْهَارُ أَسْئَلَةٍ وَجِبَالُ مُحَالٍ
وَتَرْسُ اللَّيَالِي شَهُورًا وَيَنْسَى الْمَسِيرَ الْهَلَالَ

* * *

وَبَيْنَ الْمَحَالِينَ : بَيْنَ وَصُولِي وَبَيْنَ رَجُوعِي
تَمُرُّ رِيَّاحٌ تَبْلُلُهَا قَطَرَاتُ دُمُوعِي
وَأَسْهَرُ أَجْهَدُ ، أَحْفَرُ فِي لَهْفَةٍ وَخُشُوعٍ
لَعَلِّي أَشَقُّ طَرِيقًا لِحُبِّي بَيْنَ ضُلُوعِي

(١٩٦٠)

خمسة اغانٍ للآلم

- ١ -

مُهْدِي لِيَالِينَا الْآسَى وَالْحُرَقُ
سَاقِي مَآقِينَا كُؤُوسَ الْآرَقُ

نَحْنُ وَجَدْنَاهُ عَلَى دَرَبِنَا
ذَاتَ صَبَاحٍ مَطِيرُ
وَنَحْنُ أَعْطَيْنَاهُ مِنْ حُبِّنَا
رَبَّتَةَ إِشْفَاقٍ وَرَكْنَا صَغِيرُ
يَنْبِيضُ فِي قَلْبِنَا

* * *

فلم يَعُدْ يتركُّنا أو يغيبُ
عن دَرَبِنا مرَّة
يتبعُنا ملءَ الوجودِ الرحيبُ
يا ليتَّنا لم نَسْقِهِ قَطْرَهُ
ذاك الصُّباحَ الكئيبُ

مُهْدِي لِيالينا الأَسَى والحُرَقُ
ساقِي مآقينا كؤوس الأَرَقُ

- ٢ -

من أينَ يأتينا الألمُ
من أينَ يأتينا ؟
آخِي رِؤُانا من قِدَمِ
ورَعَى قِوافينا

* * *

أَمْسِرْ اصْطَحِبْنَاهُ إِلَى لُجْجِ الْمِيَاهِ
وَهُنَاكَ كَسَّرْنَاهُ بِدَدْنَاهُ فِي مَوْجِ الْبُحَيْرَةِ
لَمْ نُبْقِرْ مِنْهُ آهَةً لَمْ نُبْقِرْ عَبْرَهُ
وَلَقَدْ حَسِبْنَا أَنَّنَا عُذُّنَا بِمَنْجَىٍّ مِنْ أَذَاهُ
مَا عَادَ يُلْثِقِي الْحُزْنَ فِي بَسَاتِنَا
أَوْ يَنْجِيءَ الْغُصَّصَ الْمُرِيرَةَ خَلْفَ أَغْنِيَاتِنَا

* * *

ثُمَّ اسْتَلَمْنَا وَرْدَةً حُمْرَاءَ دَافِقَةِ الْعَبِيرِ
أَحْبَابُنَا بَعَثُوا بِهَا عَبْرَ الْبَحَارِ
مَاذَا تَوَقَّعْنَاهُ فِيهَا ؟ غِبْطَةٌ وَرِضَىٌّ قَرِيرُ
لَكِنَّهَا انْتَفَضَتْ وَسَالَتْ أَدْمَعَا عَطَشَى حَرَّارِ
وَسَقَتْ أَصَابِعُنَا الْحَزِينَاتِ النَّغَمَ .
إِنَّا نَحْبُكَ يَا أَلَمُ

* * *

من أين يأتينا الألم ؟
من أين يأتينا ؟
آخى رؤانا من قدم
ورعى قوافينا
انّا له عطش وفم
يحيا ويسقيننا

- ٣ -

أليس في إمكاننا أن نغلب الألم ؟
نرجئه إلى صباح قادم ؟ أو أمسيه
نشغلّه ؟ تقنعه بلعبة ؟ بأغنيه ؟
بقصة قديمة منسية النغم ؟

* * *

ومن عساه أن يكون ذلك الألم ؟

طفلٌ صغيرٌ ناعمٌ مُستفهِم العيونُ
تُسكته تهويدهُ ورَبَّتةُ حنونُ
وان تبسّما وغنّينا له ينمُ

* * *

يا أصبعاً أهدى لنا الدموع والنَّدَمُ
من غيرهُ أغلقَ في وجه أسانا قلبه
ثم أتنا باكياً يسألُ أن نُنجّسه
ومن سواهُ وزعَ الجراحَ وأبتسمُ؟

* * *

هذا الصغيرُ... إنه أبرأ من ظلمِ
عدونا المحبِّ أو صديقنا اللدودِ
يا طعنةً تريدُ أن نمنحها خدودُ
دوت اختلاجٍ عاتبٍ ودونما ألمِ

* * *

يا طفلنا الصغيرَ سَامَحْنَا يَدَا وَفَمَ
تَحْفِيرُ فِي عُيُونِنَا مَعَابِرًا لِلْأَدَمِ
وَتَسْتَثِيرُ جُرْحَنَا فِي مَوْضِعٍ وَمَوْضِعٍ
إِنَّا نَغْفِرُكَ الذَّنْبَ وَالْإِيذَاءَ مِنْ قِدَمٍ

- ٤ -

كَيْفَ نَنْسَى الْأَلَمَ
كَيْفَ نَنْسَاهُ ؟
مَنْ يُضِيءُ لَنَا
لَيْلَ ذِكْرَاهُ ؟

سَوْفَ نَشْرِبُهُ سَوْفَ نَأْكُلُهُ
وَسَنَقْفُو شُرُودَ خُطَاهُ
وَإِذَا غَمْنَا كَانَ هَيْكَلُهُ

هو آخرُ شيءٍ نَراهُ

* * *

وملاحهُ هي أوَّلُ ما
سوفُ نبصرُه في الصباحُ
وسنحملُه مَعنا حيثُما
حملتنا المني والجراحُ

* * *

سنُبيحُ له أن يُقيم السُدودُ
بين أشواقنا والقَمَرُ
بين حرقتنا وغديرِ برودُ
بين أعيننا والنَظَرُ

* * *

وسنسمح أن ينشر البَلَوَى
والآسى في مآقينا
وسنؤويه في ثنية نشوى
من ضلوع أغانينا

* * *

وأخيراً ستجرفه الوديان
ويوسده الصبير
وسيهبط وادينا النسيان
يا أسانا، مساء الخير !

* * *

سوف ننسى الألم
سوف ننساه
اننا بالرضى
قد سقيناه

نَحْنُ تَوَجَّنَاكَ فِي تَهْوِيمَةِ الْفَجْرِ إِهْلَا
وَعَلَى مَذْبَحِكَ الْفُضِيِّ مَرَّغْنَا الْجِبَاهَا
يَا هَوَانَا يَا أَلَمَ
وَمِنَ الْكَتَّانِ وَالسِّمْسِمِ أَحْرَقْنَا بِخُورَا
ثُمَّ قَدَّمْنَا الْقَرَابِينَ وَرَتَّلْنَا سُطُورَا
بَابِلِيَّاتِ النَّعْمِ

* * *

نَحْنُ شَيْدْنَا لَكَ الْمَعْبَدَ جُدْرَانًا شَذِيهَ
وَرَشَّشْنَا أَرْضَهُ بِالزَّيْتِ وَالْخَمْرِ النَّقِيَّةِ
وَالدَّمُوعِ الْمَحْرَقِ
نَحْنُ أَشْعَلْنَا لَكَ النَّيْرَانَ مِنْ سَعَفِ النَّخِيلِ

وَأَسَانَا وَهَشِيمِ الْقَمْحِ فِي لَيْلٍ طَوِيلٍ
بِشْفَاهِ مُطَبَّقَهُ

* * *

نَحْنُ رَتَّلْنَا وَنَادَيْنَا وَقَدَّمْنَا النُّدُورَ :
بَلَّحُ مِنْ بَابِلِ السَّكْرَى وَخَبَزُ وَخَمُورُ
وَوُرُودُ فَرَحِهِ
ثُمَّ صَلَّيْنَا لِعَيْنِكَ وَقَرَّبْنَا ضَحِيَّةً
وَجَمَعْنَا قَطَرَاتِ الْأَدْمُعِ الْحَرَّى السَّخِيَّةِ
وَصَنَعْنَا مَسْبَحَهُ

* * *

أَنْتَ يَا مَنْ كَفَّهُ أَعْطَتْ لِحُونًا وَأَغَانِي
يَا دُمُوعًا تَمْنَحُ الْحِكْمَةَ ، يَا نَبْعَ مَعَانٍ
يَا ثَرَاءَ وَخُصُوبَةَ

يا حناناً قاسياً يا نعمةً تقطُرُ رحمَه
نحنُ خبّانك في أحلامنا في كلِّ نغمه
من أغانيّنا الكئيبه

(١٩٥٧)

أغنية للاطلال العربية

من الجزع من قلب يسقط اللوى
ووادي الغمار وبرقة نهمسده
ومن ربيع نغم عفته الرياح
وأقفر من أهليه وتبدد
ومن طلل في الجزيرة أقوى
وما زال منبوع عطري وعسجد
تعالته هتافات ماض عريق
يعيش الخلود يحفن مسهده

* * *

وتلك المربع حيثُ الظباءُ
سرحنَ قديماً وتلك الطلولُ
منازلُ يعربَ يَفنى الوجودُ
ويلبثُ منها شذى لا يزولُ
وشعرُ ندى عريّ القوافي
يظلُّ يبرعمُ مثل الفصولُ
إذا درست دمنةً هب ألف أم
رى القيس يدفع عنها الذبولُ

* * *

تناديك يا عريّ رمالُ
معطرة بأريج القيدمُ
ديارُ العروبة ما لامستها
قديماً سوى قبلات الديمُ

وقفتَ بها اليومَ : أين الهواد
جُ ؟ أين الحُدَّاءُ ؟ وأين الخيِّمُ ؟
تَرَ حَلَّ فرسانِها وانطوتْ
أناشيدُها وزواها العَدَمُ

* * *

وتستعجمُ الدارُ يا عربيَّ
وتُغْرِقُ في صمتِها لا تُجيبُ
فإن تبك ، تستبكِ جذرانِها
يردُّ عليك السكونُ الرهيبُ
مسارحُ آرامِها دنسُها
خطى الوافِدِ الأجنبي المريبُ
وأرضُ نزارٍ وبكرٍ ووائِـ
لَ خطَّوا على رَمْلِها تلُ أيبُ

* * *

وَيَصْعَدُ فِي اللَّيْلِ هَمْسٌ كَثِيبٌ
 تَرْدَدُهُ الدِّمَنُ الماحله
 تَغْلُفُهُ كِبْرِيَاءُ الطُّلُولِ
 وَعِزَّةٌ أَحْجَارُهَا الذَّابِلَه
 وَيُثْقَلُهُ رَجْعُ خَطْوِ القَوَافِ
 لَرِّ فِي رَمْلٍ تَلَكُ الرُّبَى القاحله
 مَتَى يَا زَمَانُ تَعُودُ الْحَيَاةُ
 الْيَنَا وَتَنْطَلِقُ الْقَافِلَه ؟

* * *

فِيَا عَرَبِيَّ أَصْخُ لِنْدَاءِ
 تَحَدَّرَ مِنْ رَحْبَةِ الْأَبْدِيَه
 وَقَفَ حَاسِرًا تَحْتَ ضَوْءِ النُّجُومِ
 عَلَى رَبْعِ تَلَكُ الطُّلُولِ الْأَيَّه

وَقُلْ يَا رِمَالِ الْجَزِيرَةِ يَا لَحْنِ
نَ مَلْحَمَةِ الْعَرَبِ الْأَزَلِيِّهِ
غَدًا سَتَعُودُ إِلَيْكَ الْحَيَاةُ
تَعُودُ مَعَ الْوَحْدَةِ الْعَرَبِيَّةِ
(١٩٦٣)

مشغول في آذار

ينامُ الوردُ أو يصحو
ويبسمُ في المدى ليلٌ ندى أو ينتشي صبحُ
سواءُ ذاكَ أو هذا ، حبيبي ، أنتَ مشغولُ
سدىً مني أوتارٌ تصلي وتراتيلُ
على مكتبك البارد تنكبّ بلا أحلامُ
وتسرقُ روحك الأرقامُ
وعند رتاجك المسدود ترتدّ المواويلُ
وقد أضحك ، قد أبكى ، وأسهرُ في الدُّجى وأنا

سواءٌ ... أنتَ مشغولٌ
بأوراقك ، والحبُّ على المكتبِ مقتولٌ ،
ألا فلتسقطِ الأوراقُ والأقلامُ

* * *

وآذارُ النديِّ وأنا ... وراءَ البابِ
نرُشُّ جبينَكَ الجدِّيَّ بالأطيابِ
نُرَقِّقُ في دواةِ الحبرِ بعضَ تحرقِ الموجِ
ونُنَجِّي خَشَبَ المكتبِ من برْدٍ ومن ثلجِ
ونُهْدِيكَ النديَّ والعِطْرَ كأسَ شرابِ
حبيبي فافتحِ الأبوابِ
أنا والقمرُ المُشتاقُ جئنا نطرقُ الشُّبَّاكِ
عبرنا الصخرَ والأشواكِ
وودياناً من الآهاتِ والأوصابِ

أتينا ها هنا لنراك
حبيبي فافتح الشباك

* * *

ويمضي الوقت والأبواب ترُفَضُّنا
حبيبي المَرَّهَقَ المشغولَ إفتحها فنحنُ هنا
أنا والشمسُ نحملُ سُمْرَةَ النهرِ
وأكواباً من العِطْرِ
وحزْمةَ أنْجَمٍ وسَنًا
حبيبي فافتح الأبوابَ ، نحنُ هنا
جميعاً :

أنتَ ، آذارُ ، وفرحةُ حبِّنا ، وأنا

(١٩٦٣)

ولكنها ستكون الأخيرة

« ترجمة تصرف للقصيدة المعترفة :

It's not Going To Happen Again

للشاعر الإنكليزي روبرت بروك »

أجلُ أنا أشبعتُ روحي وغذّيتُ هذي الشفاهُ
وأشربتُ قلبيَ حتى سَكِرُ
أجلُ أنا أعطيتُ أثمنَ ما منحتهُ الحياهُ
كؤوسَ الهوى البِلسميَّ العَطِيرُ
وكم قد سَكِرْتُ بأفراحها وبلغتُ الذُرَى
وكم قد سكبتُ الدموعَ الغزيره

ولكنّها ستكونُ الأخيرةُ يا صاحبي
ولكنّها ستكونُ الأخيرةُ

* * *

وتعرفُ هذا بُثينةُ في دَرَكَاتِ الجحيمِ
ويُذركه توبةٌ وجميلُ
وكم غمغمتُهُ أناشيدُ قيسٍ بصوتِ رُخيمِ
وواست به حُزنَ ليلي الطويلِ
وكم ردّدته شفاهُ كثيرَ في نشوةٍ
لعزّةٍ وهي تموتُ كسيره
ولكنّها ستكونُ الأخيرةُ يا حُلوتي
ولكنّها ستكونُ الأخيرةُ

وردة لعبد السلام

« نظمت الشاعرة هذه الأغنية في مساء اليوم الذي
أعلن فيه اعتقال السيد عبد السلام عارف بتهمة
التآمر سنة ١٩٥٨ »

في جداولنا في شفاءِ روايينا رِيبَةٌ وظلامٌ
وسؤالٌ تحرقُ ملءُ أغانيها : أينَ عبدُ السلامُ ؟

* * *

والعروبةُ تسألُ : أينَ أضعُناهُ ؟ صوتُها محزونٌ
هل تقولُ لها إنا قد رَمِيناهُ في ظلامِ السُّجونِ ؟

* * *

ولماذا سنسجنه؟ يسألُ الرافدانُ
هل تقولُ لها إنه يا شواطئُ كانُ
أيّ ذنبَ جناهُ؟
عربيّ الشفاهُ؟

* * *

نَبَأُ أنكرتهُ المروجُ الخضيبه
وسيلبتُ فوق خدود العروبه
بدمِ الثوّارِ
خجلاً واحمرارُ

* * *

والملايينُ ترقُبُ في حُرقةٍ وانفعالٍ
صوتها رنٌ يُلقى السؤالَ متى يا جمالُ
حافة الكأسِ
مطلعُ الشمسِ؟

* * *

والملايينُ تحملُ في يدها ورده
يا نصيرَ العروبة والحقُّ والوحدُ
لكَ عبدَ السّلامِ
يا عدوَّ الظلامِ

(١٩٥٨)

أغنية للقمر

كأسٌ حليبٍ مثلجٍ تَرِفِ
أم جدولٌ سائلٌ من الصَدَفِ ؟
أم غَسَقٌ أبيضٌ يَسِيلُ على
خُدود ليلٍ مُعَطَّرِ السُدُفِ
أم حَقٌّ عَطِرٌ ملوَّنٌ خَضِيلِ
يَقْطُرُ شَهِدًا لكلِّ مُغْتَرِفِ ؟
أم أنتَ خَدُّ مُزَنِّقٍ أَرَجِ
يَنعَسُ فوق الأعشابِ والسَّعَفِ ؟

يا فضة كالضياءِ لينة
يا لونَ حُبِّي القديم يا شغفي

* * *

ما أنت يا دورق الضياءِ ويا
كواكباً في الظلام مُنصهره ؟
يا قبلاً سوسنيةً سكبتُ
شهداً مُصَفَّى في ليلةٍ عطيرة
يا نخباً للجمالِ يا حزماء
من زنبقٍ في السماء مُنعصرة
ويا شفاهاً من الضياءِ دنتُ
تمسحُ وجهَ العرائشِ النضيرة

يا بركة العِطر والنعومة يا
سلةً فلّ في الأفق منحدرة

* * *

يا زورقَ العاشقين تحملهم
 عبْرَ بحار الأحلام والكسل
 على جناحٍ مريشٍ يقظٍ
 يفرشُ دربَ الغرامِ بالأمل
 يا منبعاً يسكبُ النُعاسَ على
 ما أرقتَه الأشواقُ من مُقلد
 يا ساقِي الأعينِ الرقاقِ رؤى
 يا كوبَ نومٍ مخدّرٍ ثمل
 يا إصبعاً يلمسُ الجراحَ ويا
 مُبعثراً الأغنياتِ والقُبل

جزيرةٌ في الدُجى معلقةٌ
 فجريّةٌ اللونِ والتباشير

طافية فوق جدول عبق
مكوكب الشاطئين مسحور
تجمّد الضوء عند شاطئها
مهد حريم وكنز بلور
يا توبة القبح يا شرع هوى
ملوّث ناعم الأسارير
يا ندم الليل والظلام ويا
كفارة الغيم والأعاصير

* * *

أذب شظايا أشعة ورؤى
في الليل واغمر سطوحنا فضة
وانقض جناحك في الفضاء يسيل
لون جناح الفراشة الغضة

لولاك لم ترقص الظلال ولم
تبرد كؤوس الزنايق البضة
غزلت أحلامنا وأرضعنا
ضياؤك العذب ومضة ومضة
يا كوة الفجر في دجى تعيب
يا مطعم الياسمين في الروضه

* * *

البث كما أنت عالما عجيزت
أروأحنا أن تعي خفاياه
يا ناسج الشعير يا بقيته
في عالم أظلمت مراياه
أي نشيد لم ينبجس عسلا
وأنت تفتري في ثناياه

أنتَ منحتَ الغناءَ لذَّتهُ
يا نبْضةَ الوزنِ في حناياهُ
فأبقى وراءَ الحياةِ أخيلةً
الشِّعرُ فيها وأُحبُّ واللهُ
(١٩٥٢)

ثلجٌ و نار

تَسْأَلُ مَاذَا أَقْصَدُ ؟ لا ، دَعْنِي ، لا تَسْأَلُ
لا تَطْرُقُ بَوَّابَةَ هَذَا الرُّكْنِ الْمُقْفَلِ
اتْرَكْنِي يَحْجُبُ أَسْرَارِي سِتْرٌ مُسَدَّلٌ
إِنِّ وِراءَ الْأَسْتَارِ وَرُوداً قَدْ تَذْبَلُ

* * *

إِن أَنَا كَاشَفْتُكَ ، إِن عَرَّيْتُ رُؤْيَ حَبِّي
وَزَوَايَا حَافِلَةً بِاللَّهْفَةِ فِي قَلْبِي
فَسْتَغْضَبُ مِنِّي ، سَوْفَ تَثُورُ عَلَى ذَنْبِي

وسَيَنْبُتُ تَانِيكَ أَشْوَكَاً فِي دَرْبِي

* * *

وإذا ما رُحْتَ تَوْنِيُنِي ، هل أنسحبُ ؟
هل يقبلُ ثلجَ عتابكَ قلبي الملتهبُ ؟
أترى أتقبلُ ؟ لا أغضبُ ؟ لا أضطربُ ؟
لا ! بل ساثورُ عليك ... سيأكلني الغضبُ

* * *

وإذا أنا ثرتُ عليكَ وعكَّرتُ الأجواءُ
بمرارةٍ لفظٍ جافٍ أو حرفٍ مُستاءٍ
فستغضبُ أنتِ وتنهَضُ في صمتٍ وجفاءٍ
وستذهبُ يا آدمُ لا تسالُ عن حواءِ

* * *

وإذا ما أنتَ ذهبتَ وأبقيتَ الشوقا

عصفوراً عطشاناً لا يحلم أن يُسقى
وليلي لا تعرف لا فجراً لا شرقاً
وإذا ما أنت ذهبت ... فماذا يتبقى ؟

* * *

لا ، لا تسأل ... دعني صامتةً منطويةً
أترك أخباري وأناشيدي حيث هي
أتركني أسئلةً وردوداً منزويةً
ووروداً تبقى تحت ثلوجك منحنية

* * *

يا آدم لا تسأل ... حواءك مطوية
في زاوية من قلبك حيرة منسية
ذلك ما شاءته أقدار مقضيه
آدم مثل الثلج ، وحواء ناريه

اغنية حب للكلمات

فيم نخشى الكلمات
وهي أحياناً أكفُّ من ورود
باردات العطر مرّت عذبة فوق خدود
وهي أحياناً كووسٌ من رقيق منعش
رشفتها ، ذات صيف ، شفة في عطش

* * *

فيم نخشى الكلمات
إنّ منها كلمات هي أجراسٌ خفية

رَجَعُهَا يُعَلِّينَ مِنْ أَعْمَارِنَا الْمُنْفَعَلَاتِ
فَتَرَةً مَسْحُورَةً الْفَجْرِ سَخِيَّةَ
قَطَرَاتٍ حَسًّا وَحَبًّا وَحَيَاةَ
فَلَمَّاذَا نَحْنُ نَخْشَى الْكَلِمَاتُ ؟

* * *

نَحْنُ لُذْنَا بِالسَّكُونِ
وَصَمْتِنَا ، لَمْ نَشَأْ أَنْ تَكْشِفَ السِّرَّ الشِّفَاهُ
وَحَسِبْنَا أَنَّ فِي الْأَلْفَاظِ غَوْلًا لَا نَرَاهُ
قَابِعًا تُخْبِئُهُ الْأَحْرُفُ عَنْ سَمْعِ الْقُرُونِ
نَحْنُ كَبَّلْنَا الْحُرُوفَ الظَّامِئَةَ
لَمْ نَدْعُهَا تَفْرِشُ اللَّيْلَ لَنَا
مِسْنَدًا يَقْطُرُ مُوسِيقَى وَعِطْرًا وَمُنَى
وَكُؤُوسًا دَافِئَةً

* * *

فيم نخشى الكلمات ؟
انها بابٌ هَوَىْ خَلْفِيَّةٌ يَنْفُذُ مِنْهَا
غَدُنَا الْمُبْهَمُ فْلنرفعُ ستارَ الصمتِ عنها
انها نافذةٌ ضوئيةٌ منها يُطِلُّ
ما كتمناه وغلّفناه في أعماقنا
من أمانينا ومن أشواقنا
فمتى يكتشفُ الصمتُ المملُّ
أننا عُدْنَا نُحِبُّ الكلمات ؟

* * *

ولماذا نحن نخشى الكلمات ؟
الصديقاتُ التي تأتي إلينا
من مَدَى أعماقنا دافئةَ الأحرفِ ثرّةُ
انها تفجؤنا ، في غفلةٍ من شفّتينَا

وتغنيينا فتنثالُ علينا الفُ فكره
من حياةٍ خصبة الآفاقِ نضره
رَقَدَتُ فينا ولم تَدْرِ الحياة
وغداً تُلقِي بها بين يدينا
الصديقاتُ الحريصاتُ علينا ، الكلماتُ
فلماذا لا نحبّ الكلماتُ ؟

* * *

فيمَ نخشى الكلماتُ ؟
انَّ منها كلماتٍ تُحمليات العذوبه
قَبَسَتْ أحرفها دِفءَ المني من شفتين
انَّ منها آخراً جذلي طروبه
عَبَرَتْ ورديةً الأفراح سكرى المقلتين
كَلِمَاتُ شاعرياتُ ، طريه

أقبلتُ تلمسُ خدينا ، حروفُ
نامَ في أصدائها لونُ غنيٍّ وحفيفُ
وحساساتُ وأشواقُ خفيّة

* * *

فيمَ نخشى الكلمات ؟
إن تكنُ أشواكها بالأمس يوماً جرّحتنا
فلقد لفتُ ذراعَيْها . على أعناقنا
وأراقتُ عِطْرَها الحلوَ على أشواقنا
إن تكنُ أحرفُها قد وَخَزَتْنا
ولوّتْ أعناقها عنا ولم تعْطِفْ علينا
فلكم أبقت وعوداً في يدَينا
وغداً تغمرُنا عِطْراً وورداً وحياة
آه فاملاً كاستيْنَا كِلِمَاتُ

* * *

في غدٍ نبني لنا عُشَّ رُؤىٍ من كلماتٍ
سامقاً يعترش اللبلابُ في أحرِّفه
سنُذيبُ الشَّعرَ في زُخْرِفه
وسنَروي زهرهً بالكلماتِ
وسنَبني شُرقةً للعطرِ والوردِ الخجولِ
ولها أعمدةٌ من كلماتٍ
وممرًا باردًا يسبحُ في ظلِّ ظليلِ
حرستهُ الكلماتِ

* * *

عمرُّنا نحنُ نذرناه صلاةً
فلمن سوف نصلِّيها ... لغير الكلماتِ ؟

(١٩٥٤)

ثلاث أغنيات عربية

- ١ -

الساعة

« لقد دقت ساعة العمل الثوري »
[جمال عبد الناصر]

دَقَّت الساعة في أرض بلادِي العريِّضِ
جلجلت ، ضجَّت ، ودَوَّت ملء وديانٍ قصيَّه
غلغلت عبر بساتين النخيل العنبريَّه
وتلوَّت في صحاري رَسَخَتْ كالأبدِيَّه

* * *

دَقَّتْ السَّاعَةُ وَاهْتَزَّتْ لَهَا شُمُورُ الصَّحَارِي
وَارْتَوَتْ بِيْدُ عِطَاشٍ لَانْبِلَاجٍ ، لَانْفِجَارِ
وَرَمَالٍ لَمْ تَزَلْ مِنْذُ عَصُورٍ فِي انْتِظَارِ
فَتَحَتْ أَذْرَعَهَا الْعِطَشَى وَأَلَوَتْ بِالْإِسَارِ

* * *

إِنَّهُ الْفَجْرُ فَهَبِّي يَا مَلَايِينُ وَمَوْجِي
إِحْمِلِي أَغْنِيَةَ الصَّحُوْ إِلَى خُضْرِ الْمَرْوَجِ
وَوَعُوداً مَوْرِقَاتٍ عَرَبِيَّاتٍ الْأَرِيْجِ
نَبَضَتْ بَيْنَ الْحَيْطِ الْمُتْرَامِي وَالْخَلِيْجِ

* * *

إِثْنَتَا عَشْرَةَ مِنْ دَقَّاتِهَا هَزَّتْ رُبَانَا
أَيَقُظْتَ تَارِيْخُنَا الْقَوْمِي فِي قَعْرِ دِمَانَا

غلغلت عُبر صحارينا النَشَاوَى وقرانا
وسمعناها تنادي وأفقنا من كرانا

-٢-

الصَّوَص

إنَّه الليلُ كلُّ الحدودُ غرقتُ في مَدَى غيبه
بدياجيه لفَّ الوجودُ أيَّها العربيَّ انتبه

* * *

رَحباتُ المَدَى النَّائِيَاتُ زخرتُ بخُطَى الأعداءِ
من وراءِ ضفافِ الفراتِ والخليجِ إلى صنعاءِ

* * *

ولصوصٌ هناكٌ كثارٌ كلهم جشعٌ وخداعٌ
أقبلوا من وراء البحارِ يسرقون طعام الجياعِ

* * *

نزلوا أرضك السمراءُ يسرقون الجنى والتمورُ
ياخذون الثرى والهواءُ يخطفون الندى والنورُ

* * *

يسلبونك لو يقدرُون خضرة الشجر المبتسمِ
يخنقون الأغاني الخنوت يمنعون الكرى والحلمِ

* * *

أنهم يقطعون الطرُقُ ويسُدّون كلَّ سبيلِ
فاستفق من كراك استفق أيها العربي النييلُ

- ٣ -

النسر المطعون

حيثُ النخيلُ السامقُ المزدهي
حيثُ الصحارى المُحْرِقات الرمالُ

حيثُ الينابيعُ وكسائِها
تقطرُ شهداً وتغذي التلالُ

وحيثُ أغنيّاتُ أنهارنا
تشدو بها شِفاهُ ريحِ الشمالُ

هناك ألقى طائرُ ظلّه
ضحكاً ، إلهياً تحدى الحبالُ

* * *

جَنَاحَهُ مَبْسُوطَانِ فَوْقَ الْمَدَى
مِنَ الْخَلِيجِ لِلْمَحِيطِ السَّحِيقِ
فِي كِبْرِيَاءِ الرِّيشِ تَحِيًّا ذُرَى
وَأَعْصُرُ يَقْطِطِي وَمَجْدُ عَرِيقِ
أَقَامَ فَوْقَ الْأَرْضِ لَا يَرْتَقِي
نَحْوَ الْأَعَالِي فِي الْفَضَاءِ الطَّلِيقِ
وَاللَّانْهِائَاتِ تَنَادِي وَفِي
نَدَائِهَا هَمْسُ الْخُلُودِ الْعَمِيقِ

* * *

فِي قَلْبِهِ النَّابِضُ قَدْ أَغْمَدُوا
رِمْحًا غَلِيظًا الْخَدُّ خَشَنَ الشِّفَاهِ
مِنْ صَدْرِهِ الْحَرُّ يَغْذِي الشَّرَى
وَالْوَرْدُ يَسْتَنْبِتُهُ مِنْ دِمَائِهِ

يا رمحَ إسرائيلَ مهما ارتوى
من جنحِهِ من روحهِ من مُنَاهُ
يبقى ثَرَانَا عربيّ الشذَى
والضوءِ ، يبقى عربيّ الميَاهُ

* * *

يافا وحيفا في غدٍ نلتقي
فنحن والضوءُ على موعِدِ
تبقى فلسطينُ لنا نعمةً
قدسيّةً على فمِ المنشيدِ
ونسرُّنا الشامخُ لن ينثني
أمام بابِ الزمنِ الموصدِ
غداً فلسطينُ لنا كلَّها
كانتْ إسرائيلَ لم توجدِ

خصام

زمانُ الصَّفَاءِ مَضَى وتَلَا شَيْءٌ مَعَ الذِّكْرِيَّاتِ
وَهَا نَحْنُ مُخْتَصِمَاتُ
وَجَاءَ زَمَانُ الصِّرَاعِ فَلَا لُطْفَ لَا بَسَمَاتُ
وَلَا دَقِيقَةُ مِنْ حَنَانُ

* * *

وَهَا نَحْنُ مُخْتَصِمَاتُ دَفْنًا الْوِثَامُ
وَرَاءَ التَّوْتَرِ فِي قَعْرِ الْفَاطِنَا الْبَارِدِ
وَلَمْ نُبْقِ كَاسًا وَلَا مِنْهَلًا لِلْغَرَامِ

ولم يُبقِ عُشًّا لأحلامنا الساهده

* * *

وها نحنُ نكشفُ عما انطوى
بأعماقِ أنفسينا من عيوبٍ جميله
ويُدرِكُ كلُّ باتٍ ألهوى
طوى ما طوى من معايننا المترفات الأصيله
ولم يُبقِ إلا محاسننا الفجّة المستحيله

* * *

ههنا نحنُ نعرفُ أبعادنا الشاسعه
وما امتدَّ في عمقها من خشونه
وكيف ملكنا عيوباً منوعةً رائعه
تُخبّئ أوجها خلف ستر الرضى والليونه

...

وخلف الوداعةِ خلفَ السكينه

* * *

وفي لحظاتِ الصفاءِ لَمَسْنَا شذانا الرصينا
وذُقْنَا محاسننا السَّمْحَةَ المنعِمة
وذاك الطِّلاءَ الذي لفَّ أعماقنا المبهمة
وغطَّى الحماقةَ والضعفَ فينا

* * *

وفي لحظاتِ الحنينِ هَوَيْنَا
بساطتنا وعشيقنا العذوبه
وها نحن نعشقُ ما تَخْلُقُ الأدميةُ فينا
ونلمُسُ أعماقنا الشاسعاتِ الرهيبةُ
وما في حماقتنا من جمالٍ شدي وُخصوبه

* * *

وَكُنَّا عَشِيقَنَا أَنْبِثَاقَ الْحَرَارَةِ فِي مُقْلَتَيْنَا
فَدَعَانَا نُحِبُّ النُّضُوبُ
وَكُنَّا هَوَيْنَا التَّوَرَّدَ وَالشَّيْعَرَ فِي شَفَتَيْنَا
فَلَمْ لَا نُحِبُّ الشُّحُوبُ
وَلَمْ لَا نَخْلَفُ رُكْنًا مِنْ الْمُقْتَرِ بَيْنَ يَدَيْنَا ؟

* * *

وَكُنَّا عَقَدْنَا الصَّدَاقَةَ بَيْنَ الْحَاسَنِ فِينَا
فَدَعَانَا تُقِيمُ أَسْسَ الْحُبِّ وَالْوَدِّ بَيْنَ الْعُيُوبِ
وَأُفْسَحُ مَكَانًا لِبَعْضِ الْحَاقَاتِ بَعْضِ الذُّنُوبِ
وَدَعَانَا نَكُنْ بَشَرًا طَافِحِينَ تَفِيضُ جَنُونًا
وَتَنْضَحُ ضَحْكًا وَدَمْعًا سَخِينَا

(١٩٥٤)

اسفار

ترجمة تصرف لقصيدة عنوانها Travel
للشاعر الانكليزي روبرت بروك
Rupert Brooke

حينَ نزلتُ (تونس) الكبيره
كُسِّرَ قلبي قطعاً صغيره

* * *

ثم استطعتُ بين نخل (البصره)
ألصاقَ قلبي كسرةً فكسره

* * *

وفي (دمشق) عاد قلبي قِطْعاً
ولاحَ عجزُ الصمغِ عن أن يَنْفَعَا

* * *

وها أنا في أرض «مصر» أعلمُ
بانَّ ما كُسرَ ليسَ يُلْحَمُ

(١٩٦٥)

نحن وجميلة

جميلة ! تبكين خلفَ المسافاتِ ، خلفَ البلادِ
وترُخينَ شعركِ كفكِ دمعكِ فوقَ الورِسادِ
أتبكين أنتِ ؟ أتبكي جميلة ؟
أما منحوكِ اللحنَ السخياتِ والأغنياتِ ؟
أما أطعموكِ حروفاً ؟ أما بذلوا الكلماتِ ؟
فقيمِ الدموعُ إذنُ يا جميلة ؟

* * *

ونحن منحنا لوصفٍ جراحكٍ كلَّ شَفَةٍ
وجرَّحنا الوصفُ ، خَدَشَ أَسْمَاعَنَا الْمَرْهَفَةُ
وأنتِ حملتِ الْقُيُودَ الثَّقِيلَةَ
وحينَ تَحَرَّقَتْ عَطَشَى الشِّفَاهِ إِلَى كَأْسِ مَاءٍ
حَشَدْنَا اللَّحُونَ وَقُلْنَا سَنُسَكِّتُهَا بِالْغَنَاءِ
ونشدو لها في الليالي الطويلة

* * *

وقُلْنَا : لقد أَرْشَفُوها الدَّمَاءَ ، سَقَوْها اللَّهْيَبَ
وقُلْنَا : لقد سَمَّروها على خَشَبَاتِ صَلِيبٍ
ورحنا نُغَنِّي لِمَجْدِ الْبُطُولَةِ
وقُلْنَا : سنُنْقِذُها ، سوف نفعلُ ! ، ثم غَرِقْنَا
وراء مَدَى «سوف» بين الحروف النشأوى وصحنا

تعيشُ جميله ! تعيشُ جميله !

* * *

وذُبُّنا غراماً يَبْسُمُها وَعَشِقْنَا الخدودُ
وأذُكى هوانا الجمالُ الذي أَكَلَتْهُ القيودُ
وهِمُّنا بَغَمَّازَةٍ وَجَدِيلَةٍ
أَمِنْ جُرْحِهَا الثَّرُّ نَطْعُ أَشْعَارِنَا بالمعاني ؟
أهَذَا مَكَانُ الأَغَانِي ؟ إِذَنْ فَاخْجَلِي يَا أَغَانِي
وَذَوِي أَمَامَ الجِرَاحِ النَبِيلَةِ

* * *

هُمْ حَمَلُوهَا جِرَاحَ السَّكَائِينِ فِي سَوْءِ نِيَّةٍ
وَنَحْنُ نَحْمَلُهَا - فِي ابْتِسَامٍ وَحُسْنِ طَوِيَّةٍ -
جِرَاحَ المعَانِي الغِلَاطِ الجَهْوَلِ

فِيهَا لَجِراحُ تَعَمُّقُ فِيهَا نُيُوبُ فَرَنْسا
وُجْرَحُ الْقَرَابَةِ أَعْمَقُ مِنْ كُلِّ جُرْحٍ وَأَقْسَى
فُوا خَجَلْتَا مِنْ جراحِ جَمِيلِهِ !

(١٩٥٨)

إن شاء الله ...

ناديتُ الوردَةَ ذات صباحٍ : « يا وردةُ إني عطشى »
فرَنتُ وانتفضتُ وابتسمتُ
وجهاً ، قلباً ، شفةً ، رِمشاً
منحتني العِطرَ ، اللونَ ، الحبَّ ، وما بخلتُ
فرشتُ لي خديَّها وحننتُ
... ..
وسألتُ حبيبي أن ألقاهُ
فتطَّلَعَ فيَّ وقال : أجل ، إن شاء الله ...

بضعة ألفاظ ثم مضى
وعدُّ منه وحماسٌ من قلبي ورَّضى
وغداً أو بعد غدٍ يحضرُ إن شاء الله ...

* * *

إن شاء الله ...
وعدُّ في شفة الزنبق غطى المرجَّ شذاهُ
وتألق فجرٍ منبثقٍ خلفاً مسافاتٍ مبهوره
ونسائمٌ تعبُّرُ في وديانٍ مسحوره
(إن شاء الله) روى أغنية طافحة وندىً وصلاه
(إن شاء الله) تساييحٌ وصدى أجراسٍ
وبشاشة كاسٍ لأمس كاسٍ
(إن شاء الله) تفجَّرُ أعيادٍ وحياءُ
وتلاقي أعنابٍ ومياهُ

* * *

(إن شاء الله) ... وسحّت أمطارٌ ثرّة
فجّرتِ العالمَ بالحضرة
(إن شاء الله) وجاشَ البحرُ وأعطانا
سمكاً ولايَ ورشاشاً رطباً أوْجَهنا ورؤانا
(إن شاء الله) وألفُ يدٍ مرّت وتيقظَ ألفُ وترُ
وتألقَ حولي ألفُ قمرُ
وأنا ما زلت أعيشُ وأحلمُ أن ألقاهُ
فمتى يُشرقُ لي فجرُك يا (إن شاء الله) ؟

* * *

(هل) و (متى) لحنُ جفونٍ ضارعةٍ وشفاه
وجواُبهما : إن شاء الله ...
هل تحضرُ ؟ هل يأتي المطرُ ؟
هل يسخو العِطرُ وينهمرُ ؟

إن شاء الله

إن شاء الله

ومتى يسري نَسْغُ السُّكَّرِ

في الرُّمَّانِ الحامضِ ؟ والفجرُ متى يظهر ؟

والشاطيءُ بعدَ ضنى الأسفارِ متى سنراه

إن شاء الله ؟

حدود الرجاء

« في انتظار إعلان الوحدة
الثلاثية سنة ١٩٦٣ »

كنا نراها في ضباب الكرى
ملفوفة أهيكل بالستحيل
كنا شفاها عطشت والتظت
وكان مرآها يُروّي الغليل
كنا ملالين نُعاني اللظى
وظلّها فوق مُنانا ظليل

وكانتِ الأحلامُ تُلقِي بنا
في كلِّ فجرٍ فوقِ صحوٍ ثَقِيلٍ

* * *

وكم عَبرنا نحوها من مَدَى
الرَّيحِ فيه تَلْتَقِي بالأنسِ
دماءُ مقتولينَ من يَغرِبِ
تَضَجُّ في أعماقِ ليلٍ حزينٍ
وموكبُ يُعقبهُ موكبُ
من شُهداءٍ سقطوا هاتِفِينَ
يا صَوْتَهَا ، يا وَجْهَهَا ، يا أَسْمَهَا
إِبقِي ضياءَ يتحدَّى السنينِ

* * *

الوحدةُ الكبرى شَدَوْنَا بها
ونحنُ في المهدِ صغارُ المني
وكم بَنِينَا صَرَحَهَا المَشْتَهَى
على تلالِ الرَّمْلِ في أُمْسِينَا
وكم حَسِبْنَا أَنَّهَا قد دَنَتْ
مَنَا فأخفى ضوءَهَا المنحني
وجهُ سَرَآبِي السَّنَا كم هَوَى
كلَّ رجاءٍ دُونَهُ مُشْخَنَا

* * *

من دونها يَضَعْنَا فلا زَهْرَةٌ
توقظُنَا أَشْدَاؤُهَا السَّارِيَةُ
لا تَقَمُّ يُسْعِدُ أرواحَنَا
لا تَهْرَ يروينا ولا سَاقِيَةُ

لا نخلةٌ تضحكُ في أرضنا
لا زارعٌ يُنشدُ لا راعيهِ
جفّت أراضينا وأشجارنا
وارتحلتْ أطيّارنا باكِيهِ

* * *

نحنُ عَبرنا كلَّ أفقٍ نأى
نبحثُ عنها عن شذّاها الجميلِ
عن لونها عن روحها عن صدَى
منها يُدوي في السكونِ الثقيلِ
واليومَ جئنا أرضَها وانطوى
ذاك المسيرُ المدهمُ الطويلُ
وانصرمتْ تلك السنينُ التي
تأهت خطاها في ضبابِ العويلِ

* * *

واليومَ حانَ الفجرُ يا أمّتي
فنحنُ قاربُنا حدودَ الرّجاءِ
تلاهُما تبدو وراءَ المدى
مُغرّقةٌ في غمرةٍ من ضياءِ
الوحدةِ الكبرى دنا ركبُها
منا فيا بُشرى الشِّفاءِ الظِّباءِ
يا فرحةَ السارينَ تحتَ الدُّجى
قد لاحتِ الدارُ وحانَ اللقاءُ

(١٩٦٣)

الوحدة العربية

« عند إعلان ميثاق الوحدة الثلاثية
من القاهرة في ١٧ نيسان ١٩٦٣ »

يا صميم الدُّجى الذي أسدلَ السِتُّ
رَ على بيدِنَا الرِّحَابِ النقيَّةُ

يا جراحَ التقسيمِ ، يا عارَ إسرا
ثيلَ في جبهة الصَّحَارَى الأبيَّةُ

يا مسيلَ الدماء من عُنُقِ المَو
صلِ باسمِ السلامِ وأُحرِيَّةِ

يا صراخَ الجنوبِ من أرضنا المَشْهُ
سبعةِ الرَّمْلِ بالدماءِ الشَّدِيَّةِ
يا سنيناً مقتولةً في ثرىِ ثا
ريخينا لم تزلْ رؤاهما طريَّةُ
يا قبوراً تضمُّ قَتْلَى عِطَاشاً
فوق أرضِ الجزائرِ العبقريَّةِ
يا مُنى أُمّتي جميعاً ، ويا آ
مالها يا أحلامها المَطْوِيَّةِ
إستفيقي من الكرى إنَّ فجرأ
قد أطلَّت أضواءه الزنبقيَّةُ
حزَمٌ من سعادةٍ وضياءٍ
دَفَقَتْ في الدِجَاجِ الغَيْبِيَّةِ
طوتِ النيلَ واحتوت برَدَى وأح
تَضَنَّتْ دجلةٌ بكفٍّ نديَّةِ

لأنها ساعة المدي أعلنت دق
لأنها فجر أمتي العربية

* * *

كم حلمنا بوحدۃ العرب الكب
رى وهمنا بفجرها الوضاء
كم شدونا بها ، عروبتنا ظم
لأى إليها تظل دون ارتواء
ورأينا ديارنا مزقاً دا
مية الرمل ، فى يد الأعداء
لم يعد زهرها الطرى المندى
عربي الألوان والأشذاء
وانحنى النخل واجماً خجل الخض
رة بعد انتصاية الكبرياء

وخرجنا مُشرِّدينَ فمن صحَّ
راءَ ممتدَّةٍ إلى صحراءِ
وتركنا أنهارنا تسكُّبُ الما
ءَ رحيقاً في أكـوـس الغرباءِ
ثم جاء الضياءُ وافترَّ فجرُ
عنبريَّ الشُّعاعِ عبْرَ الفضاءِ
في سكونِ الصباحِ جلبلتِ السـا
عةُ مِلءَ المهامِ السمراءِ
تُعلنُ الوَحْدَةَ الكبيرةَ ضوءاً
وسلاماً في ليلةٍ ليلاءِ
أعلنتها أمنيَّةُ العربِ الكبـ
رى وحُلْمُ الأجدادِ والآباءِ

* * *

واستفاقت بغدادُ نشوى تُغني
 وهي تسقي ورودَ أجملِ فجرِ
 خَفَقَتْ في سماءها رايةُ الوحْ
 دةِ يا للْحُلْمِ الجميلِ النضرِ
 قلبها قلبها المشوقُ إلى مضِ
 رٍ طويلاً قد ضمَّ تربةَ مصرِ
 والتقتُ كفها بكفي دَمَشقِ
 في صباحِ العروبةِ المفترِ
 انه الصبحُ جاء فاستقبلتهُ
 في أشدِّ اعتناقةٍ وأحرَّ
 جاء بالرايةِ المثلثةِ الآنِ
 جمرِ يحو عارَ السينينِ الحمرِ
 وييمناهُ وردةُ بضّةِ المذِ
 مسرٍ رِيّا البياضِ نشوى العِطرِ

هي مِنْهُ تَحِيَّةٌ لِلَّذِينَ اسـ
تَشْهَدُوا أَمْسَ فِي إِبَاءٍ وَكَبَرِـ
أَيُّ بَغْدَادُ أَيْقَظِي كُلَّ مَنْ مَا
تَ شَهِيداً عَلَى نَشِيدِ النَّصْرِـ
أَنْبَاءِهِ بَانَ وَحَدَّثَهُ قَا
مَتَ وَضَمَّتْ مِنْ أَرْضِهِ كُلَّ شَبْرِـ
طَلَعَ الْفَجْرُ مِنْ وَرَاءِ الدِّيَاجِي
يَا عَيُونََ الشَّهِيدِ نَامِي وَقَرِّي

* * *

أَنهَا الْوَحْدَةُ الْكَبِيرَةُ جُعْنَا
لَشَذَاهَا. مَدَى قُرُونٍ طَوَالِـ
أَشْعَلَ الشُّوقُ حُبَّهَا فِي صَحَارِيـ
نَا وَحَنَتْ لَهَا شِفَاهُ الرِّمَالِ

كم شهيد من يعرب مات عطشا
نـ اليها ممزق الآمالـ
ضيّع الحلم في مكانٍ سحيقـ
بين لفظ اسمها وبين المحالـ
يا حنين الأجداد يا شوق أمي
يا سنين الضياع والأغلالـ
فجرنا لاح فلتنم حرقه الأشـ
واقـ وليسترح جنون السؤالـ
فجرنا لاح أيضا عرييا
أطلعتُهُ في الأفق كفا (جبال)
ناصر الحق والعروبة أحيى
كل حلم مقطّع الأوصالـ
لم تَمَلَّ الرمال في أرضنا السمـ
راء بعد التمزيق والإذلالـ

ودعا النّومَ فاستحالَ حياةً
تتلظى بالخصب والإنتعاش
ثم أهدى ديارنا الوحدة الكبر
رى فوجي يا أرضنا واختالي

(١٩٦٣)

اغنية ليالي الصيف

يا هدوءاً مطمئناً
يا فضاءً مريحاً لدنّ البريقِ
يشربُ الأنجمَ كأساً من رحيقِ
يا رؤىً تقطرُ لونا

* * *

أنتِ عطرٌ ونعومةٌ
وحفيفٌ وانحداراتٌ أشعه
ونجومٌ عكستُ في عمقِ ترعه
وأناشيدٌ رخيمه

* * *

أنتِ ينبوعٌ سكونِ
وحماساتٌ وعطرٌ وبروده
يا وِسَادَ الأنجمِ الجذلي البعيده
يا مَصَبَّاءَ للحنينِ

* * *

أَيَّ بَرْدٍ وَلُيُونَةٍ
يَا شَفَاهَا قُرَيَّاتُ الْقُبَلِ
تَنْثُرُ الْأَنْدَاءَ أَقْدَاحَ عَسَلٍ
فَوْقَ أَشْجَارِ الْمَدِينَةِ

* * *

أَيَّ نَهْرٍ مِنْ عَطُورٍ
فِي شَذَاهُ مُسَبِّحٌ لِلْقَمَرِ
وَعِذَاهُ لِلرَّوْىِ وَالسَّمَرِ
وَرَحِيْقٌ لِلشُّعُورِ

* * *

أنتِ للأحلام مأوى
يا ملاذاً بارداً عذباً الجوارِ
لحدودٍ حَمَلْتُ عبءَ النهارِ
وأَتَتْكِ الآنَ نشوى

* * *

اغمريني بالظلالِ
واحملني روعي على أعطارِ نسمة
وامنحني خدي وساداً عند نجمة
يا ليالي يا ليالي

* * *

وَإِذَا نَمْتُ فَمُدِّي
بِرَدِّكَ الْمُنْعِشَ وَالْعِطْرَ سَرِيرًا
وَأَسِيلِي الْقَمَرَ الْعَذْبَ غَدِيرًا
وَلِيَكُنْ لِيُنْكَ مَهْدِي

* * *

وَأَمْنَحِينِي أَلْفَ حُلْمٍ
مِنْ لَيْلٍ غَسَقِيَّاتِ الْغُلَّالِ
شَرِبَتْهَا فَرَحَتِي حَتَّى الثَّمَالِ
فَهِيَ قِيثَارِي وَكَرْمِي

(١٩٥٢)

النهر العاشق

« نظمها الشاعرة خلال الفيضان
الرهيب عام ١٩٥٤ »

أين غمضي ؟ انه يعدو إلينا
راكضاً عبرَ حقول القمح لا يُلوي خطاهُ
باسطاً ، في لمعة الفجر ، ذراعَيْهِ إلينا
طافراً ، كالريح ، نشوانَ يدهُ
سوف تلقانا وتطوي رُغْبَنَا أنِّي مَشِينَا

* * *

انه يعدو ويعدو
وهو يجتازُ بلا صوتٍ قُرَّانا
ماؤه البنيّ يجتاحُ ولا يَلُويهِ سَدٌّ
إنه يتبعنا لهفانَ ان يَطْويْ صَبانا
في ذراعَيْهِ وَيَسْقِينَا الحنانا

* * *

لم يَزَلْ يتبعنا مُبْتَسِماً بِسْمَةِ حَبٍّ
قدماهُ الرّطبتانِ
تركتُ آثارَها الحمراءَ في كلِّ مكانٍ
انه قد عاثَ في شرقٍ وغربٍ
في حنانٍ

* * *

أين نعدو وهو قد لفَّ يَدَيْهِ
حولَ أكتافِ المدينة ؟

انه يعملُ في بطءٍ وحزْمٍ وسكينه
ساكباً من شفتيه
قبلاً طينيةً غطتُ مراعيئنا الحزينة

* * *

ذلكَ العاشقُ ، إنا قد عرفناه قديماً
انه لا ينتهي من زحفه نحو ربانا
وله نحنُ بنيُّنا ، وله شدنا قُرانا
انه زائرنا المألوفُ ما زالَ كريماً
كلَّ عامٍ ينزلُ الوادي ويأتي للِقانا

* * *

نحن أفرغنا له أكواخنا في جُحج ليلٍ
وسنؤويه ونمضي
انه يتبعنا في كل أرضٍ

وله نَحْنُ نَصَلِّي
وله تُفْرِغُ شَكْوَانَا مِنَ الْعِيشِ الْمَمْلُ

* * *

انه الآنَ إِلَهُ
أو لم تَغْسِلْ مَبَانِينَا عَلَيْهِ قَدَمَيْهَا
انه يعلو وَيُلْقِي كَنْزَهُ بَيْنَ يَدَيْهَا
انه يَمْنَحُنَا الطِّينَ وَمَوْتًا لَا نَرَاهُ
من لنا الآنَ سِوَاهُ ؟

(١٩٥٤)

المدينة التي غرقت

« مرثية لبغداد الجديدة التي
أغرقها فيضان عام ١٩٥٤ »

وراء السِداد التي ضَمَدُوا جُرْحَهَا بِالْحَصِيرِ
وخلفَ صُفوفِ الصَّرَائِفِ حيثَ يعيشُ الهَجِيرُ

* * *

يسيرُ طريقُ تدَثَّرَ بالطِينِ نحوَ المدينة
وأطلالِها حيثُ باتَ يعيشُ اصفرارُ السكينة

* * *

وحيثُ الشوارعُ باتتُ وحولاً ومُستنقعاتُ
وكانتُ تجيشُ وتزخرُ ساحاتها بالحياةُ

* * *

وكانتُ تهشُّ وتضحكُ للشمسِ كلَّ صباحُ
فباتتُ يعششُ فيها الدُّجى وصفيرُ الرِّيحِ

* * *

وكانتُ منازلها المرحاتُ تُتلاقى القمرُ
بضحكٍ نوافذها فاستكانتُ وصاحَ القدرُ

* * *

وجاء الخرابُ ومددَ رجليه في أرضها
وأبصرَ كيف تنوحُ البيوتُ على بعضها

* * *

وحدّق فيها وأصغى إلى الصَرَخَاتِ الْآخِرَةِ
لِسَقْفِ هَوَاىَ وَتَدَاعَى وَشَرْفَةِ حُبِّ صَغِيرَةٍ

* * *

وَأَرْسَلَ عَيْنِيهِ فِي نَشْوَةٍ يَرْمُقُ الْآبْنِيَةَ
وَقَدْ رَكَعَتْ فِي هَوَانٍ ذَلِيلٍ بَلَا مَرِثِيَةَ

* * *

وَجَاءَ الْخِرَابُ وَسَارَ بِهَيْكَلِهِ الْأَسْوَدِ
ذِرَاعَاهُ تَطْوِي وَتَمْسَحُ حَتَّى وَعُودَ الْغَدِ

* * *

وَأَسْنَانُهُ الصُّفْرُ تَقْضِمُ بَابًا وَتَمْضَغُ شَرْفَةً
وَأَقْدَامُهُ تَطَا الْوَرْدَ وَالْعُشْبَ مِنْ دُونِ رَأْفَةٍ

* * *

وسار يرش الردى والتاكل ملء المدينة
يخرّب حيث يحل وينشر فيها العفونه

* * *

وفي الليل حين يجيء الشدى وضياء القمر
يهب الخراب ويضحك نشوان بين الحفر

* * *

ويرسل ضحكته العصيّة ملء الفضاء
فتنفر منه النجوم ويثقل مس الهواء

* * *

وتنمو الخشونة حيث يلامس وجه التراب
وتنبت أقدامه طحلياً لزجاً وذباب

* * *

ويأتي الصبحُ ويختبئ الغولُ في مكنٍ
وتخفيه مُستنقعاتُ فِساخٍ عن الأعينِ

* * *

وتصحو المدينةُ ظمأى وتبحثُ عن أمسيها
وماذا تبقى سوى الموتِ والمِلحِ في كاسِها ؟

(١٩٥٤)

الشيخ ربيع

« ترجمة تصرف عن الشاعر
الفرنسي بروسير بلاتشين »

أنه الشيخ ربيع
ذلك الشيخ المرح
ذو الثياب الخضراء والوجه البديع
والجبين المنشرح
كلما طافت خطى نيسان بالدنيا أطلا
من كوى غرفته عذبا طروبا
هاتفا : « أهلا ، وسهلا ... »

مرحباً نيسانُ ! قد حانَ لنا أن نظهرا
ونجوبَ الأرضَ ودياناً وييداً وسهوباً
في رداءٍ أخضرٍ .

* * *

أيها الشيخُ ربيعُ
أيها الشيخُ ربيعُ
عدُ إلينا واطلْ مكثكَ فينا
عد إلينا أيها الشيخُ ربيعُ

* * *

هذهُ خطوةُ نيسانَ على وجهِ الحقولِ
شربتُ أولَ بَسمه
من شفاءِ الشمسِ ، والفجرُ على صدرِ السُّهولِ

لم يَزَلْ يُسْقَى نَدَى الليل ، وفي الغابات نَسْمه
نقلتُ إنشادَ عصفورٍ صغيرٍ :
« عِمُّ صباحاً أيها الضوء ... » وردَّ الآخرونُ
« حانتُ اليقظةُ فلنمرحُ رِفَاقِي
في حمى الغابِ النضيرِ
ولنُغَنَّ الفجرَ والشمسَ وأعناقَ الغصونِ
وظلالَ الغابِ حتى تشتكي منّا السَّواقي . »

* * *

أيها الشيخُ ربيعُ
أيها الشيخُ ربيعُ
عدُّ الينا وأطلْ مكثك فينا
عدُّ الينا أيها الشيخُ ربيعُ

* * *

ويردُ الشيخُ من غرفتهِ عذبَ المَرَحِ :
 يا عَصافيري لا تَعْجَلْنَ إِنِّي أَتَزِينُ
 بعد حينٍ أرتدي ثوبي الملوّنُ
 كلُّ لونٍ فيه من قوس قزَحُ
 كلُّ خيطٍ وَتَرٍ من أغنيةِ
 كلُّ زرٍّ ورْدَةٍ منتشيه
 أمسِ أعطانيه خياطي ، لماذا
 تتعجلنَ خروجي ؟ عَجَباً ما سرُّ هذا ؟

* * *

أيها الشيخُ ربيعُ
 أيها الشيخُ ربيعُ
 عدُ الينا وأِطلْ مكثك فيها
 عدُ الينا أيها الشيخُ ربيعُ

* * *

وأخيراً ها هو الشيخُ ربيعُ
يتمطّي قائماً ثمّ يسيرُ
ويداه تنثرانِ الورْدَ في المرج البديعُ
فوق أعشاش العصافير ، على شطّ الغديرِ
وله نعلانِ لا مسّارَ في كعبيهما
بل أزاهيرُ وأوراقُ ، ومن لونيها
تشرب الشمسُ وتسقي المغرباً
قبلَ أن تلوي خطاها وتضيعُ
في الذُرَى خلفَ الرُّبَى

* * *

أيها الشيخُ ربيعُ
أيها الشيخُ ربيعُ
عدّ إلينا وأطلّ مكثكَ فينا
عد إلينا أيها الشيخ ربيعُ

(١٩٥٢)

للبحث

أنا غَنَيْتُ للظِّلِّ لالِ وأَعْطَيْتُ
تُ هَوَايَ المَقْتُونَةَ للأشباحِ
وعَبَرْتُ الحَيَاةَ وَشَنَى وَشَيْدَ
تُ قَلَاعاً جُذْرَانَهَا من رِيحِ
وَعَصَرْتُ الأوهَامَ في قَبْضَتِي حَيْدِ
نَا وأَهْدَيْتُ للطُيُوفِ صَدَاحِي
وأخيراً أَتَيْتَ أَنْتَ وَأَسْلَمْتُ
تَ كَوْوَسِي إِلَى شِفَاهِ الصَّبَاحِ

تَغْمِي كَانَ جَدُولًا سُكَّرِيًّا الْ
مَاءَ يَنْسَابُ لَيْسَ يَسْقِي الْعِطَاشَا
ضَنْ أَنْ تَسْبِجَ الْعَصَافِيرُ فِيهِ
وَأَهَانَ الضُّحَى وَصَدَّ الْفَرَّاشَا
وَوَرُودِي لَمْ تَرْحِقًا عَيْرِيَّ
أَ وَآلَتْ لَا تَمْسَحُ الْأَحْرَاشَا
خَزَنْتُ فِي عُرُوقِهَا قَطَرَاتِ الْ
عِطْرِ بَخْلًا بِشَهِدَا وَإِنْكَاشَا

* * *

أَنْتَ فَجَّرْتَ أَغْنِيَاتِي يَنْبُو
عَ حَنَانٍ مَشُوقَ الْقَطَرَاتِ
الْفُقَاعَاتُ فِيهِ ضَاقَتْ بِمَا يُثْ
قَلُّهَا مِنْ حَرَارَةٍ وَحَيَاةٍ

بَحَّتْ فِي تَحْرِقٍ وَارْتَعاشٍ
عَنْ شِفَاهٍ أَوْ أَعْيُنٍ عَطِشَاتٍ
لَتَصُبَّ الصَّبَاحَ فِيهَا وَتَسْقِي
هَا كُؤُوساً مَشْغُوفَةً الْخَافَاتِ

* * *

وَرُودِي الَّتِي تَغْصُّ بِمَا فِي
هَا مِنَ الْعِطْرِ وَالرَّحِيقِ الثَّمِينِ
أَنْتَ أَخْبَلْتِ فِي تَوَجُّهِهَا الْخَصْ
بِ عُبُودِيَّةِ الْعَبِيرِ السَّجِينِ
أَنْتَ عَلَّمْتِ عِطْرَهَا سَكْرَةَ التَّجْدِ
وَالِ عِلْمَتَهَا اشْتِعَالَ الْحَنِينِ
أَنْتَ نَبَّهْتَ غَفْوَةَ الْفُلِّ فِي حَقِّ
لِي وَبُخْلَ الْبِنْفَسِجِ الْمَفْتُونِ

* * *

أنا أغلقتُ بابَ قلبي على كلِّ
جمالٍ وكلِّ خُلجَة شوقٍ
وجعلتُ الهوى المزنّيق سراً
ضائع الحدِّ في امتدادٍ وعمقٍ
يا لسرٍّ - غديتُ كتمانهُ قلـ
بي، دمي، كلُّ قطرةٍ، كلُّ عرقٍ
خفتُ أن يחדشَ النهارُ حواشيـ
ه فابقيتُهُ رهينةَ رِقِّ

* * *

ذلكَ الحبُّ لم أحدثُ به قطـ
غديراً أو ربوّةً أو حقلاً
لم أصفه لتسلّةٍ تطعمُ اللـ
لكَ من قلبها وتسقي الظلاـ

غرّت أن تعرفَ العَصَافِيرُ أسرا
ري فأسلمتها السكونَ المِلا
لم أقلُ للغديرِ إنَّكَ أَصْفَى
وكتمتُ الضياءَ أنَّكَ أَغْلَى
* * *

يا هوىَّ ظِلِّ شاحبٍ الخدَّ خجلا
نَ من الشمسِ خائفَ الألحانِ
يتوارى عن النجومِ ويُخفي
وجنَّهَ عن زنابقِ الغُدرانِ
ألحدتُ ذكرياتَهُ بخيرِ الـ
جدولِ العَذْبِ وانفعالِ الأغاني
وبنى الصمتَ معبداً كَفَّرَ المر
مرُّ فيه ولاذَ بالكِتمانِ

* * *

أنا لولاك كنتُ ما زلتُ سرّاً
خافتَ اللحنَ باهتَ التلوينَ
أنتَ حرّرتَ ذلكَ الوَلَهَ الخَصَّ
بَ وأُخجلتَ فيه ذُلَّ السكونِ
جئتُ كالضوءِ فأنحني لكَ قيدي
وتلاشى توحشي وجنوني
وأفاقَ الشعورُ ينفُضُ عارَ الـ
صمتِ عن سرِّ قلبي المكنونِ

* * *

أنتَ علّمتَ قلبي المَطْبِقَ الكفَّ
سخاءَ الندى وبذلَ اللهبِ
أنتَ صيّرتني هُتافَةَ حَبٍّ
ثَرَّةَ الوقعِ بعدَ طولِ نُضوبِ

أنا غنيتُ بِاسْمِكَ العَذْبِ فِي كُلِّ
انْحِنَاءٍ وَمُفْرَقٍ مَوْهوبِ
لَا تَلْمِني إِذَا مَلَأْتُ بِكَ الذِّ
يَا فَصَاحَتُ مَعِي: حَبِيبِي، حَبِيبِي!

(١٩٦٢)

اغنية لطفلي

ماما ماما ماما ماما ماما
براقُ الحلوُ اللثغةِ يَنُوي النوما
والنومُ وراء الربوة هيباً حلماً
والحلمُ له أجنحةٌ ترقى النجماً
والنجمُ له شفةٌ ويحبُّ اللثما
واللثمُ سيوقِظُ طفلي :

ماما ماما

* * *

يايا يايا يايا يايا يايا

براق الغافي الساهي يسرق قلبا
والقلب سيمرع ينبت وردا رطبا
والورد يرش المهد أريحا عذبا
وأريج الورد لعوب يهوى الوثبا
والوثب سيقظ طفلي :

يايا يايا

* * *

دادا دادا دادا دادا دادا
الحقل مشوق للخضرة لا يهدأ
والخضرة خاوية لا تملك وردا
والورد إلى الحمرة مرتعش وجدا

والحمة عند صغيري ثغراً خدّاً
وسيصحي الورد صغيري :

دادا دادا^(١)

(١٩٦٣)

(١) (ماما) تقرأ هكذا : « مَمّا » كما ينطقها الطفل العراقي وبذلك
تجانس القوافي التالية . وكذلك (بابا) و (دادا) .

إلى وردة بيضاء

كنز البرودة والرحيق ونخب اللين العطر
يا من عصرت من الثلوج من الحليب من القمر
يا ضوء خد من حرير أبيض ملء النظر
بيضاء يا ملقى فراشات الربيع المنتظر
الشمس ودت لو سقيت ضياءها منحا آخر
والفجر تابعك الأمين يريق ظلك في النهر
يا ملقى حب السواقي والقنابر والشجر
واحسرتاه على البشر

مرّوا بكتك سائلين
مسكينة ما تملكين ؟

* * *

بيضاء : نحن أنا وأنت سنكتم السرّ المشير
سرّي وسرك لن نبوح به إلى الركب الضرير
ماذا ملكنا ؟ لا ضياع ولا عبيد ولا قصور
لا شيء إلا رعدة القمر المرنح في الغدير
وغناء أنسام المساء المخمليات المروور
وصداقة العصفور والفجر الملوّن والعبير
ومودة الشمس الحنون وقبلة المطر الغزير
ووساد أعشاب وثير

وارحمتا للسائلين
وسؤالهم : ما تملكين ؟

(١٩٥٢)

الى الشعر

من ببحور المعابد في بابل الغابرة
من ضجيج النواعير في فلوات الجنوب
من هتافات قمرية ساهره
وصدى الحاصدات يغنين لحن الغروب
ذلك الصوت ، صوتك سوف يؤوب
لحياتي ، لسمع السنين
مُتخناً بعبير مساء حزين
أثقلته السنايل بالأرج النشوان ،

بصدى شاعري غريب
من هتافاتِ ضفدعةٍ في الدجى النعسان
يملاً الليلَ والغدران
صوتها المتراخي الرتيب

* * *

ذلك الصوتُ ، صوتك سوف يؤوب
لحياتي ، لسمع المساء
سيؤوبُ وأسمعُ فيه غناء
قري العذوبة فيه صدى من ليالي المطر
من هدوء غصون الشجر
وهي تمتص سكرى ، رحيق السماء
الرحيق الذى عطّرتهُ الغيوم
بالرؤى ، بتحايا النجوم

* * *

ساجوبُ الوجودُ
 وساجمَعُ ذرّاتِ صوتِكَ من كل نبعٍ برودُ
 من جبال الشّمالِ
 حيث تهمسُ حتى الزنايقُ بالأغنياتُ
 حيث يحكي الصنوبرُ للزّمانِ الجوّالِ
 قصصاً نابضاتُ
 بالشّذى ، قصصاً عن غرامِ الظلالِ
 بالسواقي ، وعن أغنياتِ الذئابِ
 لمياهِ الينابيعِ في ظلالِ الغاباتِ
 عن وقارِ المراعبي وفلسفةِ الجدولِ المنسابِ
 عن تخروفي يحسّ اكتئاباً عميقاً
 ويقضي النهارُ
 يقضمُ العُشبَ والأفكارُ
 مُغرّقا في ضبابِ وجودٍ سحيقٍ

* * *

وساجعُ ذرّاتِ صوّتكِ من ضحِكَاتِ النعيمِ

في مساءٍ قديمٍ

من أماسيٍ دِجَلَةٌ يُثْقَلُ أجواءُهُ بالحنينِ

مرحُ الساهرينِ

يرشفونَ خيرَ المياهِ

وهي ترطمُ شاطئَهُمُ ، وضياءُ القمرِ

قمرِ الصيفِ يملأُ جوَّ المساءِ صَوْرَ

والنسيمِ يمرُّ كلّسٍ شِفاهِ

من بلادٍ آخرِ

ليلةُ شهرزاديّةِ الأجواءِ

في دجاها الحنونِ

كلّ شيءٍ يُحسُّ ويحلمُ حتى السكونُ

ويهمُّ بحبِّ الضياءِ

* * *

وسأسمعُ صوتكَ حيثُ أكونُ
في انفعال الطبيعة ، في لحظات الجنون
حينَ تُثقل رجَعُ الرُّعودُ
ألفُ أسطورةٍ عن شبابِ الوجودِ
عن عصورٍ تلاشتُ وعن أممٍ لن تعودُ
عن حكاياتِ صبيانٍ (عادُ)
لصبايا (ثمودُ)
وأقاصيصَ غنّتُ بها شهرزادُ
ذلك الملكَ المجنونُ
في ليالي الشتاءِ
وسأسمعُ صوتكَ كلَّ مساءٍ
حينَ يغفو الضياءُ
وتلوذُ المتاعبُ بالأحلامُ
وينامُ الطموحُ تنامُ المنى والغرامُ

وتنامُ الحياةُ ، ويبقى الزَّمانُ
سَاهراً لا يَنَامُ
مثل صوتك ، ملء الدُّجى الوَسنانُ
صوتك السَّهرانُ
في حنيني العميق
صوتك الأبديّ الذي لا يَنَامُ
فهو يبقى معي سهرانُ
وأحسُّ صداهُ الملوّنَ يملاً كل طريقُ
بالشَّذى بندى الألوانُ
صوتك المجهولُ
أنا أدركتُ - يا فرحتا - سرّهُ المَعسُولُ
أنا أدركتُهُ أنا وَحْدِي وصمتُ الزَّمانُ

(١٩٥٠)

النهر المغني

« ترجمة لقصيدة عنوانها Avoca
للشاعر الانكليزي المعاصر كريسمس
مفريس » .

وراء انعطافِ الرُّبى والسُّفوحِ
هنالك نهرٌ شجِيّ الضفَّتَيْنِ
يغني الدُّجى وتحفّ الظِّلالُ
إلى شطّاه من كلا القمّتينِ
على قدَمَيْنِ من الياسمينِ
حَمَلْنَ اليه هَوَى التّلتَيْنِ

وَبَلَغْنَهُ قُبُلَاتِ السُّفُوحِ
وَرُبَّ حَنِينٍ بَلَ شَفَتَيْنِ

* * *

هَنَالِكَ نَهْرٌ يَسِيلُ بَعِيداً
وَيَنْصُبُ أَشْرَاكَهُ لِلْقَمَرِ
وَيَرْكُضُ ، نَعْلَاهُ مِنْ فِضَّةٍ
وَمِنْ قَطَرَاتِ نَدَىٍّ مِنْ زَهَرٍ
يَخْفُ إِلَى الْبَحْرِ فِي لَهْفَةٍ
وَيَبْحَثُ فِيهِ عَنِ الْمُسْتَقَرِّ
لِيَلْقَى شَوَاطِيءَ مَسْحُورَةٍ
مَبْلَلَةً بِرَشَاشِ الْمَطَرِ

* * *

هَنَالِكَ نَهْرٌ يَغْنِي الْمَسَاءَ
بَارِدِيَّةٍ مِنْ بَرِيقِ النُّجُومِ

يَغْنِي وَلَيْسَ سُدىً مَا يُغْنِي
فَخَلْفَ الدَّجَى وَوَرَاءَ الْغُيُومِ
يُشِيرُ الصَّبَاحُ نَدَى الذِّراعِ
إِلَى الْفَجْرِ خَلْفَ الرَّبَى وَالتُّخُومِ
لِيَفْتَحَ أَبْوَابَهُ الْغَافِيَاتِ
وَيَسْمَعَ هَذَا النِّشِيدَ الرَّخِيمَ
(١٩٥٢)

ثلاث أغنيات شيوعية

- ١ -

إذا نَزَلَ الليلُ هذي الروابي فقم يا رفيقُ
نراقبُهُ من ثقوبِ الدُّجى في السُّكون العميقُ
لعلَّ الظلامَ يُعدُّ مؤامرةً في الخفاءِ
ويحبكُها مع ضوء النُّجوم وصمتِ المساءِ
فهذي الروابي وذاك الطريقُ
وهذا الدُّجى ، كلُّهمُ عملاءُ

* * *

وسوف نفتشُ حتى الأريجَ وحتى المطرَ
تقلبُ حتى خيوطَ الضياءِ ولونَ الزهر
ونفضحُ ما دبّرتُ كلَّ جاسوسةٍ زنبقه
وما روجتُهُ العصافيرُ بالرقصِ والزقزقة
ولنا لنعلمُ أن القمرَ
تأمرَ فلننصبِ المشنقه

* * *

رفيقي تعالَ لنسحقَ رجعيةَ الياسمينِ
وتزويرَ سوسنةٍ نذلةٍ وعريشَ لعينِ
وتلكَ الينابيعُ أن دسائسها أبدية
وهذا الأصيلُ يُذيعُ أراجيفه الغسقية
حذارِ رفيقي فللوردِ دين
وهذا الشذى روجهُ عريته

تَحِيَّةٌ شَقَائِقَ النُّعْمَانِ
يَا أَخْتَنَا الْحَمْرَاءُ
يَا شَفَةَ سَاخِنَةِ الْأَلْوَانِ
مُتْرَعَةً دِمَاءُ

* * *

أَخْتَاهُ أَنْتِ أَشْرَفُ الْوُرُودِ
رَمَزَ الدَّمِ الْمُرَاقِ
يَا لَوْنَ مَا نُضْمِرُ مِنْ حُقُودِ
مُحْرِقَةِ الْأَشْوَاقِ

* * *

وَرَدَتْنَا الشَّرِيفَةَ الْحَمْرَاءُ
يَا رَايَةَ الْكِفَاحِ

يا حُمرَةُ القُتْلِ لكِ الدِّمَاءُ
فاغرة الجراحُ

* * *

ان تظماي فبالدم المنعش
أختاهُ لا نبخلُ
هيهات يا حمراءُ ان تعطشي
وتمّ من تقتل

* * *

من أجل هذا اللون نُجري النجيع
جداولا تنشالُ
وباسمه تقتلُ حتى الربيعُ
ونذبحُ الأطفالُ

* * *

يا شَفَاةً تَلَمَّظَتْ بِالدَّمِ
يا غَلَّةً مُحْرِقَةً
بِحَقْدِنَا تُقْسِمُ أَنْ تَسْلِمِي
يا وَرْدَةً الْمُشْنَقَةِ

* * *

والآن جئنالكِ به فاحتسي
من لونه المغري
دمٌ كثيرٌ فاشبّعي وانعسي
يا أختُ واحمري

- ٣ -

ظلمةٌ ، وخزٌ ، صراخٌ في وجودي
الرياحُ السودُ مليحٌ في دمي فوقَ خدودي

خنْجَري أَعْمَدُهُ فِي رَيْتِي هَذَا الْغُلَامُ
وَجَزَزْتُ الْوَرْدَ مِنْ خَدَّيْهِ حَبًّا لِلسَّلَامِ .
فَإِذَا أَشْلَاؤُهُ تَصْحُو وَتَحْيَا مِنْ جَدِيدِ
وَأَرَاهُ بِاسْمِ مُنْتَصِبًا تَحْتَ الظَّلَامِ
وَمِنْ الْآفَاقِ يَنْهَالُ دَوِيُّ
عَرَبِيُّ عَرَبِيُّ عَرَبِيُّ

* * *

ثُمَّ مَاذَا ؟ أَصْبَحَ الدَّرْبُ أَعَاصِيرَ وَقَصُفَا
الْغُلَامُ الْأَرَعْنَ الْغَادِرُ قَدْ أَصْبَحَ أَلْفَا
هَبَطُوا لَمْ أَذِرْ مِنْ أَيْنَ : صَبَايَا وَشَبَابَا
أَوْجَهُ أُسْقِيَتِ السُّمْرَةُ وَالشَّمْسُ شَرَابَا
بَدَّلُوا أَمْنِي شُكُوكًا وَمَحَازِيرَ وَخُوفَا

وتهاوي حُلُمي الأحمرُ للأرض تُراباً
لاعناً تسعين مليونَ محياً
عريّاً عريّاً عريّاً

١٩٥٩

ألو هيسون

إن خَبَتُ أعينُ النجومِ وسجَّتْ بَسْمَةُ القمرِ
واختفتْ خُضْرَةُ الكرومِ وذوى الوردُ وأنتثرُ

كنتِ لي أنتِ كوكبا مُخْمَلِيَّ الـ
لمسِ ينثالُ نُبْعَ عطرٍ وضوءِ
كان لي من بريقِ عينيكِ لونُ الـ
قَمَرِ اللَّذَنِ في ليالي الدِفءِ

كانت وحيي حكاية منك فيها
من شذى الورد ألف شيء وشيء

كنت لي أنت يا بنفسي فجد
رََّ جَمالٍ مُطْلَسٍ غير مرئي

وإذا أطفأ الزمان كلَّ حبٍّ حملته
وطوت ظلمة المكان كلَّ ضوءٍ شربته

كانت لي من صفاء وجهك بدء
لأغاني حُبٍّ وحبٍّ وحبٍّ

ومن الكوكبين عَيْنَيْكَ تنشق
لعمري آثارُ ألفي دُرِّ

من بريق الجبين من ملمس الخد
الحريري من سوادِ الهدبِ

مَعْبَرٌ لِلْجَمَالِ مِنْ شَاطِئِ الْمَجْدِ
هَوْلٌ يُرْسِي اثْتِلَاقَهُ عِنْدَ قَلْبِي

(١٩٥٢)

فهرست

شغلايا ورماد

٩٠	جمعود	٧	مقدمة
٩٤	مرثية يوم تافه	٣١	كبرياء
٩٨	الغاز	٣٧	يوتوبيا الضائعة
١٠١	جامعة الطلال	٤٧	تواريخ قديمة وجديدة
١٠٦	اجراس سوداء	٥٠	صراع
١١٠	نهاية السلم	٥٦	عندما انبعث الماضي
١١٤	أنا	٦٠	مر القطار
١١٨	غرباء	٦٦	عروق خامدة
١٢١	اغنية الهاوية	٦٩	الجرح الغاضب
١٢٦	في جبال الشمال	٧٤	الباحثة عن الغد
١٣٣	إلى عمق الراحة	٧٧	الأنعموان
١٣٨	الكوليرا	٨٤	خرافات

١٧٣	ذكریات	١٤٣	لنكن اصدقاء
١٧٨	تم	١٥٠	جنازة الريح
١٨٢	رماد	١٥٤	يوتوبيا في الجبال
١٨٧	الحيط المشدود في شجرة السرو	١٦١	وجوه ومرايا
١٩٧	للقاريء	١٦٧	قبر ينفجر

قرارة الموجة

٣٠٠	الهاربون	٢٢٧	أول الطريق
٣٠٤	هاك يقول النهر	٢٣١	أغنية
٣٠٩	ثلاث مرات لأمي	٢٣٤	دعوة إلى الأحلام
٣١١	١ - أغنية للحزن	٢٣٦	الشهيد
٣١٤	٢ - مقدم الحزن	٢٤٠	لعنة الزمن
٣١٨	٣ - الزهرة السوداء	٢٤٩	إلى انعام الجديد
٣٢١	يحكى أن حفارين	٢٥٣	طريق العودة
٣٢٧	الزائر الذي لم يحىء	٢٦٠	الاعداء
٣٣٠	الراقصة المذبوحة	٢٦٤	حصاد المصادفات
٣٣٤	الشخص الثاني	٢٦٩	النائمة في الشارع
٣٣٧	عندما قتلت حبي	٢٧٣	مروية امرأة لا قيمة لها
٣٤٠	لحن للبيان	٢٧٥	الأرض المحبجة
٣٤٤	كلمات	٢٨١	لتفترق
٣٤٨	للمس النهار	٢٨٥	مخزية الرماد
٣٥١	غسلا للعار	٢٩٢	سائدة الماضي
٣٥٥	الرحيل	٢٩٧	إلى اخي سها

٣٨١	ساعة الذكرى	٣٥٩	الحية
٣٨٥	هل ترجعين ؟	٣٦٣	اسطورة عتيق
٣٨٩	صلاة الاشباح	٣٦٧	الوصول
٣٩٨	خاتمة	٣٧١	اغنية لشمس الشتاء
٤٠١	دعوة الى الحياة	٣٧٧	بقايا

شجرة القمر

٥٠٥	نحن وجية	٤٠٩	احول قصائد هذا الديوان
٥٠٩	ان شاء الله	٤٢١	شجرة القمر
٥١٣	حدود الرجاء	٤٤٠	اغنية للحياة
٥١٨	الوحدة العربية	٤٤٥	تحية للجمهورية العراقية
٥٢٦	اغنية ليالي الصيف	٤٥١	طريق حي
٥٣١	النهر العاشق	٤٥٤	خمس اغان للآلم
٥٣٥	المدينة التي غرقت	٤٦٤	اغنية للاطلال العربية
٥٤٠	الشيخ ربيع	٤٧٠	مشغول في آذار
٥٤٥	البعث	٤٧٣	ولكنها ستكون الأخيرة
٥٥٢	اغنية لطفلي	٤٧٥	وردة لعبد السلام
٥٥٥	إلى وردة بيضاء	٤٧٧	أغنية للقمر
٥٥٧	إلى الشعر	٤٨٣	ثلج وفار
٥٦٣	النهر المفق	٤٨٦	أغنية حب للكلمات
٥٦٦	ثلاث أغنيات شيوعية	٤٩٢	ثلاث أغنيات عربية
٥٧٣	إلى ميسون	٤٩٩	خصام
٥٧٧	القهرمت	٥٠٣	اسفار

● سنة ١٩٧٠ صدر ديوانها الخامس
« مأساه الحياة واغنية للانسان » ولكن
هذا الديوان - مطولة شعرية واحدة
٥٠٠ صفحة - ينتمي الى المرحلة
المبكرة من حياة نازك الشعرية فقد
كتبته على مراحل ، وكانت المرحلة
الاولى منه هي مرحلة ديوانها الاول
عاشقة الليل .

● صدر لها كتابان في النقد الادبي
احدهما قضايا الشعر المعاصر - ١٩٦٢ -
وقد احدث ضجة في الاوساط الادبية ،
والاخر على « محمود طه » والكتابان
من ارفع الكتب النقدية في العالم العربي .



Bibliotheca Alexandrina



0349047